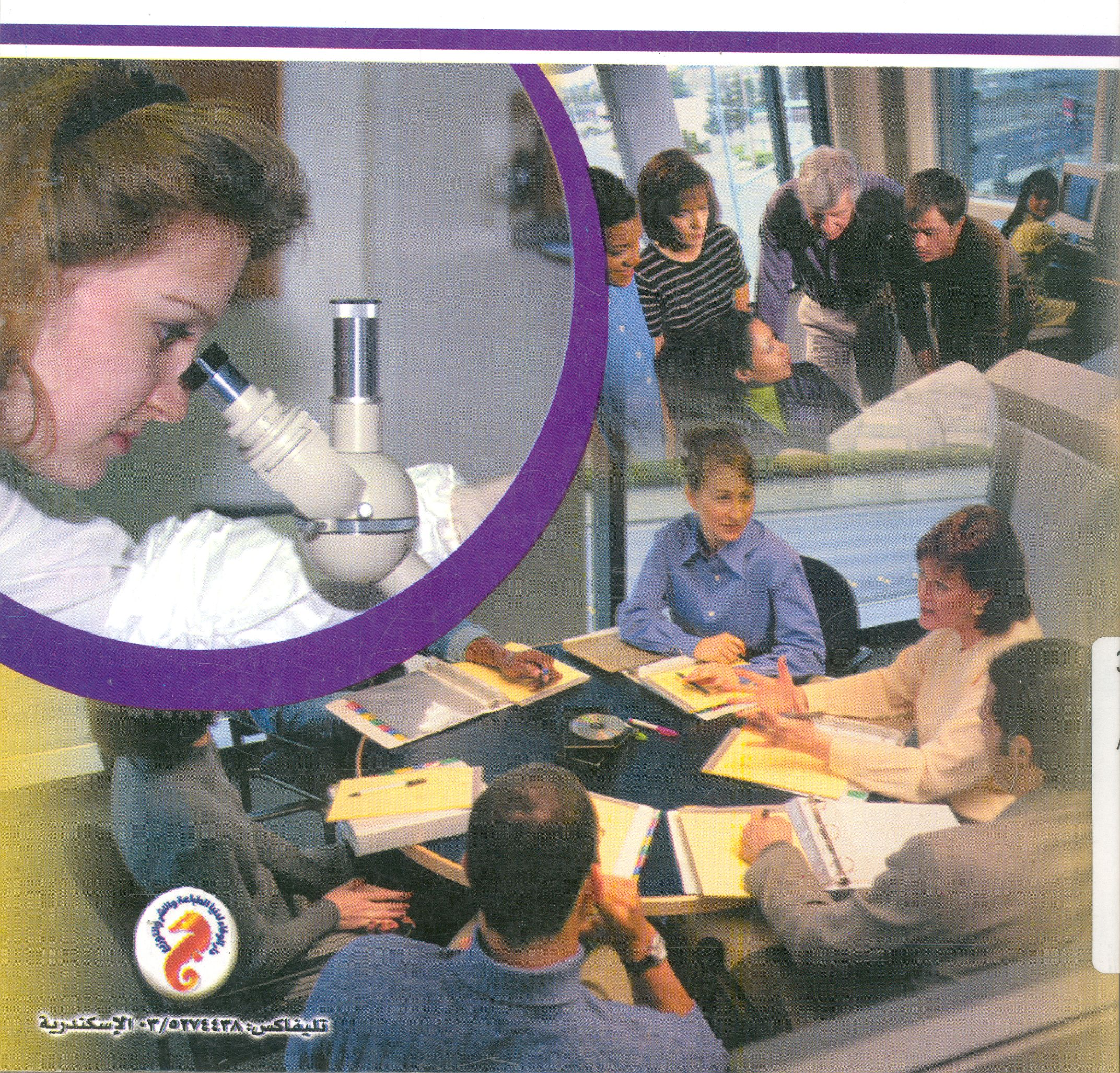
قاسم أمين والتربية

دكتور

رمزى أحمد عبد الحى



قاسم أمين والتربية

دكـــتور

رمزى أحمد عبد الحى

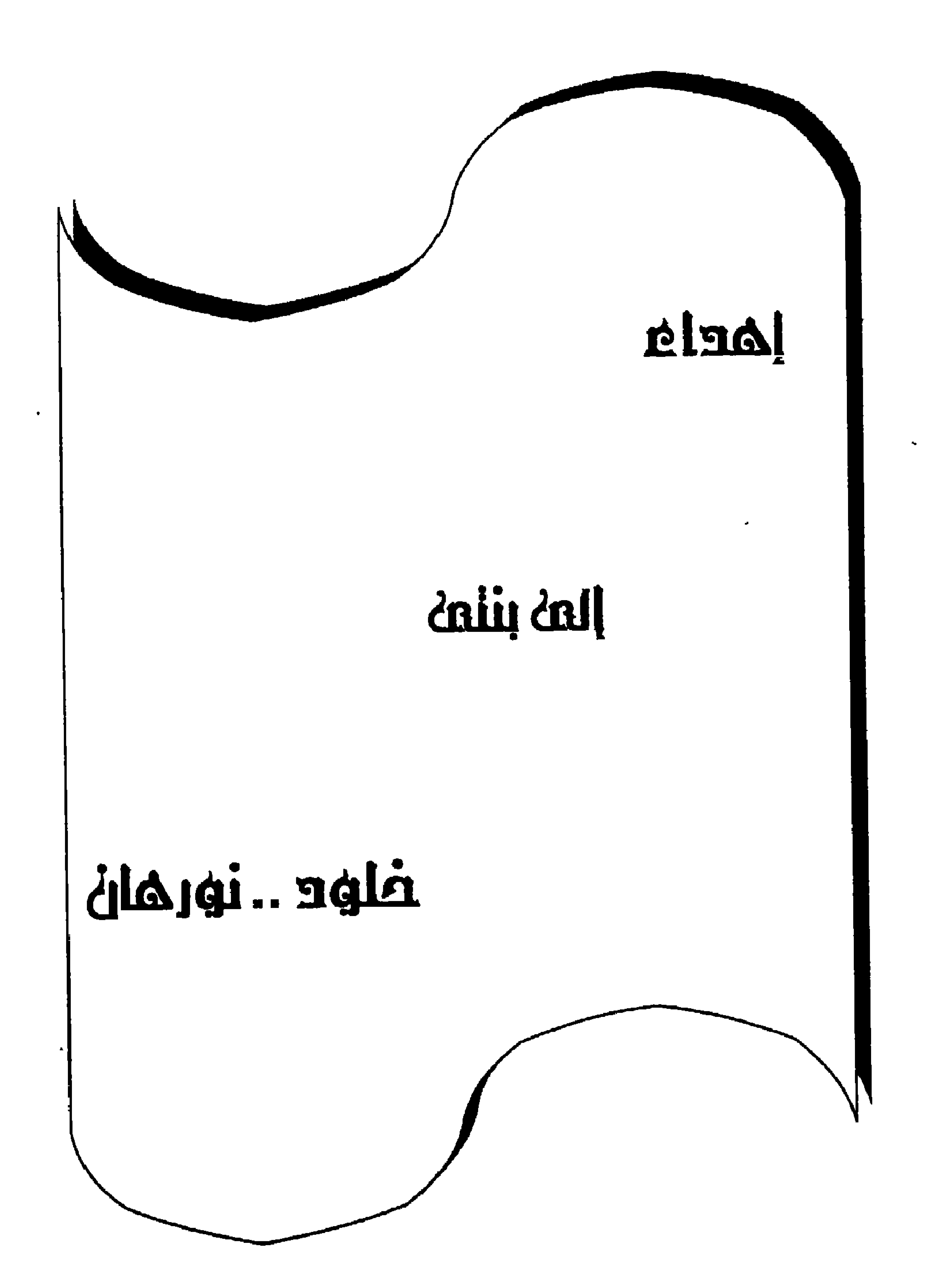
الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس /٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية



إهداء

إلى بنتي

خلود .. نورهان

مقدمة

إذا كانت التربية تعد من أهم مكونات تراث أى مجتمع. فينبغى أن نهتم بدراسة تراثنا التربوى، كى نأخذ منه ما يفيد فى تربية أجيال الحاضر. وإعداد رجال المستقبل. ولقد اضطلع بعض الباحثين بمهمة دراسة الفكر التربوى والآراء التربوية لبعض المفكرين من أمثال أبي حامد الغزالى والجاحظ وابن تيمية ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني وطه حسين وغيرهم. وأغلب هذه الدراسات أثبتت فيما أثبتته أن لتراثنا قيمة تستحق بذل الجهد.

وعلى الرغم من أن قاسم أمين من مجددى الإصلاح فى مصر، فإنه لم ينل حظه في الدراسة – الدراسات التربوية – كمفكر اجتماعى له اسهامات عديدة أكسبته خبرته كقاضي وأديب فى تناول مشكلات عصره.

لقد عاش قاسم أمين فى حقبة من التاريخ تلاقى فيها الفكر العربى بالفكر الغربى من النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فقد تأثر بالبيئة المصرية التى عاش فيها وكان دائم التفكير فى مشكلات مصر والمصريين ونصيبهم من الحضارة الحديثة. وتأثر أيضاً بالبيئة الفرنسية، واعتنق فكرة التطور والتقدم كمبدأ من مبادىء الإصلاح، ولم تقتصر مواهبه على القضاء والقانون، فاطلع على مذاهب الفكر والديمقراطية والكشوف العلمية، تلك الشخصية التى جمعت بين الثقافة الفرنسية والعربية، فكان دائماً يلائم بينهما.

ولما كان قاسم أمين يعد من المصلحين الاجتماعيين، فقد كان عنده أمل لا يزعزعه شىء فى إصلاح أمته، وكان عنده اعتقاد متين بأن البذرة الطيبة متى ألقيت في أرض بلادنا الخصبة نبتت وأزهرت وأثمرت كما نبتت وأزهرت وأثمرت بذور الفساد فيها.

وكلما ذكر اسم قاسم أمين ذكر معه كتاب "تحرير المرأة "وهو يقصد تحرير المجتمع المتمثل فى المرأة. وقد قال الهلباوى بك فى الكتاب الذهبى" ولقد كانت

حاجة مصر فى ذلك العصر إلى تحرير المرأة وتعليمها مسألة المسائل، عمل قاسم أمين فى تحرير المرأة سيضعه فى التاريخ موضع المعلم.

وإذا نحن نقبنا فى الفكر العصرى الذى شهدته مصر فى ظل تلك الدولة الحديثة. وجدنا الدعوة غير المباشرة إلى تحرير المرأة وتعليمها معلنة فى كتاب رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣م) تخليص الإبريز فى تلخيص باريز) وتاريخ تأليفه سابق على أكتوبر سنة ١٨٣٠م وطبعته الأولى قد صدرت سنة ١٨٣٤م وقد ترجم إلى التركية فى ذلك التاريخ.

كما نجد الدعوة إلى تقريب الفروق بين حق المرأة وحق الرجل فى التعليم تظهر فى مداولات (لجنة تنظيم التعليم) التى كان الطهطاوى عضواً بها. فتقترح هذه اللجنة فى سنة ١٨٣٦ م العمل لتعليم البنات فى مصر تعليماً يتخطى حدود الضرورات العلمية التى كانت تحكم مناهج المدارس التى كانت قائمة للبنات فى ذلك الوقت

وهكذا تسبق مصر ويسبق المصريون الأتراك فى الدعوة إلى تعليم المرأة وتغيير أوضاعها ويسبق الطهطاوى الشدياق وغيره فى ارتياد هذا الميدان، ثم يأتى كتابه (المرشد المبين لتربية البنات والبنين) الذى كتبه فى بداية السبعينات بتكليف من ديوان المدارس كى يدرس فى مدارس البنات يأتى حاويا الكثير من الآراء ووجهات النظر التى يمثل مجموعها أول بناء فكرى شبه متكامل يكرسه مفكر عربى لقضية تحرير المرأة فى عصرنا الحديث.

تلك هى قضية الريادة فى هذا الميدان، فهى لمصر محمد على، وليست لتركيا آل عثمان .. وهى للطهطاوى وليست لأحمد فارس الشدياق أو قاسم أمين.

ولكن تبقى لقاسم أمين فى هذا الميدان ميزة ينفرد بها عن كل ما عداه من المفكرين والمصلحين الذين أسهموا بسهم فى هذا السبيل. فكل من عدا قاسم أمين كان حديثهم عن تحرير المرأة والنهوض بها أمراً من أمور كثيرة تناولوها فيما أبدعوا

من أفكار وآثار.. أما قاسم أمين فهو الوحيد من بين كل هؤلاء الذى وهب كل جهوده وجميع آثاره – تقريباً – لهذه الدعوة.

إلا أن الآراء والأفكار فى عهد رفاعة الطهطاوى لم تنضج بعد ولم يجد معارضة أو نقد أو تعليق على هده الدعوة التحررية على خلاف ما ظهر وبدا واضحاً فى دعوة قاسم أمين وخاصة بعد نضوج الفكر وتفتح الآراء وعودة المبعوثين من الخارج مما أدى إلى نمو الحركة الثقافية والفكرية فى المجتمع تمثلت فى التيارات السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية

وإذا كانت هذه الدراسة التى نقدم بها بين يدى (قاسم أمين والتربية) من خلال فصولها القادمة فكر القارىء والباحث عن حقائق وقسمات فى فكر قاسم أمين لم يلتفت إليها كثير من دارسيه فإن الفضل فى ذلك يعد المنهج العلمى الذى نتناول به دراسة فكره – يعود إلى مجىء هذه الدراسة ثمرة للنظرة الشاملة لفكره الاجتماعى خصوصاً وأنها الأولى من نوعها التى تهتم كثيراً برصد تطور فكره الاجتماعى.

ومن هنا فدارسة الفكر عند قاسم أمين وخاصة فيما يتعلق منه بالتربية مهمة ضرورية لتشكيل فكر تربوى معاصر يساعدنا فى توجيه ممارستنا التربوية.

مع ملاحظة أن آراء قاسم أمين أثير حولها الكثير فى حينه – حتى اليوم – والباحث سوف يتناول دراسة هذه الآراء كما هى – ما لها من إيجابيات وما عليها من مآخذ.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب يمثل الرسالة التى تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير فى التربية – قسم أصول التربية من كلية التربية جامعة المنوفية فى ١٥/ ٣/ ١٩٨٩م.

ويأتى هذا الكتاب مشتملا على الفصول التالية:

الفصل الأول: العصر الذى عاش فيه قاسم أمين: وقد تضمن هذا الفصل ثلاثة محاور رئيسة لمعرفة أحوال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ومطلع القرن

العشرين، وهذه المحاور هى: الحيــاة الاقتصاديــة والاجتماعيــة - الحيــاة السياســية والوطنية - الحياة الثقافية والفكرية.

الفصل الثانى: حياة قاسم أمين: تناول هذا الفصل حياة قاسم أمين من عـدة محـاور تمثلت فى: المولد والنشـأة - مراحـل تعليمـه - شـخصيته وأخلاقـه- مكانتـه ورأى المفكرين فيـه - مصـادر ثقافتـه - حياتـه العائليـة - أعمالـه حتـى وفاتـه (١٨٦٣ - ١٩٠٨م).

الفصل الثالث: الأصول الفلســفية لآراء قاسـم أمـين التربويـة: ويـدور حـول مفـهوم الإنسان فى فكره قاسم أمين (الجسم - العقـل - النفس - القلب) - والإنسـان بـين (الجبر والاختيار) و (الخير والشر) و(الوراثة والبيئة) ثم يوضح نظرية المعرفة فى فكر قاسم أمين ومناهج المعرفة ومصادرها.

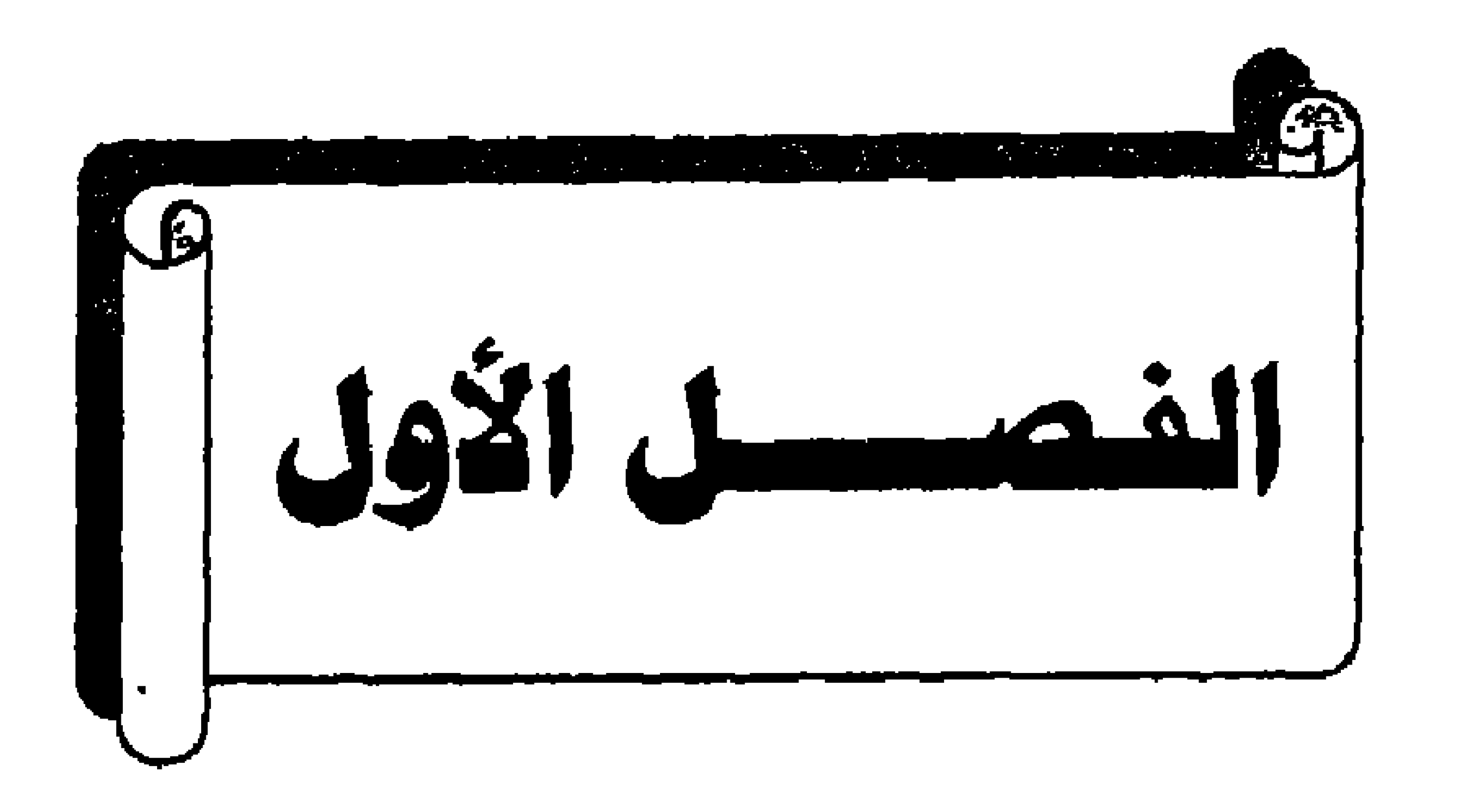
الفصل الرابع: التربية عند قاسم أمين: ويشتمل علـى عـدة محـاور أهمـها: معنـى التربية وأهميتها - الفرق بين التربية والتعليم - التربية المستمرة - التعليـم العلمـى - أسس التربية - المنـاهج الدراسـية بـين العلـوم الدينيـة والعلـوم الوضعيـة - وظـائف التربية - مجالات التربية.

الفصل الخامس:التربية والتغـير الاجتمـاعى عنـد قاسـم أمـين: وقـد تعـرض لفكـرة الإصلاح الاجتماعى فى فكر قاسم أمـين وقـد أبـرز عـدة قضايـا أهمـها: العـادات - إحسـاس الاحـترام - العـامل الاقتصـادى - ظـاهرة الكسـل - الوظيفـة الاسـتبداد - الوقف.

الفصل السادس:المرأة فى فكـر قاسـم أمـين: وقـد نـاقش هـذا الفصـل عـدة محـاور أساسية أهمها: مدخل تاريخى لوضع المرأة قديماً - دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة - تعليم المرأة - كيفية تعليم المرأة - ثم تناول عدة قضايـا أساسـية هـى: الحجـاب - تعدد الزوجات - الطلاق ، ثم يختتم الفصل بقضية عمل المرأة.

وأدعو الله أن يكون هذا الكتاب إضافة جديدة إلى المكتبة العربية
ولبنة من لبنات الفكر
وعلى الله قصد السبيل

دكتـــــور
رمـــزى أحمــد عبــد الحـــى



العصر
الذي عاش فيه قاسم أمين

تمهيد:

إن المفكر ما هو إلا صورة رسمتها العوامل والظروف التى أحاطت به فى حياته. ومن ثم لا يمكن عزله عن مجتمعه. فإنه "متصل بالبيئة يتأثر بها ويؤثر فيها – وعندنا – أن تأثير البيئة في الفرد أقوى من تأثير الفرد، وبعض المفكرين يسبقون عصرهم، وهؤلاء هم قادة الفكر، و هم قلة إلى جانب أغلبية المجتمع"[1].

ولما كان قاسم أمين هو أحد رواد الإصلاح الاجتماعي في مصر، والذى تدور حوله الدراسة. لهذا كانت دراسة زمانه والفترة التى عاش فيها مهمة لتفهم آرائه التربوية، ولن نستطيع فهم آرائه فى ميدان التربية والتعليم إلا إذا أدركنا العوامل الثقافية التي ساعدت على تكوينه والتى حددت اتجاهاته وأبعاد شخصية، وخاصة بالتعرض إلى الفترة الزمنية التى عاش فيها: حيث إنه ولد سنة ١٨٦٣م وتوفى سنة ١٩٠٨م، ولهذا يلزم الرجوع إلى القرن التاسع عشر ومعرفة ظروفه من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وخاصة النصف الثانى منه وأوائل القرن العشرين.

فقد حمل القرن التاسع عشر فى طياته أحداثاً انعكس أثرها على البيئة المصرية، ومن ثم على الشخصية المصرية، فما كاد القرن الثامن عشر ينتهى حتى جاءت الحملة الفرنسية التى كان لها عميق الأثر فى إيقاظ الوعى القومى وخاصة بعد العزلة التى فرضت على البلاد تحت وطأة الحكم العثمانى والتى ساءت معه الأحوال الاجتماعية والسياسية الفكرية حيث انتشر الجهل، وفسدت العقول وظهر الاستبداد والاعتساف وتدهور التعليم[2].

وبقدوم القرن التاسع عشر –عصر اليقظة الفكرية والنهضة الحديثة فى مصر – أخذت بوادر الفكر تتجلى فى الحركات الوطنية والدعوة للإصلاح والتغيير، وكانت المشاعل الولى قد ارتفعت فى أنحاء البلاد بعودة المبعوثين الأوائل الذين

---

(١) أحمد فؤاد الاهوانى: التربية فى الإسلام – ط٢– القاهرة – دار المعارف ١٩٦٧م، ص٣٠.

(٢) عبد الرحمن الكواكبي. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد حلب – المطبعة العصرية بحلب ١٩٥٧م، ص ١٧ وما بعدها.

تعلموا في الغرب"[1]. والتي أثرت في النواحي المختلفة من اجتماعية وسياسية وفكرية في مصر.

وإذا كانت التربية عملية اجتماعية تعد من القوى في تشكيل بنيان المجتمع فإنها "تتأثر بهذه القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهي أيضاً لا بد أن تؤثر في هذه القوى بصورة أو بأخرى"[2].

ولا شك أن المفكر ليس معزولاً عن مجتمعه، فهو جزء منه ولبنة من لبناته التي تساهم في مجرى التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بل إن معيار الأهمية التي يحظى بها مفكر ما في تاريخ مجتمعه، إنما يكون بالقدر الذي جعله موصولاً بقضايا مجتمعه ومتصلاً بها وبإسهامه الحقيقي في حل مشاكله وإصلاحه[3]، سواء من النواحي الخارجية أم الداخلية.

ولما كان الأمر كذلك، كان لزاماً أن يتجه البحث إلى دراسة القوى التي سادت في القرن التاسع عشر وخاصة النصف الثاني منه وأوائل القرن العشرين، إلا أن المجال لا يتسع لدراسة كل التفاصيل الدقيقة، لذا ركز الباحث على الفترة التي عاش فيها قاسم أمين. مع ملاحظة أن القرن التاسع عشر بدأ بغزو أجنبي كان "قصير الأجل طويل المفعول والأثر، يتمثل في الحملة الفرنسية، وانتهى بغزو أجنبي آخر طويل الأجل والمفعول يتمثل في الاحتلال البريطاني"[4]. وبين الاحتلال الأول والاحتلال الأخير كان التغيير الشامل في شتى نواحي مصر الاجتماعية والسياسية والفكرية والتي لعبت دورها في تشكيل المجتمع وتشكيل الشخصية المصرية.

---

(1) لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديثة – ترجمة عفيفة البستاني – (موسكو – دار التقدم) – ١٩٧١م، ص٤٣.

(2) محمد الهادي عفيفي: في أصول التربية (الأصول الفلسفية للتربية) – القاهرة – الأنجلو المصرية – ١٩٧٨م، المقدمة، أ.

(3) عبد العاطي محمد أحمد: الفكر السياسي للإمام محمد عبده – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٨م، ص٢١.
وأحمد خاكي: قاسم أمين (أعلام الإسلام) – مرجع سابق، ص ٣، ٣٣.

(4) جون مارلو: تاريخ النهب الاستعماري لمصر (١٧٩٨ – ١٨٨٢) – ترجمة عبد العظيم رمضان – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٦م، ص ١٥.

ولذلك يتجه البحث لدراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية فى الفترة التى عاشها قاسم أمين من سنة ١٨٦٣م – ١٩٠٨م. والتى كان لها تأثيرها فى آراء قاسم أمين وخاصة آراءه التربوية ومدى تأثيره فيها وتأثره بها.

أولاً: الحياة الاقتصادية والاجتماعية:

انتقلت مصر فى القرن التاسع عشر من عصر إلى عصر. ومن حاله إلى حالة. فقد انتقلت من عصر وسيط مظلم إلى عصر نهضة وإحياء. ومن ولاية تابعة للدولة العثمانية إلى دولة قائمة بذاتها. وخاصة بعد العزلة التى فرضت عليها. وما نتج من ركود واضمحلال فى كافة النواحى ولاسيما الناحية الاقتصادية والاجتماعية[1].

ومع مطلع القرن التاسع عشر انفتحت مصر على العالم بفضل الحملة الفرنسية والتى كانت تتطلع "لتشكيل مجتمع أوربى ومجتمع علمى (أكاديمى) فى المستعمرة (مصر) وادعى نابليون فى منشور للمصريين أنه مسلم قدم ليرفع الظلم عنهم"[2]. إلا أن الاحتلال الفرنسى لم يدم طويلاً، حيث رحلت الحملة الفرنسية عن مصر ولكنها تركت آثاراً واضحة فى حياة مصر الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، فقد هزت المفاهيم الفكرية التى كان المجتمع المصرة يخضع لها، على الرغم أن فترة الاحتلال كانت قصيرة إلا أن نتائجه كان لها الأثر الواضح على النواحى الاقتصادية والاجتماعية[3].

وبرحيل الحملة الفرنسية شهدت مصر فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر صراعاً عنيفاً بين قوى ثلاث تمثلت فى: الأتراك والمماليك والإنجليز، حيث عملت كل منها لحسابها وتمهد السبيل كى تفوز بالاستيلاء على السلطة وتصبح لها السيطرة على مصر. إلا أنه فى وسط هذا الصراع ظهرت قوة جديدة ظلت كامنة مدة

---

(١) جمال الدين الشيال: رفاعة الطهطاوى (نوابغ الفكر العربى) ط٣ – القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٠م، ص١٦.

(٢) عبد الحليم الجندى: الأمام محمد عبده (سلسلة اعلام الإسلام) – مرجع سابق، ص ٨٧.

(٣) عمر عبد العزيز عمر: دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر – بيروت – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – ١٩٧٥م، ص ٣٨.

طويلة. وهي قوة الشعب المصرى. والتى شاركت فى اختيار الحاكم بعد ضعف قوة المماليك والأتراك. حيث طالبت بأن يكون محمد على الوالى على مصر[1]

وإذا كانت حالة مصر الاجتماعية فى أواخر القرن الثامن عشر تتكون من فئتين: الحكام والمحكومين. الحكام من المماليك والمحكومين من الشعب المصرى بطبقاته المختلفة من علماء وملاك وتجار ومزارعين. فإن الحال تغير فى عصر على. حيث أصبح "جزءاً من الهيئة الاجتماعية المصرية وأنه قد تمصر واستعرب. فأسس دولة مصرية. جيشاً مصرياً. وأسطولاً مصرياً. وثقافية مصرية عربية. واندمجت شخصيته فى شخصية مصر فأصبح مصرياً حكماً وسياسة وعملاً. وزاد فى هذا الاندماج أنه رهن مصيره ومصير أسرته بمركز مصر ومستقبلها واتخذ مصر موطناً له"[2]. محققاً لمصر حياة اقتصادية واجتماعية ذات أثر واضح.

والحقيقة أن محمد على حقق نهضة اقتصادية واجتماعية شهدتها البلاد على يده. فقد تمت منشآت الرى والعمران. كفتح الترع وإقامة القناطر وإنشاء المدارس والمعاهد والمستشفيات وبناء القصور والثكنات والقلاع والاستحكامات والمصانع والترسانات والموانىء والمنائر والسفن الحربية والتجارية[3]. إلى جانب اهتمامه بالبعثات العلمية التى أرسلها إلى أوربا والتى كان لها الفضل فى تقدم المجتمع المصرى والإدارة المصرية. وقد لعبت دوراً هاماً فى حياة مصر السياسية والعلمية فى عهده وعهد خلفائه.

وإذا كانت النواحى الاقتصادية قد شهدت تغيراً على يد محمد على، فإن الناحية الاجتماعية قد طرأ عليها تغيير كذلك. حيث اختفت قوى وظهرت أخرى.

---

(1) جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٥١م، ص٦.

(2) عبد الرحمن الرافعى: عصر محمد على - ط٤ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٢م، ص٥٤٤

(3) عبد الرحمن الرافعى: عصر محمد على - ط٤ - مرجع سابق ص ٥٤٦، ٥٤٧.

فقد اختفت طبقة المماليك والتى قضى عليها محمد على. وظهرت فئة العثمانيين الذين كونوا طبقة جديدة احتلت المناصب الهامة العسكرية والمدنية"[1].

ومن ناحية أخرى تغير الوضع داخل طبقات المجتمع المصرى. حيث" ضعفت طبقة التجار والحرفيين وتدهورت طبقة المشايخ. وكذلك العلماء"[2]. ولم تنل الطبقات الشعبية أى نصيب من التقدم العمرانى الذى أحدثه محمد على فكان متجاهلاً مصالح الشعب.

وجملة القول إن الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى عصر محمد على قد أوجزها قاسم أمين بقوله" لقد أخذت السلطة منذ أيام محمد على تصبح أكثر انتظاماً واعتدالاً. ففتحت حياة جديدة أمام التجارة والصناعة والزارعة، وأخذت تتطور جميعاً وحفرت القنوات وعبدت الطرق. وفى كلمة واحدة أقيمت حكومة حقيقية. صحيح أن أعمال العنف والابتزاز كانت ترتكب من آن إلى آخر"[3]. غير أن هذا لا يغض من قيمة ما أسداه محمد على لمصر والمصريين من أجل الدولة المصرية الحديثة التى يحكم بها البلاد هو وأبناؤه من بعده.

وبانتهاء النصف الأول من القرن التاسع عشر وتولية عباس الأول الحكم (١٨٤٩ – ١٨٥٤م) تغيرت أوضاع مصر الاقتصادية والاجتماعية، فقد عرفت تلك الفترة من حكمه بالتخلف الاقتصادى إذا ما قورنت بالفترة التى حكمها محمد على، حيث "تخلى عباس عن مشروعات جده الباهظة التكاليف فى رأيه، وخفض قوات الجيش والبحرية إلى جزء من حجمها السابق"[4]، كما أهمل أيضاً الزراعة والصناعة والتجارة، ويمكن القول إن عهد عباس الأول كان"خلواً من أعمال النهضة والعمران،

---

(١) شاكر على سالم الدولة: الفكر التربوى عند الإمام محمد عبده – رسالة ماجستير (غير منشورة) – كلية التربية – جامعة طنطا – ١٩٨٢م، ص٢٧.

(٢) محمد أنيس والسيد رجب حراز: التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث – القاهرة – دار النهضة العربية بمصر – ١٩٧١م ، ص ١١٥.

(٣) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ ١– مرجع سابق، ص ٢٧٣.

(٤) شبل بدران السيد: تأثير فلسفة التنوير على التربية فى مصر فى القرن ١٩– رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية – جامعة طنطا –١٩٧٩م، ص ١٠٩.

اللهم ما كان من إنشاء سكة الحديد بين القاهرة والإسكندرية. وإصلاح سكة السويس الحجرية"[1].

وإذا كان عباس قد أهمل الشئون الاقتصادية وعرف عصره بالرجعية ووقف حركة التقدم والنهضة التى ظهرت فى عهد محمد على فإن ذلك انعكس على النواحي الاجتماعية والتى ساءت هى الأخرى وخاصة بعد أن أهمل التعليم وألغى المدارس، فقد ساءت حالتها وألغى معظمها من عالية أو ثانوية أو ابتدائية، وكأن عباس كان يكره العلم والتعليم. ولذلك ابتعد عن كل إصلاح تعليمى تقوم عليه نهضة المجتمع وإصلاحه[2].

وعندما تولى سعيد الحكم (١٨٥٤م – ١٨٦٣م) تغيرت معه الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وشعر الفلاح بالجهود المبذولة من أجله، فقد اهتم سعيد بالزراعة واستعاد الفلاحون الأراضى الزراعية بانتهاء نظام الاحتكار، وجنى الفلاح أرباحاً كبيرة من زراعة القطن والذى زاد إنتاجه وارتفع سعره بقيام الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ – ١٨٦٤م)، فارتفعت الصادرات وزاد الدخل القومى، وقد "صدر على عهد سعيد لائحة عام ١٨٥٨م سميت باللائحة السعيدية"[3]. والتى أقرت الملكية للفلاح، حيث صار له وجود اقتصادى مستقل عن الحكومة بعد أن كان مستعبداً لها، فكان هذا الإصلاح من أسباب نهضة الفلاح من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية والتى كان لها أثرها على طبقة الأعيان وغيرهم، حيث اقتنوا الأطيان والضياع، وزادت ثروتهم بما أنشأته الملكية من أعمال العمران كشق الترع وإقامة القناطر وتسهيل وسائل الرى، مما شجع الفلاحين على ازدياد الملكية وتوسيع الرقعة الزراعية[4].

---

(1) عبد الرحمن الرافعى :عصر إسماعيل – جـ١ – طـ٣ – القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٢م، ص ١٥.
(2) المرجع السابق، ص ٢١وما بعدها.
(3) إبراهيم سابى أحمد: التاريخ القومى – طـ١ – القاهرة – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٥٦، ص ١٢٤.
(4) عبد الرحمن الرافعى: عصر إسماعيل – جـ١ – طـ٣ – مرجع سابق، ص ٣٠.

والواقع أن عهد سعيد تميز عن عهد عباس بتغير في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والتى ظهرت فى "إصلاحات سعيد التى فتحت المجال أمام الطبقة الوسطى المصرية فى سلك الوظائف. بل وفى الجيش الذى أمكن فيه الترقى"[1].

وعندما تولى الخديو إسماعيل الحكم (١٨٦٣ - ١٨٧٩م) كانت البلاد المالية مزدهرة، إذ صادفتها الحرب الأهلية الأمريكية وما تبعه من زيادة الإقبال على القطن المصرى وارتفاع أسعاره، فكانت سنوات الحرب يسراً ورخاءاً لمصر. حتى سمى عصر إسماعيل بعصر التجدد الاجتماعي والاقتصادى. ففيه أخذت الهيئة الاجتماعية المصرية تتطور إلى حالات جديدة وخاصة الاقتباس من أساليب المجتمع الأوروبى وعاداته وتقاليده التى أحدثها إسماعيل. حيث إن الحاكم كان تواقاً إلى الغرب، فأراد أن يطبع المجتمع المصرى بالطابع الغربى[2].

فكان إسماعيل محبوباً فى أوائل عهده وخاصة بعد اعتدال الضرائب، والرخاء الذى كان يعم البلاد، حيث بذل جهوداً عظيمة فى أعمال العمران واهتمامه بالزراعة والرى[3]. وما لبث الحاكم أن ألقى الأعباء الثقيلة على كاهل المواطنين من الضرائب إلى جانب السخرة والخدمة العسكرية.

ومن الناحية الاقتصادية كان هدف إسماعيل "تقوية مصر بزيادة قوته وقوة أسرته، واستغلال مصادر ثروة البلاد استغلالاً عصرياً دون اعتبار لجهل الفلاحين بالخبرات الاقتصادية الحديثة فأخذ يجمع الأراضى عن طريق عملائه بالضغط الشديد على الفلاحين ومصادرة الأملاك"[4]، ولأنه كان معروفاً بالإسراف وجد أن الأراضى التى جمعها لا تكفيه، فلجأ إلى الاستدانة والتى أدت إلى إفلاس مصر فى أواخر عهده وازدياد التغلغل الأجنبى وبخاصة المستثمرون من الأجانب الذين اعتمدوا على الامتيازات الأجنبية التى أعفتهم الحكومة من الضرائب. ولذلك لجأ

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية – القاهرة – دار المعارف – ١٩٦٥، ص٨٣.

(2) عبد الرحمن الرافعى: عصر إسماعيل – جـ ٢ – ط٣ – دار المعارف – ١٩٨٢م، ص ٢٩٧ وما بعدها.

(3) المرجع السابق: ص٩.

(4) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية – مرجع سابق، ص ٢٣.

إسماعيل للحصول على المال بإصدار قانون "لائحة المقابلة – ١٨٧١م "والذى" أعفى به ملاك الأراضى من نصف مربوط الضرائب على الدوام إذا دفعوا المربوط لمدة ست سنوات مقدماً[1].

وترجع ديون إسماعيل إلى استدانته وقيامه بالمشروعات الاقتصادية الفاشلة وهبوط سعر القطن عقب انتهاء الحرب الأمريكية الأهلية، حتى أصيبت البلاد بأزمة مالية أدت إلى تدخل الدول الأجنبية وخصوصاً بعد أن اشترت إنجلترا أسهم مصر فى قناة السويس عام ١٨٧٥م، وأصدر إسماعيل مرسوماً فى ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦م بفرض الرقابة الأجنبية على مصر، وبذلك تبدأ فترة جديدة فى تاريخ مصر تعرف باسم الحكم الثنائى أو الرقابة الثنائية[2]، والتى أدت إلى التدخل الأجنبى فى شئون البلاد فكان تدخلاً انتهى باحتلال إنجلترا لمصر بحجة التدخل المالى والذى لعب دوراً كبيراً فى زيادة الصعوبات المالية والتى وقفت فى وجه الإصلاح.

ولما تولى توفيق الحكم (١٨٧٩ – ١٨٩٢م) بفضل كل من إنجلترا وفرنسا وخلع إسماعيل من الحكم. استبشر الجميع به، حيث إنه كان محبوباً فى أوائل حكمه لانضمامه إلى الحركة الوطنية وقربه من الشعب، وخاصة أنه وعد رواد الإصلاح بالوقوف بجانبهم فى حركة الإصلاح كما سنرى فى الحياة السياسية والوطنية. ولكنه سرعان ما غدر بهم، وارتمى فى أحضان الدول الأجنبية لعله يجد ما يحميه من مطالب الشعب وثورته، ويمكن أن يقال عن عهد توفيق إنه تميز بسوء الحياة الاقتصادية والاجتماعية وخاصة بعد تدخل الأجانب فى شئون مصر بعد فشل الثورة العرابية.

---

(1) أحمد عبد العزيز عمر: دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر – مرجع سابق، ص ٢٧٦.

(2) احمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية – مرجع سابق، ص ٤٢.

وباحتلال إنجلترا لمصر فإنها سيطرت على النواحى المالية بل "ركزت الإشراف المالى كله فى يدها. فقد ألغت المراقبة الثنائية وأحلت محله المستشار المالى البريطانى"[1].

ومن ناحية الزراعة فقد تحكمت إنجلترا فى زراعة الأراضى حسب سياستها. فاحتلت زراعة القطن أهمية كبرى واعتبر الإنجليز أن مصر مزرعة لها وأن القطر المصرى قطر زراعى[2]. فكانت سياستها هى سياسة التخصص الاقتصادى التى فرضوها على مصر. وكانت هذه السياسة قائمة على تخصص مصر فى زراعة القطن. فتتوفر بذلك المواد اللازمة للمصانع الإنجليزية، ولذلك أولت اهتمامها بالرى عن طريق إصلاح القناطر الخيرية وغيرها. وبذلك أهملت مصالح الشعب صاحب المحصلة الحقيقة فى هذا الإصلاح[3].

ومن الناحية الصناعية فقد أهملتها إنجلترا. وخاصة المصانع المتبقية من عهد محمد على، بل وعملت على إغلاقها والقضاء على الصناعات المحلية وفرض الصناعات الإنجليزية، وقد نتج عن تخلف الصناعة حرمان البلاد من موارد الثروة وحرمان المصريين من الرخاء والتقدم، ولما كانت الموارد الزراعية لا تكفى لسد حاجات الشعب فقد ترتب على ذلك انتشار الفقر وانتشار العاطلين وانحطاط مستوى المعيشة فى البلاد[4].

وعن التجارة فقد سيطر الإنجليز عليها، وحاولوا القضاء على الوعى الوطنى والقومى فى البلاد، فقد سيطرت إنجلترا على معظم الصادرات وخاصة القطن، ورسمت سياستها على أساس الاهتمام بالزراعة واستغلال موارد البلاد الزراعية إلى

---

(1) جرجس سلامة: اثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر (١٨٨٢ - ١٩٢٢م) ط١ - القاهرة - الأنجلو المصرية - ١٩٦٦م، ص٤٥

(2) محمد فهمى لهيطة: تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة- ط - القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٤٥م، ص ٣٥٦.

(3) شبل بدران السيد: تأثير فلسفة التنوير على التربية فى مصر فى القرن ١٩ - مرجع سابق، ص ١٢٠

(4) عبد الرحمن الرافعى: مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال (١٨٨٢ - ١٨٩٢م) - ط٢ - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٨م ص ٢٠٨.

أقصى حد ممكن ليحصلوا منها على المواد الخام التي تحتاج إليها مصانعهم، وإضعاف الصناعة حتى تظل البلاد عالة عليهم صناعياً، والسيطرة على التجارة بشراء الخامات التي يحتاجون إليها بأرخص الأسعار. واحتكار المصنوعات الإنجليزية للأسواق المصرية والتي أصبحت الأكثر رواجاً بين الشعب[1].

وإذا كانت الحياة الاقتصادية قد ساءت في فترة الاحتلال الإنجليزي لمصر، فقد انعكس ذلك على النواحي الاجتماعية. حيث "تدهور الحالة الاجتماعية تدهوراً بالغاً، فقد كان الاحتلال هو المسئول من الوجهة الاجتماعية عن سوء حالة طبقات الشعب"[2]. من انتشار المساوىء والعيوب، كما انتشرت الضرائب وقيدت الحريات وأصبح الناس في حالة يرثى لها

وخلاصة القول إن ظروف مصر الاقتصادية الاجتماعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت مسخرة لأهواء الأسرة الحاكمة، ثم زادت سوءاً وانحداراً بسبب السياسية الإنجليزية، بعد احتلال البلاد، والتي كانت تهدف إلى شل حركة البلاد اقتصادياً واجتماعياً ووضع القيود التي تقيد وتعرقل التقدم ونهضة البلاد.

وقد أدرك رواد الوعي القومي والوطني في مصر وخاصة بعد عودة المبعوثين من الخارج ونضوج فكرهم وتحملهم مسئولية الإصلاح، وأن التحرر السياسي لا يتحقق إلا بالتحرر الاجتماعي، وتحرير الشعب وتبصيره بما ينفعه ويرد عنه السوء والظلم في حياته.

وقد تلاقت التيارات الثورية والاجتماعية على اختلاف مذاهبها وأفكارها من أجل إنقاذ مصر والمصريين، ولن يتأتى لهم ذلك إلا عن طريق التربية الصحيحة والتي تتمثل في نشر التعليم والثقافة وإرساء منهج تربوي إصلاحي يقوم فيه الإصلاح الشامل، وقد ظهر ذلك واضحاً في أفكارهم واتجاهاتهم، هذا التيار الذي كان يضم

---

(1) شبل بدران السيد: تأثير فلسفة التنوير على التربية في مصر في القرن ١٩ - مرجع سابق، ص ١٣٣.

(2) عبد الرحمن الرافعي: مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال - مرجع سابق، ص ١٨٦.

قاسم أمين الذى كان من تلامذة محمد عبده وأتباعه الذين أطلق عليهم كرومر "جيروند" الحركة الوطنية المصرية والذى كان برنامجهم التعاون مع الأجانب لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر"[1]. من خلال الاقتباس، وبحث العلل وأسباب التخلف والتأخر ومعالجتها عن طريق التربية التى يتوقف عليها كل إصلاح.

وقد انصرف كل منهم إلى المجال الذى يستطيع أن يخدم فيه ويرسل منه والوعى السليم[2]، وكان قاسم أمين والذى تدور حوله الدراسة أحد هؤلاء الذين نبغوا فى الحقوق والأدب وجمعوا بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب، فاطلعوا على دس الاستعمار فى التشنيع على الإسلام ولمز المصريين بالجهل والتخلف[3]. وخاصة عندما تصدى لقضية الهجوم من الكاتب الفرنسى الدوق دراكور[4]. DUC D'HARCOURI الذى هاجم مصر والمصريين فى كتابه المعروف "المصريون Les Egyptiens' سنة ١٨٩٤م.

ثانياً: الحياة السياسية والوطنية:

لم يكن الاحتلال الفرنسى لمصر سوى مرحلة من مراحل الصراع الدولى فى سبيل تكوين الإمبراطورية الفرنسية والاستحواذ على السلطة فى مصر[5]، وعندما وصلت الحملة الفرنسية إلى مصر قاومها الشعب المصرى، إلى جانب المماليك والأتراك والإنجليز، صحيح أنها "نجحت من الناحية الحربية ولكنه كان نجاحاً وقتياً لم يلبث أن انكشف عن صعوبات جديدة، كانت أهمها مقاومة الشعب المصرى"[6].

---

(١) محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر – جـ٢ – القاهرة – مكتبة الآداب (المطبعة النموذجية) – ١٩٦٨ م ، ص ٢٨٧.

(٢) سامي الدهان : عبد الرحمن الكواكبي (نوابع الفكر العربى) –ط٥ – دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٤م، ص ٧.

(٣) أحمد خاكي : قاسم أمين (أعلام الإسلام) – مرجع سابق، ص ٢٨ وما بعدها.

(٤) دوق دراكور : كاتب فرنسى على عهد قاسم أمين وقد زار مصر عدة مرات وقد كتب عنها واتهم شعبها بالتخلف والجمود، وأرجع ذلك إلى الدين الإسلامى وقد رد عليه قاسم أمين بكتابه مصر والمصريون فند فيه كل نقد.

(٥) هيلين آن روفلين: الاقتصاد والإدارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر – ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصطفى الحسيني – القاهرة – دار المعارف – ١٩٧٨م ، ص٢٤

(٦) جمال الدين الشيال: رفاعة رافع الطهطاوى(نوابغ الفكر العربى) – مرجع سابق – ص١٣.

وأخيراً فضل نابليون ألا يقامر بمستقبله في وادى النيل، ورحلت الحملة الفرنسية، حيث نشب صراع آخر بين المماليك والأتراك والإنجليز والشعب المصرى، انتهى بخروج الإنجليز من مصر[1]، وظهر على مسرح العصر محمد على بعد أن اختاره الشعب والياً عليهم، فكأن في ذهنه الكثير من الأحلام وعلى رأسها تأسيس دولة قوية له ولأبنائه من بعده.

ولما تولى محمد على الحكم بدأ يضع نظاماً حكومياً ضمن به أن يكون هو صاحب الكلمة العليا. وقسم حكومته إلى دواوين وجعل على رأس كل ديوان ناظراً، وكان نظار الدواوين يجتمعون تحت رئاسته في مجلس عرف باسم "مجلس الشورى" للنظر في شئون الدولة، وأنشأ أيضاً المجلس الخصوصي أو المجلس العالى أو الديوان الخديوى، وهو يتكون من بعض كبار موظفي الحكومة وبعض الأعيان، وكانوا يجتمعون لمناقشة ما يعرضه عليهم محمد على من وسائل[2].

وبتولية محمد على حكم البلاد. بدأ نهضة جديدة من التقدم والعمران، فقد "أنشأ بذلك الدولة المصرية الحديثة التى سارت بخطى سريعة نحو التقدم والحضارة، غير أنه لم يحاول أن يشرك المصريين في الاهتمام بتلك التغيرات الجديدة"[3]. ولذلك لم يهتم الشعب بها لأن حكومته كانت "حكومة مطلقة تسود فيها قاعدة حكم الفرد، لكن الفرق بينها وبين ما كانت عليه في عصر المماليك أن محمد على باشا وضع نظاماً لإدارتها فحل هذا النظام محل الفوضى والارتباك، فهو وإن كان يعد من دعاة الحكم المطلق... إلا أن ميزته أنه كانت لديه فكرة النظام والإصلاح" "ومن هنا جاءته فكرة تأسيس بعض المجالس أو الدواوين التى كان يرجع إليها في مختلف الشؤون[4].

---

(1) المرجع السابق:، ص ١٥.

(2) أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: التاريخ القومي – ط١ القاهرة – دار سعد مصر – (د. ت)، ص ٩،

(3) مصطفى محمد رمضان، عبد الشافعي محمد عبد اللطيف: الحركة الوطنية وموقفها من الاستعمار والصهيونية – القاهرة – شركة الطباعة الفنية المتحدة – ١٩٧٧م ص ٢٢

(4) عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد على – ط٤ – مرجع سابق، ص ٥١٥.

وإذا كان محمد على هو مؤسس دولة مصر الحديثة. فقد قيل إنه حاكم مستبد حكم البلاد حكماً فردياً تسلطياً. حيث سخر كل القوى المادية والبشرية فى مصر لتحقيق أغراضه وطموحاته متجاهلاً الحركة الشعبية التى مهدت له حكم مصر بوصفها نقطة وثوب إلى مطامعه.

والواقع أن محمد على لم يهتم بإنشاء نظام دستورى بالمعنى المفهوم"وما الهيئات التى أسسها إلا مجالس تنفيذية كانت الكلمة العليا فيها له... ومجلس الشورى لم يعمر طويلاً، والظاهر أن ميوله النفسية لم تتجه إلى ناحية النظام الدستوى، ولو أنه عنى بهذه الناحية لأمكنه أن يعد الأمة للاضطلاع بمسؤليات الحكم فى عهده ولكنه لم يفعل وترك المسألة فوضى بين خلفائه والشعب فوقع التصادم بينهما فى أواخر عهد إسماعيل وأوائل عهد توفيق[1].

ومع بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر سنة ١٨٥٠م تبدأ فترة جديدة فى حياة مصر تتغير معها الأحوال المترتبة على سياسة مصر، وإن ظل نظام الحكم كما كان، ففى عهد عباس الأول (١٨٤٩ – ١٨٥٤م) وسعيد (١٨٥٤ – ١٨٦٣م) ساد الحكم فى البلاد حكماً مطلقاً يتولاه ولى الأمر، إذ كانت السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية فى يد الحاكم، فهو المرجع فى كليات الأمور وجزئياتها، وأهمل (مجلس الشورى) الذى أسسه محمد على من قبل[2]، وقد نجح كل من عباس وسعيد فى الحفاظ على استقلال مصر الذاتى من قبضة الأتراك، حيث لم تقم الدولة العثمانية بأى محاولة للانتقاص من سيادة مصر فى عهد سعيد. على الرغم من أن مشروع حفر قناة السويس أدى إلى قيام مشكلة بين الوالى والسلطان، ولكنه لم يصل إلى مستوى الأزمة السياسية التى قامت بين بريطانيا وفرنسا[3].

ومن المعالم الواضحة فى تلك الفترة أن النفوذ الاجنبى بدأ يتغلغل فى البلاد، مع أن محمد على تدارك خطر الموجة الأوربية، وكان نظام الاحتكار فى

---

(١) المرجع السابق:، ص ٢٢٥.

(٢) عبد الرحمن الرافعى: عصر إسماعيل – جـ ١ – ط٣ – مرجع سابق، ص ٤٩.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى: علاقات مصر بتركيا(١٨٦٣ – ١٨٧٩م) – القاهرة – دار المعارف – ١٩٦٧م، ص١٨.

عهده سداً منيعاً أمام رأس المال الأجنبي. ومع ذلك تحاشى كل من إنجلترا وفرنسا. أما خلفاؤه الذين دهمتهم الموجة الأوربية، فإنهم أثبتوا عدم كفاءتهم. فسرعان ما أفلت زمام الموقف من أيديهم. فاتجه عباس اتجاه جده. وابتعد عن كل ما هو أوربي وأدار ظهره لكل الإصلاحات التى تمت فى عهد جده، وتحمس سعيد وإسماعيل – (١٨٦٣ – ١٨٧٩م)– حماسة سطحية للجوانب البراقة من الحضارة الأوربية دون إدراك لمنابع الخير والشر فيها، ومن ثم إسرافهما الذى زاد فى وبالة على البلاد[1]. والذى أدى إلى وقوع مصر فى قبضة الاحتلال الأجنبي. وعن تلك الفترة قال قاسم أمين "لقد أخذ تأثير أوربا يتزايد فى مصر منذ عصر سعد حتى أصبح له فى عصر إسماعيل سيطرة حقيقة علينا. إذا باتت كل أفعالنا ولفتاتنا خاضعة للأوامر الصادرة من مجالس وزراء باريس ولندن وبرلين، وأضحى وزراؤنا يميلون مرة إلى اليمين ومرة إلى اليسار، خاضعين دائماً لأوربا ولم يفكر أحد فى توجيه اللوم إليهم، وإنما يرثى الجميع لهم"[2].

فبتولية إسماعيل الحكم، اتبع سياسة الأسرة الحاكمة وحذا حذوهم، وحكم البلاد حكماً مطلقاً، وظلت كل صغيرة وكبيرة من شئون الحكومة رهن إشارته، حيث ربط الدولة بشخصه ربطاً محكماً.

وعندما اشتدت الأزمة المالية والتدخيل الأجنبي فى عهده، نهض الرأى العام، ويرجع ذلك إلى أن إسماعيل كان له دور كبير فى إحياء الرأى العام، وظهور القوى الوطنية والتى كان لها دورها فى قيام الحياة الدستورية، مع ملاحظة أن إسماعيل لم يشذ عن جده، كما أوضحنا من قبل، فحينما أراد أن يشاركه كبار ملاك الأراضى فى تحمل ميزانية الدولة أنشأ مجلس شورى النواب[3]. حيث لم يكن فى مصر هيئة نيابة تمثل الشعب وتشترك فى مظاهر الحكم، وكانت البلاد محرومة من مثل هذه الهيئة منذ إبطال " مجلس الشورى" الذى أسسه محمد على سنة

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية – مرجع سابق ، ص ١٦– ١٧.

(٢) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص ٣٢٩.

(٣) شاكر على سالم الدولة: الفكر التربوى عند الامام محمد عبده – مرجع سابق، ص٤٢.

١٨٢٩م فلما تولى إسماعيل الحكم في إنشاء مجلس شورى على النظام الجديد دعاه "مجلس شورى النواب" سنة ١٨٦٦م[١]. وقد اختلفت الآراء حول الأسباب التي دعت إلى إنشائه، ربما يكون الهدف تسهيل الحصول على القروض من أوربا أو لوضع الأعيان في الأقاليم تحت قبضته. ولكن من المرجح أن الدافع الحقيقي من إنشائه هو رغبة إسماعيل في إشراك الأعيان في أعباء السياسة المالية، ولكن إسماعيل اتخذ كافة الاحتياطات اللازمة لوضع المجلس تحت سيطرته[٢].

وإذا كان إسماعيل أنشأ مجلس شورى النواب" فكان من حقه أن يعلم الأهالي أن لهم شأناً في مصالح بلادهم وأن لهم رأياً يرجع إليه فيها ولكن " لم يحس أحد منهم ولا من أعضاء المجلس أنفسهم بأن له ذلك الحق الذي يقتضيه تشكيل هذه الهيئات الشورية لأن مبدع المجلس قيده في النظام وفي العمل"[٣]. مما أدى إلى ظهور التيار الوطني، حيث بدأت الحركة الوطنية تقوى وتشتد وبدأت تقترح وتطالب بالحقوق وتشكلت أول وزارة وطنية برئاسة شريف باشا سنة ١٨٧٩م.

وبازدياد الأطماع الاستعمارية في مصر، اعتزم إسماعيل أن ينضم إلى الحركة الوطنية لعله يجد في قوة الرأي العام المصري ممثلاً في مجلس النواب ما يخلصه من تحكم الأجانب وسندهم نوبار باشا، وقد تزعم الحركة الدستورية في ذلك الوقت عبد السلام المويلحي داخل مجلس شورى النواب ومحمد شريف باشا أحد أبطال الحركة الوطنية خارج المجلس[٤]، ويبدو أن إسماعيل كان يحاول إنشاء طبقة تدين له بالولاء وتمده بالرجال الأكفاء لتحل محل العنصر التركي الذي يعد قادراً على مد إسماعيل بالعناصر التي تستطيع معاونته في الحكم والوقوف بجانبه وخاصة في الأزمة المالية، والتي طوقت البلاد بالقيود[٥].

---

(١) عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل – جـ٢ – ط٣ – مرجع سابق، ص ٨٩.

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية – مرجع سابق ، ص ٢٢، ٢٣.

(٣) محمود أبو رية: جمال الدين الأفغاني (نوابغ الفكر العربي) – ط٣– القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٠م ، ص٩.

(٤) عمر عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر– مرجع سابق، ص ١٩٩.

(٥) حسين فوزي النجار: أحمد لطفي السيد أستاذ الجيل (أعلام العرب) – العدد ٣٩ – القاهرة – مطبعة مصر – ١٩٦٥م، ص ٣٣.

وإذا كان إسماعيل عمل على تحرير البلاد من بقايا السيادة التركيـة إلا أنـه لم يتفاد التدخل الأجنبى المالى والسياسى. بل إنه تسبب فى تطويـق مصـر بسلاسـل هذا التدخل حتى صار لهم نفوذ انقلب إلى حقوق ومزاعم ادعوها. وما لبثوا أن نالوها بإنشاء صندوق الدين. وفرض الرقابـة الثنائيـة علـى ماليـة البـلاد. وتعيـين وزيريـن أجنبيين فى الوزارة المصرية. بدلاً من المصريين أصحاب البلد الحقيقيين[1].

فالتدخل الأجنبى فى شئون البلاد، وخضوع الحكومة لمطالب الدول وقبولها الوصايـا الأجنبيـة علـى شـئونها الماليـة، واشـتداد الحكومـة فـى إرهـاق الفلاحـين بالضرائب، جعلت الناس يتبرمون لهذه الحالة السيئة، ومن هنا نشأت نهضة عامـة هدفها التطلع إلى الإصلاح. وساعد على ذلك ظهور الصحافة ونشر المقالات الوطنية، قد ظهر فى ذلك الوقت جمال الدين الأفغـانى الـذى وصـل إلى مصـر سـنة ١٨٧١م، وكان يحمل أينما سار علم الحرية والاستقلال، وكانت لآرائه هذه التى غرسـها أثـار طيبة فى إيقاظ المشاعر الإنسانية الكريمة التى دعا الإسلام لها وأراد أن يقيـم عليـها أتباعه من الحرية والعزة والكرامـة"[2]. فكـانت رسـالته إلى الشـرق وعلـى الخصـوص مصر مبعث نهضة حديثة.

ولمع اسم الإمام محمد عبده وهو تلميذ جمال الدين الأفغانى، فقـد ظـهر هـو وأنداده من رواد الوعي والكفاح، ورأوا أن يسلكوا فى اتجاهـهم الوطنـى مسـلكاً آخـر بعيداً عن السياسة يكون أجدى على الشعب وأقرب إلى تحقيق حاجاتـه، فدعـوا إلى التربية القومية وإعداد الجيل بالتعليم والتوجيه، ولما راجت الصحافـة بتعبيرهـا عـن هذه الاتجاهات الوطنية التف الجميع حولهم فأنشأوا "الجريدة" و"الوقائع المصرية"و غيرها وقد حوت الصحافة" المسألة المصرية فى آفاقها[3].

ولما كانت الدول الأوربية قـد تدخلـت فـى شـئون البـلاد لتحقيـق أغراضـها الاستعمارية، فقد "بدأت هذه المطامع تتحـرك نحـو أهدافـها مـن سـنة ١٨٧٥م حـين

---

(1) عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل – جـ ٢ – ط٣– مرجع سابق،ص ٧٧، ٧٨.

(2) عبد الكريم الخطيب: الخلافة والإمامة – بيروت – دار المعرفة للطباعة والنشر – ١٩٧٥م ، ص ٣٩١.

(3) وداد سكاكيني: قاسم أمين (نوابغ الفكر العربى) – مرجع سابق، ص ٨، ٩.

اشترت إنجلترا أسهم مصر فى قناة السويس. فإن هذه المأساة كانت نذيراً بتوثب إنجلترا لبسط يدها على البلاد وكانت فرنسا تطمع فى أن يكون لها من النفوذ فى مصر مثل ما لإنجلترا"[1]. ولكن إسماعيل صرف نظره عن فرنسا وتحول إلى إنجلترا. وأصبح يتقرب إليها منذ افتتاح قناة السويس سمة ١٨٦٩م. حيث انتهزت إنجلترا فرصة ارتباك إسماعيل المالى لكى تزيد فى ورطته. وتجلت هذه النية واضحة فى شرائها أسهم مصر. ومن ثم فإن هذه الصفقة كانت أول ضربة صوبتها إنجلترا إلى صرح الاستقلال المصرى[2].

وعندما تفاقم الخلاف بين الخديوى إسماعيل والدائنين، سعت إنجلترا إلى خلعه فكان ختاماً للسياسة الودية التى اتبعها إسماعيل، وتولى الحكم توفيق (١٨٧٩ - ١٨٩٢م) وكان فى أوائل عهده يعد جمال الدين الأفغانى وتلاميذه من أخلص أنصاره"ويظهر أنه قبل ارتقائه إلى العرش كان قد عاهد جمال الدين وخاصته على أنه إذ آل إليه الأمر أيدهم فى جهودهم الإصلاحية ولكنه لم يكد يرتقى العرش حتى اصدر أمره بنفى جمال الدين"[3] كما فصل عبده من خدمة الحكومة وأعيد إلى قريته وحذره من القيام بأى نشاط.

وإذا كان التدخل الأجنبى هو المسئول عن اتجاه توفيق إلى الحكم المطلق، فإنه اتصف بضعف الشخصية، ورأى أن الحركة الدستورية مجرد زنية، وأقنع نفسه بأن البلاد غير مهيأة للنظام الدستورى، وأمر شريف بالاستقالة من الوزارة، ونصب نفسه رئيساً للوزراء، وما أن فشل فى ذلك حتى استدعى مصطفى رياض من منفاه وعينه رئيساً للوزراء[4].

---

(1) عبد الرحمن الرافعى: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى - ط٣- القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر - ١٩٦٦م ص ٢٤.

(2) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل - جـ٢ - ط٣ - مرجع سابق، ص ٥٨.

(3) محمود أبو ريه: جمال الدين الأفغانى (نوابغ الفكر العربى) - مرجع سابق ص ٣٧.

(4) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية - مرجع سابق ، ص ١٠٨.

ولقد أدى ذلك إلى قيام ثورة وطنية. فقد هب الرأى العام بسبب نفى جمال الدين الأفغانى واستقالة شريف وتدخل الأجانب فى الوزارة المصرية. وتولية مصطفى رياض الوزارة و لا سيما بعد أن حكم حكما استبداديا وملأ السجون والمعتقلات بالوطنيين. ويضاف إلى ذلك فرض الرقابة الثنائية على مالية البلاد من قبل الدول الأوربية. وتأليف لجنة دولية للنظر فى الشئون المالية والإدارية[1]. ووقفت مصر تحاول المقاومة، وبرز الجيش على مسرح الحياة ومن خلفه وقفت الأمة، فكانت حركة فبراير سنة ١٨٨١م ، والتى قادها عرابى وزملاؤه واتهمته الحكومة بالتمرد والعصيان وأحالتهم إلى مجلس عسكرى لمحاكمتهم، ولكن أطلق سراحهم بعد ذلك، لأن الطبقات المتعلمة والمثقفة، المتطلعة إلى الحياة الدستورية أرادت أن تضع حدا عاجلا لشقاء البلاد[2]، وازدادت الأزمة تفاقما وأدت إلى وصول محمود سامى البارودى إلى الوزارة فى ٥ فبراير سنة ١٨٨٢م وأقيل وزير الحربية وتصاعد الموقف حتى أدى إلى قيام الثورة العرابية، وقد اتفق الجميع على تأييد تلك الثورة وإن لم يتفق البعض فى الاتجاه الثورى وخاصة زعماء الإصلاح الدينى والاجتماعى، حيث كان هذا الفريق الذى يمثلهم قاسم أمين " "يؤمن بالإصلاح طريقا للتقدم والتطور ويرفضون الثورة"[3]، إلا أن تلك الثورة انتهت بالفشل لأنها أحبطت بدواعى من الدسائس الخارجية والتى أدت إلى احتلال إنجلترا لمصر[4].

وانتهت الثورة باحتلال الإنجليز لمصر ونفى وتشريد الكثير من رواد الإصلاح فى مصر، وفى تلك الآونة عاش قاسم أمين خارج البلاد حينما بعث للدراسة فى فرنسا، فهو الذى ترك بلاده تنبض بالآمال وتموج بحركة وطنية وتحريرية، وخاصة

---

(١) عبد الرحمن الرافعى: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى – مرجع سابق، ص١٠.

(٢) ماهر حسن فهمى : قاسم أمين (أعلام العرب) – القاهرة – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – ١٩٦٣م، ص٣٦.

ومحمود الخفيف: أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه – ط١ – القاهرة – مطبعة الرسالة ١٩٤٧م، ص ٧٩.

(٣) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص١١٧ بقلم محمد عمارة.

(٤) عباس محمود العقاد : سعد زغلول (تراجم وسير) – مجلد ١٨ – بيروت – دار الكتاب اللبنانى – ١٩٨٠م، ص ٧٧.

أنه حضر مقدمات الثورة العرابية قبـل بعثتـه عندمـا التقـى بجمـال الديـن الأفغـاني وسعد زغلـول ومحمـد عبـده وعبـد الله النديـم. وفـى بـاريس تـابع تطـور الأحـداث المحزنة والتقى بالأفغانى ومحمد عبده فى باريس عندما نفيـا. واشـترك معـهما فـى جريدة العروة الوتقى حيث عمل مترجماً لمحمد عبده"[1].

وأصبحـت إنجلـترا صاحبـة السـلطان المطلـق بعـد أن احتلـت البـلاد سـنة ١٨٨٢م بدعوى القضاء على تمرد العرابيين والمحافظة على حقوق الدائنين. علـى أن تترك البلاد بعد أن تستقر الأمور. ولكــن مـا حـدث كـان عكـس مـا تظـهره، حتـى صارت إنجلترا صاحبـة السـيادة الحقيقيـة والسـلطة الفعليـة؛ فـأصبح قـائد البوليـس إنجليزياً. وفى كل وزارة كان يوجد مستشار كلمته هى القـانون، وأصبـح كرومـر هـو السلطان المطلق والذى عمل على خنق أى سيادة للخديو توفيق، وقد سعى الاحتــلال إلى أن"ألغى النظام الدستورى الذى نالته البلاد من قبل والذى كان يمثل أداة لمقاومة التدخل الأجنبى والحد من سلطة الفرد"[2]. وأبدلــه بنظـام آخـر يتمثـل فـى مجلـس شورى القوانين والجمعية العمومية وهذا يفسر أن إنجلترا كان هدفها تعطيـل الحيـاة النيابية فى البلاد.

ولما كانت سياسة الاحتلال هى السيطرة على مصر وممارســة حقوقـه بنفسـه فإنه ادعى" أن المصريين ليسـوا أهـلاً لممارسـة الحقـوق الدسـتورية أو أن يكـون لهـم مجلس نيابى وحكومة ديمقراطية بالمعنى المفهوم فى الغرب، ولهذا ينبغى التدرج فى إعداد المصريين لأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم. وانتقد المجالس النيابية بأنها لم تكـن تمثل الأهالى وإنما كان أعضاؤها من الأعيان وكبار الملاك الذين لا يشعرون بمـا يشـعر به الفلاحون"[3].

وبذلك فقدت مصر استقلالها وتمثيلها النيابى، حتى أخـذت إنجلـترا تزعـم أنها ستعنى بتربية المصريين وتدريبهم على حكم أنفسهم واستلام مقاليد الأعمال فـى

(١) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق – المقدمة بقلم أحمد بهاء الدين، ص ١٢، ١٣.

(٢) عبد الرحمن الرافعى: مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال – مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٣) أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: التاريخ القومى – مرجع ساق، ص١٧.

بلادهم وعرضت على السلطان عبد الحميد في الآستانه أن تغادر مصر على أن تعود إليها لحفظ النظام والأمن ولكن السلطان رفض أن يبرم اتفاقية في ذلك مع إنجلترا كما طلبت هي[1].

وهكذا نرى أن الإنجليز قد تدخلوا في كل شئون البلاد. وتحكموا في كل أمورها ووزرائها وإدارتها. فرضوا أنفسهم في كل مكان، حتى نجد قاسم أمين يعبر عن ذلك بقوله "إن القنصليات الأجنبية تشكل داخل بلادنا ممالك مستقلة كل الاستقلال تمتد سلطتها ليس فقط على مواطني بلادها، بل كذلك على عدد كبير من الرعايا المصريين.. إن مصر تقوم بحماية أرواحهم وممتلكاتهم ... وقد يتدخل القنصل لفرض مطالبة، ولكن مصر لا تملك الحق في أن تطلب إلى هؤلاء القناصل أنفسهم أن يحترموا قوانينها، بل إنه ممنوع عليها أن تحقق مع أي لص أو قاتل من هذه الفئة.. هل يمكن أن نتصور حقاً أن تستطيع بلد أن تسير وقد شدت أقدامها في أغلال ثقيلة؟ وكيف نستطيع ضمان الأمن والنظام والرخاء في بلادنا حين تعترض أوربا طريق مبادراتنا وقراراتنا وأفكارنا؟ وكيف يستطيع المصريون أن يتهيأوا لكي تكون مصر للمصريين في حين أن أوربا القوية تريد أن تكون مصر للأوربيين"[2].

وعندما تولى الخديوى عباس حلمي الثاني الحكم في ١٨٩٢/١/٨م بموت أبيه، حاول إثبات وجوده، فأقال الوزارة وعين أخرى برئاسة حسين فخرى فرفض كرومر، حيث إنه كان يرغب في عودة مصطفى فهمي رئيساً للوزارة مرة أخرى، وأوشكت الأزمة أن تطيح بعباس لولا أن ألف رياض الوزارة في ١٨٩٢/١/١٩ م ليحل محله نوبار بعد عامين فيبقى عاماً ثم يعود بعده مصطفى فهمي ليبقى ثلاثة عشر عاماً رئيساً لأطول الوزارات عمراً في تاريخ مصر[3].

والواقع أن عصر عباس الثاني كان يتميز عن عصر توفيق – وخاصة في الناحية السياسية والوطنية – بتغيرات واضحة، حيث نشطت الحركة الوطنية

---

(١) عباس محمود العقاد: سعد زغلول – مرجع سابق، ص ٩٥.

(٢) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص ٣٤٠.

(٣) عبد الحليم الجندي: الإمام محمد عبده – مرجع سابق، ص ٧٥، ٧٦.

بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد والتى تمثلت فى مقاومة الاحتلال وخاصة بعد أن طلبت إنجلترا بإلغاء الجيش المصرى وإلغاء مجلس النواب.

واستناداً لما سبق نجد أن الصراع فى تلك الفترة كان يدور بين قوى ثلاث هى. الاحتلال والخديو والقوى الوطنية بتجاهاتها المختلفة والتى تثقفت بفضل البعثات التى اهتم بها محمد على. وما كاد القرن التاسع عشر ينتهى حتى أخذت الاتجاهات السياسية والوطنية تكوّن أحزاباً تعبر عن وجهة نظرها فى القضايا المختلفة. فتكوّن الحزب الوطنى وتزعمه مصطفى كامل. وتكون حزب الإصلاح وتزعمه الشيخ على يوسف. وكان "بين هؤلاء الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغانى وانضم إليهم قاسم أمين وسعد زغلول. وقد اجتمع هؤلاء لا لأن يكونوا حزباً ولا ليدافعوا عن فكرة سياسية بعينها. وإنما هى الحوادث والميول التى ربطت قلوبهم" [1]. لأنهم آمنوا أن استقلال البلاد لا يتم إلا بالاستقلال الفكرى والسياسى والذى يأتى عن طريق الإصلاح، وخاصة بعد أن رأوا أن الوطنية المصرية قد فقدت قليلاً من الثقة وخاصة بعد فشل الثورة العرابية. لكنها بدأت تنشط على أسس أخرى تخلو من الكفاح العسكرى وتنهض على الكفاح الفكرى، ونمت فى أعقاب القرن الماضى تلك الفئة المثقفة الواعية" التى مثلت فى مصر نفس الدور الذى قامت به الطبقة الوسطى المستنيرة فى إنجلترا وفرنسا. فكانوا هم رسل الحياة الأوربية" [2]، وكانوا هم زعماء الإصلاح، درس الكثير منهم القانون ودرس بعضهم الفلسفة، وتعمق بعضهم فى دراسة الفقه الإسلامى. فكانوا زعماء الفكر فى مصر. وكان منهم قاسم أمين والذى تدور الدراسة حوله. والذى اتجه إلى الإصلاح الاجتماعى، الذى يتأتى عن طريق التربية ونشر الوعى والثقافة بين أبنائه.

---

[1] أحمد خاكى: قاسم أمين (أعلام الإسلام) – مرجع سابقو ص ٣٤.
[2] المرجع السابق:،ص٣٤.

ثالثاً : الحياة الفكرية والثقافية:

مع مطلع القرن التاسع عشر بدأ الوضع في مصر يتغير، وخاصة بعد مجيء الحملة الفرنسية "حيث انكسرت للمرة الأولى جدران العزلة التى فرضت على البلاد"(١)، وانفتحت مصر على العالم بفضل الحملة الفرنسية والتى كانت تنبيهها للمجتمع المصرى إلى ثروته الكامنه وعودته إلى مجده القديم(٢)، حيث تبين مدى تخلفه تحت الحكم التركى، وأدرك أن وسيلة الحياة فى العصر الحديث هى المدنية الحديثة ومواكبة ركب التقدم العلمي والتخلص من الرجعية والجمود اللذين نشرهما الأتراك في مصر(٣).

وإذا كانت الحملة الفرنسية تركت بصماتها على النواحي الثقافية والفكرية فى مصر فى القرن التاسع عشر، إلا أن الشعب المصرى بدأ يعى ذلك، ويتطلع إلى التغيير، وقد كان ظهور محمد على من العوامل التى ساعدت على إحداث التغيير في البلاد"(٤). من خلال تحقيق آماله في وادى النيل وتكوين دولة حديثة تقوم على النمط الأوربى الحديث.

فقد شهدت مصر على يد محمد على تقدماً وخاصة فى النواحى الثقافية والفكرية، وكان من أجل هذه الأعمال، توجيه جزء كبير من جهوده إلى إحياء العلوم والآداب في مصر وذلك بنشر المدارس على اختلاف درجاتها وإرسال البعثات العلمية إلى أوربا، واقتباس النظم الأوربية الحديثة، فأسس الدولة الحديثة، حيث أخذ من الحضارة الأوربية خير ما أنتجته العلوم والقرائح، فنهض بالأفكار والعلوم

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى: حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث – القاهرة – جامعة الدول العربية (معهد البحوث والدراسات التربوية – ١٩٧١م، ص ٣٢.

(٢) محمد بديع شريف وآخرون: دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية – (د.ت)، ص ٣٢.

(٣) أبو الفتوح رضوان : القومية العربية – القاهرة – مكتبة عين شمس – ١٩٧٣م، ص ١٢٩.

(٤) سيد إبراهيم الجيار: تاريخ التعليم الحديث فى مصر وأبعاده الثقافية – القاهرة – دار الثقافة – ١٩٧٦م، ص٣٥.

في مصر نهضة كبرى كانت أساس تقدم مصر العلمي الحديث[1]، تلك النهضة الثقافية والفكرية التي عاشتها البلاد. قال عنها قاسم أمين "تهيأ المصريون لدراسة العلوم والفنون ولحكم أنفسهم بأنفسهم. وكانت التجربة في صالحهم ولخيرهم ثم أنهم لم يكتفوا فقط بتعلم الدروس الأولى التي تلقنوها على عجل، بل إنهم عرفوا كيف يستخدمون معارفهم"[2] في تحقيق مطالبهم والتطلع إلى مستقبل بلادهم.

وعندما تولى عباس الأول الحكم (٨٤٩ – ١٨٥٤م)، انعكست الأوضاع وتغيرت الحياة الثقافية والفكرية، وعدت فترة حكمه من الفترات المظلمة في تاريخ مصر الثقافي والفكري، حيث يصح اعتبار عصر عباس، عصر رجعية، ففيه وقفت حركة التقدم والنهضة التي ظهرت في عهد محمد علي، وفي عهده أيضاً أغلقت المدارس وساءت أحوالها[3].

ولم يكتف عباس بإهمال التعليم، بل أهمل أيضاً الصحافة، وصودرت الصحف. وما تبقى منها كانت تحت الرقابة، حيث قيد حريتها مثلما فعل تجاه الوقائع المصرية، حيث أوصى بعدم نشر شيء يختص بالسياسة، بل يجب انحصار موضوعاتها في أخبار ما يحفر من ترع وما ينشأ من جسور وقناطر بعد أن كانت تتناول موضوعات، قوامها الثقافة السياسية ونظم الحكم"[4]، وبذلك أهملت الجوانب الفكرية والتي تعبر عن آمال الشعب.

ولما تولى سعيد الحكم في ١٦ يونيو سنة ١٨٥٤م كان من المنتظر أن تنتعش الحركة التقدمية ويزداد الاهتمام بالتعليم، وذلك لما عُرف عن سعيد من أفكار تقدمية ومعرفة وثيقة بالثقافة الأوربية الحديثة، ولكن لم يمض شهور قليلة من حكمه حتى أصيبت المدارس بحالة من التقهقر والفوضى. ورأى من الحكمة إغلاقها نهائياً بدلاً

(1) عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي – ط٤ – مرجع سابق، ص ٣٩٧.
(2) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – ج١ – مرجع سابق، ص ٢٧٣.
(3) عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل – ج١ – ط٣ – مرجع سابق، ص ١٥ وما بعدها.
(4) سيد إبراهيم الجيار: تاريخ التعليم الحديث في مصر وأبعاده الثقافية – مرجع سابق –، ص ٤٣.

من السعى فى تنظيمها. حتى ديوان المدارس قد ألغى[1]. ولم يقف الأمر عند هذا. بل بادر الوالى إلى إلغاء المدارس الأربع القائمة وقتئذ وهى المبتديان والتجهيزية والمهندسخانة والطب، و ذلك بحجة الرغبة فى تجديدها، لأنها لا تؤدى الغرض المطلوب. فى الوقت الذى اهتم فيه بالتعليم الأجنبى[2].

وإذا كان سعيد قد أهمل التعلم إلا أن عصره تميز "بظهور وطنية جديرة بأن تعد دوراً من أدوار الحركة القومية فى تاريخ مصر الحديث"[3]. حتى "نما هذا الاتجاه على أثر إصلاحات سعيد التى فتحت المجال أمام الطبقة الوسطى فى سلك الوظائف، بل وفى الجيش الذى أمكن فيه الترقى"[4].

ولقد وصف قاسم أمين الحياة الثقافية والفكرية فى تلك الفترة بقوله: "إذا كان محمد على عقلية فذه، فليس من الممكن أن يقال مثل هذا عن خلفائه، فهم لم يبدعوا شيئاً، وليس ذلك فحسب، بل لم يعرفوا كيف يحافظون على ما خلفه لهم أبوهم... ولا شك فى أن التاريخ سيكون قاسياً مع هؤلاء الذين عرضّوا للضياع هذا العمل القيم، وخاصة إسماعيل، ذلك الرجل الذى كان حاكماً عظيماً. فهو كان كذلك شديد التبذير، على أن الحقيقة تفرض علىّ أن اعترف بأنه على جانب الآلام التى جرّها على بلاده، فإن مصر تدين له بنشر التعليم"[5].

ففى الفترة التى حكم فيها إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩م) شهدت البلاد تقدماً فكرياً وثقافياً، فقد اقترن عصر إسماعيل بالنهضة العلمية والأدبية التى ظهرت إبان النصف الثانى من القرن التاسع عشر ولهذه النهضة عوامل شتى، أولها انتشار التعليم فى المدارس والمعاهد، وظهور طائفة من العلماء والأدباء .. إذ كان يشجع

(١) عبد الرحمن الرافعى: عصر إسماعيل - جـ١ - ط٣- مرجع سابق، ص ٤٨.

(٢) أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر - جـ١ - عصر عباس وسعيد - القاهرة- مطبعة النصر - ١٩٤٥م، ص١٧٥.

(٣) عبد الرحمن الرافعى: عصر إسماعيل - جـ١ ط٣- مرجع سابق، ص ٢٩.

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية - مرجع سابق، ص ٨٣.

(٥) قاسم أمين: الأعمال الكاملة - جـ١ - مرجع سابق،ص ٢٧٣.

أكثرهم ويعضدهم" وإلى جانب التعليم عتنى بالجمعيات العلمية والطباعة والصحافة ،كما نشطت حركة التأليف والترجمة والنشر

ومن مظاهر النهضة الفكرية والثقافية التي ظهرت في عصر إسماعيل والتي عاشتها البلاد. الإصلاحات التي امتدت ى الأزهر ومعاهد التعليم الديني. فقد "صدر أول قانون نظامي للأزهر ١٢٨٨هـ - ١٨٧٢ م والذى نظم طريقة الحصول على الشهادة العالية وبين موادها ورتبها على ثلاث درجات على أن تصدر بها براءة من ولى الأمر " كما تحددت المواد التي يؤدى فيها الامتحان وهي: الأصول. الفقه، التوحيد. الحديث. التفسير. والنحو. الصرف، المعاني. البيان، البديع والمنطق"[٢]. وبهذا استعاد رجال الأزهر مكانتهم في ظل حكم إسماعيل" وظل الأزهر كما كان المعين الذى استمدت منه النهضة العلمية والأدبية عناصر الحياة"[٣]. والتي كان لها دورها في تنمية الوعى القومي في البلاد.

وبرز دور جمال الدين الأفغاني والذى جاء مصر سنة ١٨٧١م ، حيث التف الجميع حوله "فنفخ في الأزهر روح النهضة، غرس فيه مبادىء التقدم الفكرى والعلمي"[٤]، فقد أخذ ينشر تعاليم الإسلام. و عمل على تحرير العقول من الخرافات والجهل والدعوة إلى نشر الحرية والمطالبة بالاستقلال.

ويعد جمال الدين الأفغاني من الذين كان لهم الفضل في ظهور الصحافة في مصر، ونمو المدارس الفكرية التي قامت في مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والتي كان من تلاميذها قاسم أمين، تلك المدرسة الفكرية التي كان لها دورها في الإصلاح السياسي والاجتماعي والديني. وقد فكر جمال الدين الأفغاني في إنشاء صحيفة هزلية تنتقد حكم إسماعيل ،فتجاوب معه كل من يعقوب صنوع ومحمد عبده. وحققت صحيفة" أبو نضارة " شعبية واسعة ولكنها

---

(١) عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل - جـ١ - طـ٢ - مرجع سباق، ص ٢٥٤.

(٢) محمد عبد الله عنان: تاريخ الجامع الأزهر - طـ٢- القاهرة - مؤسسة الخانجي - ١٩٥٨م،ص ٢٥٣.

(٣) عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل - جـ٢-طـ٣- مرجع سابق، ص٣٠٣.

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٠٣، ٣٠٤

صودرت بعد ذلك بقليل. كما قام جمال الدين الأفغاني بتشجيع ميخائيل عبد السيد على إنشاء صحفية "الوطن" وتوالت ظهور الصحف، فظهرت جريدة "مصر" و"مصر الفتاة" و "التجارة"[1]. كما نهضت الوقائع المصرية" وأسند تحريرها إلى أحمد فارس الشدياق، وكانت تطالع الناس بالمقالات التى ساعدت على نضوج الوعى،كما ظهرت صحف أخرى مثل "الجريدة العسكرية المصرية" و "اليعسوب الطبية"و"روضة المدارس" وغيرها[2].

ولم يقتصر النشاط الفكرى والثقافى على هذا، بل ألفت الجمعيات العلمية التى لا تعتمد على معونة الحكومة فى تأدية رسالتها، فتألفت جمعية المعارف لنشر الثقافة عن طريق التأليف والترجمة والنشر وأنشأت دار الأوبرا[3]، كما نشطت الصحافة وخاصة مع حكم توفيق (١٨٧٩– ١٨٩٢م)، حيث استمرت فى الهجوم على الحكم الثنائى، رغم أنها أبدت شيئاً من العطف على توفيق فى أوائل عهده، ما لبثت أن هاجمته هو ورياض لخضوعهما للسيطرة الأجنبية"[4].

والواقع أن الحركة الفكرية التى ظهرت بعد سنة ١٨٨٢م لم تكن إلا تكملة للحركة الفكرية التى نشأت فى عهد إسماعيل أو بمعنى أوضح ما هى إلا نتيجة للحركة القومية العامة التى بدأت فى عهد محمد على، هذه الحركة الفكرية قد اضطربت أثناء قيام الثورة العرابية، وخاصة بعد أن نشطت الصحافة متأثرة بالثورة ومطالب العرابيين، إلا أن الحكومة أصدرت التعليمات بتقييد حرية الصحافة[5].

ولما انتهت الثورة العربية بهزيمة الجيش المصرى ووقوع البلاد فى قبضة الإنجليز وسيطرتهم عليها، خيم الظلام وساءت الحياة السياسية،كما ساءت الحياة الثقافية والفكرية إلا أن زعماء الفكر والثقافة رأوا أن فشل الثورة لم يكن يرجع إلى

---

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية – مرجع سابق، ص ٨٦.

(2) ماهر حسن فهمى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ١٣.

(3) المرجع السابق:، ص١٤.

(4) أحمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية – مرجع سابق ص ١٣٢.

(5) عبد الرحمن الرافعى: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى – مرجع سابق، ص ١٧٩

عوامل سياسية بل إلى عوامل ثقافية وفكرية وأن ميدان المعركة يجب أن يتحول من حقل السياسة إلى حقل التعليم والوعى القومى[1]، وأخذ زعماء الحركة الثقافية بتبصير الشعب بأهمية التعليم ودوره فى إيقاظ العقول من غفوتها.

وعندما تولى عباس الثانى الحكم فى سنة ١٨٩٢م حذا حذو أبيه، فقد تعاطف فى بداية حكمه مع الحركة الوطنية ورجالها، واصطنع صحافة له بقصد معاونته ومن أجل مصلحته الخاصة وسرعان ما فقد تأييدها[2]. هذا ما شجع على إيقاظ الوعى الفكرى، وتعدد الصحف، فنشأت "الأهرام" وأصبحت أكثر الصحف انتشاراً حتى أصبحت الجريدة الوطنية الوحيدة فى ذلك الوقت المبكر من الاحتلال، حيث أفسحت المجال لمقالات مصطفى كامل وغيره، وبجانب الأهرام ظهرت صحف أخرى مثل "مرآة الشرق" و"الصادق" و "المحروسة" والمؤيد" والمقطم" والمنار" و"الجريدة" و "الأستاذ" "إلى جانب الصحف الإقليمية والتى لعبت دوراً بارزاً فى تناول مشاكل المجتمع[3].

وإذا كانت الصحافة قد لعبت دوراً مهماً فى دوراً مهماً فى تطور النهضة الفكرية والثقافية، فلا يمكن إغفال دور "العروة الوثقى "التى أصدرها جمال الدين الافغانى وتلميذه محمد عبده – وخاصة بعد نفيهما عقب الثورة العرابية – حيث "عادت صلات قاسم أمين مع الأفغانى ومدرسته فكان (المترجم) الخاص بالإمام محمد عبده فى باريس"[4]. حيث كان دورها محصوراً على "تهييج مصر والهند والرأى العام الإسلامى على إنجلترا وتحث الدولة العثمانية على تخليص مصر من قبضة هذا الاحتلال سواء كان بالطرق السياسية أو القوة"[5]. ولكن لم تدم طويلا حتى أوقفتها إنجلترا، وظهرت بعدها مجلة "المنار" والتى تعد امتداداً "للعروة الوثقى

---

(١) جرجس سلامة : أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر (١٨٨٢– ١٩٢٢) – مرجع سابق، ص ٣٥.

(٢) عبد الغفار محمد حسين: صفحات من تاريخ العرب المعاصر – مكتبة سماح بطنطا – ١٩٧٨م، ص٣.

(٣) المرجع السابق: ص٨.

(٤) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ ١ – مرجع سابق، ص٢١ بقلم محمد عمارة.

(٥) عبد الغفار محمد حسين: صفحات من تاريخ العرب المعاصر – مرجع سابق، ص ٩.

"حتى ازدهرت على يد الشيخ رشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده"[1]. وجملة القول إن أسباب اليقظة تعددت فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وأخذت بوادر الفكر فى مصر تتجلى فى الحركات الوطنية والدعوة للإصلاح والتغيير وكانت المشاعل الأولى قد ارتفعت فى أنحاء البلاد بعودة المبعوثين الذين تعلموا فى الغرب، حيث كان قاسم أمين أحد هؤلاء المبعوثين. فأخذوا بالاقتباس من ثقافة الغرب وبمناهج تفكيره، وأخذوا بتأليف الكتب ونشر الوعى القومى والاهتمام بالصحافة والتعليم.

تلك اليقظة التى عاشتها مصر قد وصفها قاسم أمين بقوله "وقد هبت على البلاد أنسام العلم، فأخذ الناس جميعاً يتسابقون رغبة فى التزود بالمعارف والثقافة، وهم يدركون أن هذا هو السبيل الممكن الوحيد من أجل النهضة، "ومنذ ثورة عرابى والشعب المصرى يعى بقدره وبكرامته، وقد تفتح فكره وأخذ يهتم بالمسائل العامة للدولة، يقيمها عليها حكمة، وكانت الصحافة وحرية الدفاع ونشر جلسات المحاكم هى أحسن مدرسة تعلم فيها الشعب وعرف عن طريقها حقوقه "وقد تيقظت مصر"[2].

ومن مظاهر تعدد أسباب اليقظة التى عاشتها مصر فى الفترة التى عاش فيها قاسم أمين هو نشاط الكتّاب والكتابة، خاصة بين كتّاب الغرب وكتّاب الشرق، حيث تعرض جمال الدين الأفغانى لقضية الهجوم والنقد الذى وجه للعرب والمسلمين من قبل الكاتب الفرنسى"رينان"[3]. "والذى سلب العرب والإسلام من كل ميزة علمية، وكان النقاش قد دار بين محمد عبده و "هانوتو"[4]. Hantoto حول ذات الله والقضاء والقدر، حيث نشر "هانوتو" مقالاً عن الإسلام تعرض فيه للمقارنة بين

(1) المرجع السابق، ص١٠.

(2) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص٣٤٢.

(3) أرنست رينان: أحد كتاب الغرب، التقى بجمال الدين الأفغانى فى باريس سنة ١٨٨٣م وكان يرمى الإسلام بالتأخر والجمود وما أن غير نظرته بعد المحاضرة التى ألقاها جمال الدين الأفغانى فى السربون عن الإسلام رداً عليه.

(4) هانوتو: هو وزير خارجية فرنسا فى ذلك الوقت ، وقد قام بحملة ضد الإسلام رد عليه محمد عبده.

المسيحية والإسلام واتهم الإسلام بالجمود. وأن المسيحية قائمة على حرية الإنسان وحرية إرادته، ورد عليه محمد عبده ونشر هذا الرد بجريدة المؤيد، وأيضاً تعرض قاسم أمين لهجوم آخر تمثل فى الكاتب الفرنسى وهو الدوق داركور[1]. DUC D'HARCOURI الذى كان له كبير الأثر فى تكوين أفكار قاسم أمين، حيث كتب داراكور كتاباً سماه "المصريون" حاول فيه أن يصف مصر وصفاً خاطئاً، ونقد نظام الحكم والأخلاق والعادات التى كانت عليها الجماعة المسلمة[2]، وهذا ما جعل قاسم أمين يدعو للإصلاح ويرد على داركور بكتابه "مصر والمصريون" وأعقبه بالمقالات التى نشرها بالمؤيد.

وجملة القول إن زعماء الإصلاح قد اصطدموا بقوات الغرب، فكان فى الاصطدام نفسه الخير كل الخير، لأنه نبّه الأذهان، وهزّ المشاعر، وكانت جماهير الشعب تشارك فى مناقشة أمورها السياسية والاجتماعية وكانت تسعى إلى التعليم والثقافة، من أجل إحداث الإصلاح السياسى والاجتماعى والدينى[3]. الذى حمل أعباءه مفكرو هذا العصر، وقد ذهب كل منهم فى مجال يبحث، فمنهم من نظر إلى الخارج ومضى يحارب الاستعمار بالعمل السياسى لأنه هو أساس كل داء وتمثل ذلك فى الزعيم مصطفى كامل، ومنهم من نظر إلى الداخل ورأى أن التجديد الدينى وتنقيته من الشوائب هو نقطة البدء فى نهوض المجتمع، وتمثل ذلك فى الإمام محمد عبده، ومنهم من نظر إلى الإصلاح الاجتماعى فوجده الأساس فى كل إصلاح وتمثل ذلك فى قاسم أمين والذى تدور حوله الدراسة[4]. وانقسم رواد الإصلاح إلى فريقين "فريق يرى الثورة وسيلة للإصلاح السياسي والحكم الديمقراطى هما السبيل إلى تطور الحياة كلها... وفريق آخر لم يخلق ثورياً، وإنما وجد السبيل للترقى أفضل

---

(1) الدوق داركور: كاتب فرنسى هاجم مصر والمصريين واتهمهم بالجمود والتخلف وأن الدين هو السبب وقد رد عليه قاسم أمين.

(2) أحمد خاكى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص١٨ وما بعدها.

(3) ماهر حسن فهمي: قاسم أمين – مرجع سابق، ص١٨.

(4) قاسم أمين : تحرير المرأة مرجع سابق – ١٩٨٠م، ص ٩ المقدمة بقلم أحمد بهاء الدين .

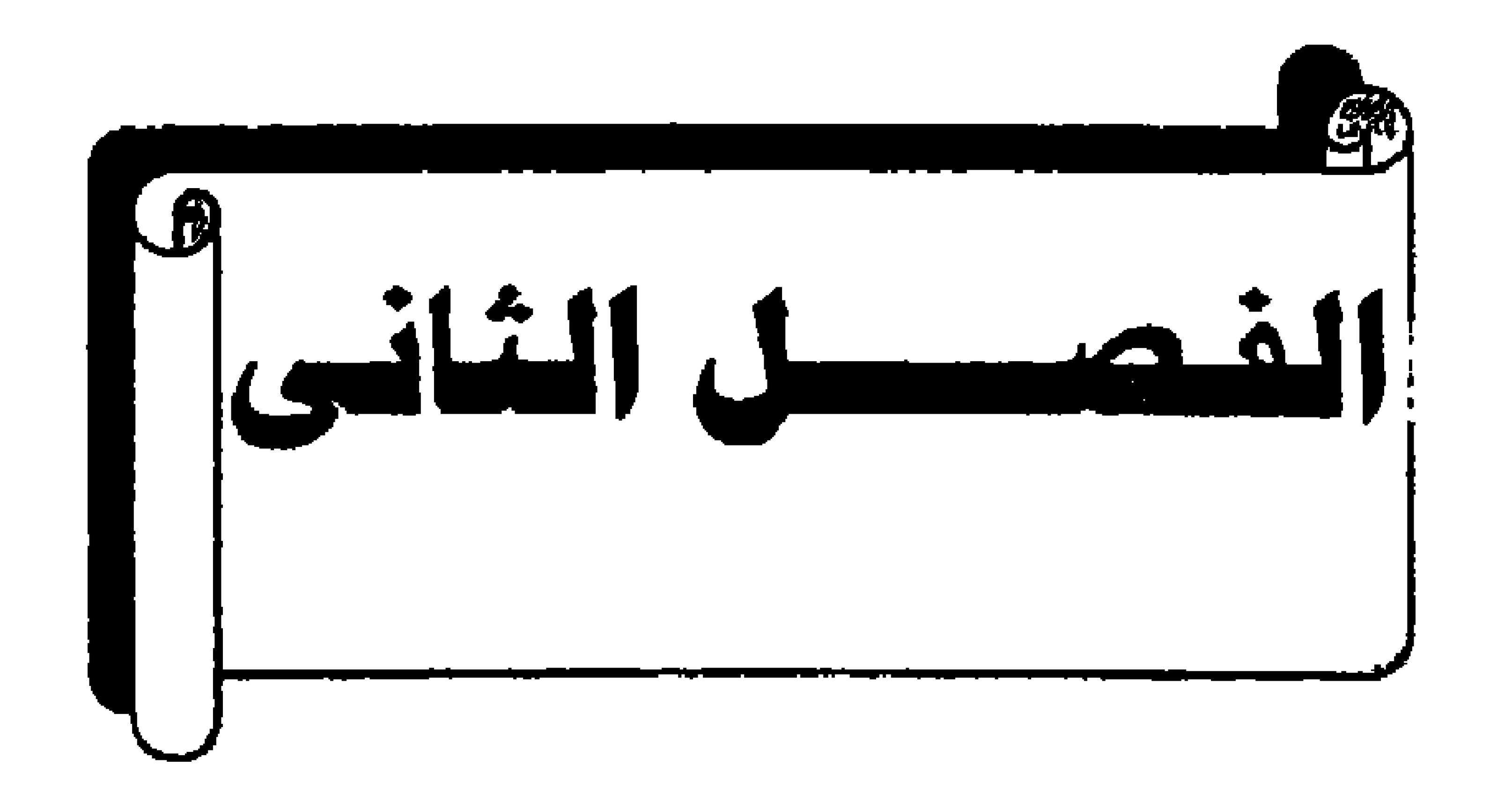
من الطفرة، والإصلاح الاجتماعي والثقافي هما السبيل إلى الإصلاح السياسي، بعد أن أدرك الشعب المثقف حقوقه"[1]. وإذا كان قاسم أمين هو أحد هؤلاء الرواد فإنه يعد " من أبناء المدرسة السياسية التي تكونت من حول الإمام محمد عبده... يؤمن أبناؤها (بالإصلاح) طريقاً للتقدم والتطور ويرفضون (الثورة)"[2]، لأن الطبيعة قد أعدتهم للإصلاح الداخلي المتمثل في النواحي الاجتماعية، حيث إن كل إصلاح إنما يبدأ في إعادة البناء الداخلي للمجتمع.

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول: إنه في وسط هذا العصر الذي اضطرمت فيه الحركة الوطنية وازداد ظلم المستعمر للشعب المصري، بدأ رواد الإصلاح في مصر يعملون على التخلص من المستعمر، برز قاسم أمين كمفكر ومصلح اجتماعي، يرى أن السبيل إلى تحرر الوطن لا يكون إلا بالتحرر الفكري والاجتماعي، وأن نأخذ الطريق السليم نحو مجتمع سليم، وذلك لأن المجتمع القوي بأبنائه وأفراده قادر على التصدي للاحتلال بكافة أشكاله، فأحدث ما يمكن أن نسميه نظرية تربوية، وهذا ما سيحاول البحث الكشف عنه من خلال فكر قاسم أمين.

---

(1) ماهر حسن فهي: قاسم أمين – مرجع سابق ص ١٨.

(2) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق ص ١١٧ بقلم محمد عمارة.



حياة قاسم أمين

تمهيد:

يهدف هذا الفصل إلى إعطاء إطار عام لتطور حياة قاسم أمين، وذلك بتوضيح المؤثرات المختلفة التي أثرت في التطور الفكري والتربوي وآثار ذلك على الآراء التربوية على وجه الخصوص. فليس الهدف هو السرد التاريخي وإنما معرفة وإبراز تأثير عصره على فكره بوجه عام والتربوي بوجه خاص.

ومن الثابت أن المفكر ابن عصره، يؤثر فيه ويتأثر به، ومن ثم يتفاعل داخل هذا المجتمع ويستجيب لقضاياه، وبإسهامه الحقيقي في تناول مشاكله.

وإذا كان المفكر هو ابن عصره ومجتمعه وبيئته، وأن قيمته تقاس بإضافته للجديد، ووضع الحلول لمشاكله، فإن قاسم أمين هو أحد هؤلاء الذين تفاعلوا مع مجتمعهم وعايشوا مشاكله، ووضع يده على أسباب تخلفه، فعمل على النهوض به والتي اقترح الحلول لها.

أولاً: المولد والنشأة:

ولد قاسم أمين "مصرياً يجري في عروقه دم كردي أورثه إياه جدد الأمير الكردي، وولد في أسرة متوسطة اليسار لم يفسدها ترف الإكثار ولم تجن عليها آثار الحاجة"[1]، فقد نشأ في بيت من بيوت الطبقة الوسطى فتحلى بما يتحلى به أبناء هذه الطبقة من حرص على دستور خلقي خاص، فأبناء الطبقة الوسطى دائماً يترفعون عن الرذيلة والتي تقترب دائماً من الطبقة الدنيا، ولم يرق إلى مستوى الطبقة العليا حيث الفراغ والمال اللذان يدفعان إلى ارتكاب الرذيلة، ولكن عاش في بيت تسيطر عليه مكارم الأخلاق من حيث الصدق، والإخلاص والأمانة والتي تربى عليها ونشأ.

فقد ولد قاسم من أب تركي وأم مصرية، فوالده هو محمد أمين، الذي كان والياً على إقليم "كردستان" إحدى ولايات الدولة العثمانية، وعندما ثارت

(1) محمد حسين هيكل: تراجم مصرية وغربية – مرجع سابق، ص ١٤٤.

"كردستان" ضد الدولة العثمانية وأعلنت استقلالها وانفصالها عن الآستانة. كان هو الوالى عليها. فمنحته الدولة العثمانية عوضاً عن إمارته إقطاعية أرض فى مصر بمحافظة البحيرة وكان ذلك فى بداية حكم إسماعيل[1].

وقد قيل إن والد قاسم أمين "لم يولد فى تركيا ولكنه ولد فى السليمانية عاصمة الكردية فى شمال العراق حالياً"[2]. ولما توفى والده (جد قاسم) تكفل أهل أمه برعايته وتربيته حتى كبر وكان ابن عمه والياً على السليمانية وقد خرج من عمله على غير رضاه، فانطلق من بلده إلى استانبول عاصمة الخليفة العثمانى ومعه الفتى محمد أمين الذى حرم حنان الأبوة وخاصة بعد قسوة ابن عمه عليه فتركه واتجه إلى مصر[3].

واختلف الرواة حول نشأة والد قاسم أمين، حتى قيل أيضاً إنه "أخذ رهينة فى الآستانة على أثر خلاف وقع بين الدولة العلية والأكراد"[4]. فى استانبول، حتى جاء حتى جاء القاهرة على ظهر سفينة شراعية فى عهد الخديوى إسماعيل، وتلقته مصر بحنانها واستقبله الكثير من الأتراك العاملين بمصر بالترحيب، وحببوا إليه الجندية حتى التحق بالمدرسة الحربية فى ذلك الوقت وتخرج منها ضابطاً نظامياً فى الجيش المصرى، وتدرج فى المناصب إلى أن صار قائداً للمرابطين فى "طرة" برتبة "أميرالاى"[5]. على عهد الخديو إسماعيل[6].

وبعد أن تنتقل والد قاسم أمين بين أرجاء الوطن، عرج إلى صعيد مصر حيث صاهر أحمد "بك" خطاب شقيق ابراهيم باشا خطاب[7]. وقد عوضته أسرة خطاب عن كل خسائره فى "كردستان"، وذلك بعد أن طال شوقه للأبوه، لأن زوجته الأولى

---

(1) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جا – مرجع سابق، ص١٩ بقلم محمد عمارة.
(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١٠ المقدمة.
(3) وداد سكاكينى: قاسم أمين مرجع سابق، ص١٥.
(4) جرجى زيدان: ترجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر – دار مكتبة الحياة – بيروت – ط٢ – جـ١ – (د. ت)، ص ٤٢٧.
(5) أميرالاى: رتبة عسكرية كانت على عيد الخديوى إسماعيل.
(6) وداد سكاكينى: قاسم أمين مرجع سابق، ص١٥
(7) المرجع سابق،ص ١٦.

والتي كانت تركية لم تنجب[1]، وقد حملت زوجته المصرية بقاسم، فجاء بها إلى الإسكندرية حيث وضعت مولودها البكر "قاسم" في الأول من ديسمبر سنة ١٨٦٣م، وقد اختلف الكثيرون في تحديد تاريخ الميلاد، حيث أشار سركيس في معجم المطبوعات العربية ومحمد رضا كحالة في معجم المؤلفين والموسوعة العربية الميسرة أن ميلاده كان سنة ١٨٦٣م. ويرجع محمد عمارة تاريخ ميلاده في أول ديسمبر سنة ١٨٦٣م[2].

وأيضاً كان الاختلاف في محل الميلاد، هل ولد في الإسكندرية أم في القاهرة بضاحية "طرة"؟ ولكن من الواضح أن قاسم أمين ولد بالإسكندرية حيث كانت الأم تقيم بها على حين أن عمل الوالد كان "بطرة". حيث عاشت الأسرة زمنا في الإسكندرية باعتبارها أقرب مدينة إلى أملاكهم الجديدة في محافظة البحيرة[3].

وقد فتح قاسم أمين عينيه على وجاهة أبيه وحياته ومكانته، والتي أثرت في تشكيل شخصيته وخاصة عندما وجد ما يشبع ظمأه للمعرفة والاطلاع في مكتبة أبيه والتي حملت كتب القانون والسياسة وغيرها، فلم تأخذ نفسه بحياة الجندية، لأن طبيعته وخصائصه كانت تعده لدراسة أخرى تلائم تفكيره وطبيعته[4].

وفي تلك النشأة تأثر قاسم أمين بالعادات الموروثة والمقتبسة من النمط التركي والأجنبي والتي تركت بصماتها على شخصية قاسم أمين، حيث اتجه إلى دراسة ترضي طموحه وتجعله في مستقبله قوة عاملة ذات أثر خالد.

ولد قاسم أمين أخريات عصر إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩م) وأوائل عهد توفيق (١٨٧٩ – ١٨٩٢م)، حيث كان كل وجه من وجوه الحياة العامة في هذا العصر يدعو إلى التفكير ونضوج الوعي، فكان الظلم يسود البلاد، كما اضطرب الحكام وضعفت شخصيتهم، وبدأ التدخل الأجنبي في شئون البلاد حتى سيطر

---

(1) ماهر حسن فهمي: قاسم أمين مرجع سبق، ص ٢٩، ٣٠.
(2) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – مرجع سابق، ص ١٩ بقلم محمد عمارة.
(3) المرجع السابق، ص ١٩، ٢٠.
(4) وداد سكاكيني: قاسم أمين مرجع سابق، ص ١٦.

عليه وبسط نفوذه بعد فشل الثورة العربية. وكانت مصر تتطلع إلى الأمام وتحاول أن تبلغ من نفسها ما أدركته أوربا تلك كانت سياسة محمد على وبعض خلفائه وخاصة إسماعيل. وعلى هذا الأساس أرسلت البعثات إلى أوربا وكان منهم قاسم أمين والذى جمع بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب. وكل ذلك لعب دورا هاما فى تشكيل شخصيته وبلورة أفكاره حتى وعى الدور الاجتماعى فى الإصلاح والذى يأتى عن طريق التربية.

ثانيا: مراحل تعليمه:

ولما كان مولد قاسم أمين بالإسكندرية – حيث عاشت الأسرة بها فى البداية – فقد التحق قاسم أمين بمدرسة رأس التين الابتدائية. وقد كانت هى المدرسة التى تتقبل أبناء الأتراك والشراكسة في ذلك الوقت، وبعد أن أكمل دراسته الابتدائية وحصوله على شهادتها. انتقلت الأسرة ومعها قاسم من الإسكندرية إلى القاهرة، حيث استقر بهم المقام فى حى "الحلمية". وكان يعد من الأحياء الراقية يومئذ. والتحق قاسم أمين بالمدرسة التجهيزية (الخديوية)، والمدارس التجهيزية فى ذلك العصر كانت بمثابة المدارس الثانوية الآن، وفى هذه المدرسة التحق قاسم أمين بالقسم الفرنسى[1].

وبانتهاء قاسم أمين من المرحلة الثانوية وحصوله على شهادتها، التحق بمدرسة الحقوق والإدارة، وهى مدرسة عليا كانت البديل لكلية الحقوق فى غياب الجامعات المصرية فى تلك الفترة، وتخرج منها بحصولة على "الليسانس" بتفوق وهو فى العشرين من عمره وكان الأول على دفعته[2].

وعن نشأة قاسم أمين المدرسية فقد قيل عنه "إنه لم يكن من بين الأوائل فى دراسته إلا فى السنة الأخيرة التى نال فيها شهادة الليسانس"[3]. ولكنه كان

---

(1) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – مرجع سابق، ص ٢٠.

(2) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – مرجع سابق ، ص ٢٠.

(3) أحمد خاكى : قاسم أمين (أعلام الإسلام) – مرجع سابق، ص ٥.

يتميز بذكاء قوى. فكان دائب البحث والتفكير. كما كان يوزع جهوده ووقته بين دروسه وبين قراءة الكتب المختلفة من الأدب الفرنسي والتاريخ وغير ذلك من العلوم المختلفة، لأنه كان يعد الحياة مدرسته. وأن الدراسة يجب أن تكون حرة دون قيود والتزام بمنهج محدد. قرأ في القانون والشريعة والتاريخ والاجتماع والأدب حتى قال الذين عرفوه وهو طالب في الثانوية والجامعة إنه لم يكن قانعا بما يتلقاه من الأساتذة، فالمناهج محدودة والكتب المقررة لم تشبع معرفته وظمأه للعلم[1].

وعندما انتهى قاسم أمين من دراسة الحقوق وحصوله على شهادة الليسانس اتجه إلى العمل بالمحاماة، وكانت لوالده صلات قوية بالمحامي الشهير مصطفى فهمي باشا التركي الأصل – رئيس الوزراء على عهد الاحتلال البريطاني كما بينا في الفصل الأول من البحث – وعمل بالمحاماة في مكتب مصطفى فهمي رغم علمه علمه بجبروته وقوته وطغيانه ووطنيته الزائفة، إلا أنه لم يطل به العمل بالحاماة، ففي نفس السنة (١٨٨١م) سافر في بعثة دراسية.إلى فرنسا لاستكمال دراسة القانون وخاصة بعد تفوقه الذى أهله لتلك البعثة حيث التحق بجامعة "مونبليه" بفرنسا وقد أنهى دراسته بعد أربع سنوات دراسية: وبعدها عاد إلى مصر وكان ذلك سنة ١٨٨٥م ليعمل بالقضاء العالي[2].

ثالثا: شخصيته وأخلاقه:

كان قاسم أمين شخصية متعددة الجوانب، جمعت بين تقديس الحرية والجمال والفن وتلك الشخصية التى اندمجت داخل المجتمع وأحست بآلام هذا المجتمع وشعرت بشعوره من أجل الإصلاح[3]، هذه الشخصية التى تزاحمت فيها صفات عدة صفات، القانوني الحكيم، والمصلح الخطير، والأديب القدير، والوطني الغيور، وكان من أهم هذه الصفات شجاعته وإقدامه[4]، ولعله قد ورث عن أبيه تلك

---

(١) المرجع السابق، ص ٧.

(٢) ماهر حسن فهمي :قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٣٣، ٣٤.

(٣) إبراهيم ناجي: مدينة الأحلام – دار الكتب المصرية (د. ت) ، ص ٥٨، ٥٩.

(٤) هدى شعراوي: ذكرى قاسم أمين – السياسة الأسبوعية – عدد ١١٣ – ٥ مايو ١٩٢٨.

الصفات. من حب النضال. والتمسك بـالرأى، وخاصـة بعد أن عرفنا مكانـة أبيـه ومركزه.

إن شخصية قاسم قد تميزت بصفات متعددة وعن تلك الصفات قال جرجـي زيدان. أنه كان "كثر التفكير، قليل الكلام. وكان حر الفكر صادق اللجـة، وقد زاده التبحر فـى القوانـين والنظـر فـى أقـوال الفلاسـفة الاجتمـاعيين اسـتقلالا فـى الفكـر وصراحة فى القول لأن القضاء يعود صاحبـه التمسـك بـالحق وإجـلال قـدر الحقيقـة وكان كبير النفس شديد الحرص على كرامتها ولذلك رأيناه محبا لأمته راغبا فى رفع منزلتها لأن حب الأمة من حب الذات"[1].

وكان صديقا للجميع "حييا عطوفا خـيرا لم تؤخـذ ريبـة فـى خلـق ولا فـى دين، ضرب مثلا لمكارم الأخلاق فترفق مع الجهلة وأنصاف المتعلمين، وضرب مثـلا آخرا لشجاعة النفس والجهاد والدفاع عن الفكرة، تأثر به الناشـئون مـن رجـال هـذا الجيل"[2]. وما كانت سيرته فى سلوكه وعمله إلا تأييدا لدعوته التحريريـة وفلسـفته الاجتماعية، فلم يؤخذ بهفوة أو ريبة فى حياته أو وظيفته، فنان قدوة يحتـذى بـها الآخرون فى خلقه وفيما نذر له نفسه نحو بلده وعاش من أجله على مـا تحملـه مـن تعنت المعارضة[3]. لأنه كان يؤمن بحرية الفعـل وحريـة العقيـدة، فكـان فـى دعوتـه قاضيا وأديبا ومصلحا توفرت له أخلاق المصلحـين، تلـك الشـخصية التـى تزاحمـت فيـها صفـات عـدة "فقلـب ثقلـه العواطـف... وفكـر شـغف بـالعدل والإنصـاف والحقيقة... فى هذا المزاج الذى جمع بين الذكاء الفكرى والمعرفة المكتسـبة والخـبرة الواسـعة، بـين جـد رجـل القـانون ودقـة الأديـب.. يتكـون الاحتيـاج الشـديد إلى الإصلاح"[4].

---

[1] جرجى زيدان: تراجم مشاهير الشرق – مرجع سابق، ص ٤٢٧، ٤٢٨.

[2] أحمد خاكى: قاسم أمين – مرجع سابق،ص ٣.

[3] وداد سكاكينى : قاسم أمين – مرجع سابق،٢١.

[4] مى: قاسم أمين وباحثة البادية – المقتطف – المجلد ٥٦– سنة ١٩٢٠م، ص١١٥.

وعن شخصيته قال الدكتور هيكل "إنه كان صريح الرأى عميق التفكير بل كان دائم التفكير فى مشكلات مصر والمصريين ونصيبهم من الحضارة الحديثة. ومسألة الدين والمجتمع على الرغم من مظهره الهادئ. وكانت عيونه الواسعة تريد أن ترى جدة الوجود الدائمة تتكرر مناظرها فتطبع فى نفسه وحيا وإلهاما. ومع حيائه الجم كان عفيفا يحترم نفسه وكرامته"[1].

إلى جانب تلك الصفات التى اتصف بها قاسم أمين فقد كان حييا. وشيمة الحياء التى طبع عليها، قد لازمة طوال حياته[2]، كما تميز بسعة العقل وسداد الراى والرغبة فى خدمة الأمة"[3]. وكان صاحب مزاج عصبى ينفعل للجليل والقليل من الأمور وقد شبه أعصابه بأوتار تتأثر بملامسة الحوادث تأثيرا سريعا حيث ينقل إلى نفسه الإحساسات المختلفة وينقلها إلى الخارج[4].

رابعا: مكانته ورأى المفكرين فيه:

من الضرورى أن المفكر فى مجتمعه أو الزعيم بدعوته الإصلاحية إنما تكون له مكانة مرموقة ومؤيدة ومعارضة، لأن "تاريخ الزعامات الفكرية والإصلاحات لم يكن خاليا من جانبى الصداقة والعداوة، ولم يكن فى أحداث الرسالة الثورية والتطورية ما شذ عن هذا الحكم الاجتماعى المعهود على قلة ما فى علم الاجتماع من أحكام حتمية مقررة"[5].

وإذا كان لقاسم أمين معارضون فإن له مؤيدون، فقد حظى بالاحترام وثقة الجميع من أحبائه وأصدقائه، وقد نال مكانة محمودة بينهم، حيث إن "مكان قاسم أمين الحقيقى هو بين ذلك الرعيل من المناضلين المفكرين الذى حفل بهم ما يمكن أن نسميه (عصر التنوير) الأول فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن، مكانه

---

(1) محمد حسين هكيل: شخصيات مصرية وغربية – العدد الثانى – دار روز اليوسف (د،ت)، ص ٦٤، ٦٥.
(2) أحمد خاكى: قاسم – مرجع سابق،ص ١٧، ١٨.
(3) جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق – مرجع سابق، ص ٤٣٣.
(4) محمد حسين هيكل: تراجم مصرية وغربية – مرجع سابق،ص ١٤٥.
(5) وداد سكاكينى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٥١.

الحقيقي هو بين جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده وأديب إسحق وفرح أنطون وعبد الله النديم وعبد السلام المويلحي وسعد زغلول .. هذا الرعيل شب ونشأ وخاض فترة من أخطر الفترات في تشكيل الواقع المصرى"[1].

ولقد حظى قاسم أمين" بمكانة مرموقة بين الناس لما تمتع به هذا المصلح المفكر من استقامة وكرامة وما أوتى من مواهب اصطنعها لمصلحة الشعب وتوجيه وعيه وإصلاح أموره، فظفر بالتقدير والثقة حتى لا يسهما إشفاق بما دعا إليه في تحرير المرأة لكن هذا الإشفاق لم يؤثر في مكانة قاسم أمين، وقد أهلته لها مناقب ومآثر في حياته القضائية والفكرية ومشاركته لرواد الإصلاح فتى مساعيهم"[2]. نحو الإصلاح وتحمل المسئولية تجاه الشعب.

فحينما خرج قاسم أمين على الناس بدعوته (تحرير المرأة) استقبلته بيئة محافظة تتمسك بالتقاليد والعادات لذلك اهتز له الكتّاب في مصر وذهب كل فريق منهم إلى الوجهة التى رآها فيه فمنهم من آمن على كلام قاسم أمين ومنهم من دافع عن آرائه وكتب في ذلك مقالات طويلة وكان أكثر هؤلاء من محبيه وإخوانه الذين فهموه، ومنهم من سخر منه وسفه آراءه وهؤلاء هم الذين اتخذوا الأسر أضحوكة يعيشون بها، ومنهم من تصدى للرد عليه بحكمة ووقار وهؤلاء هم الذين تحدثوا عن الحجاب والسفور حديثاً علمياً لكنهم لم يتفقوا فيما ذهب إليه من ضرورة السفور ورفع الحجاب[3]. وقد ألفت كتب عديدة حول دعوته، منها ما كانت مؤيدة وأخرى كانت معارضة، فكان من الذين نصروه سعد زغلول وفتحي زغلول ومحمد عبده وحافظ إبراهيم ولطفى السيد وغيرهم، ومن معارضيه محمد فريد وجدى وطلعت حرب وسواهما من الصحافيين[4]، لأن كتاب تحرير المرأة الذى كتبه قاسم أمين كان بمثابة حدث خطير" فكان أغلب الذين تلقوا الكتاب يتناقلون أخباره من بيئاتهم

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرآة – مرجع سابق – المقدمة بقلم أحمد بهاء الدين، ص ٧.
(2) وداد سكاكيني: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٥١.
(3) أحمد خاكي: قاسم أمين – مرجع سابق، ص١١٥.
(4) وداد سكاكيني: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٥٢.

الخاصة فيزدادون على صاحبه سخطاً بل لعله لم يقرأه الكثير بل ضاقوا به وسخطوا عليه دون أن يقرأوه[1]،فكان من الطبيعى أن يتردد صداه فى المجتمع الذى يتمسك بكل ما هو مورث وخاصة فى وقت كانت البلاد تعانى من الضعف والانحلال داخل الهيئة الاجتماعية. الخاصة فيزدادون على صاحبه سخطاً بل لعله لم يقرأه الكثير بل ضاقوا به وسخطوا عليه دون أن يقرأوه[2] ، فكان من الطبيعى أن يتردد صداه فى المجتمع الذى يتمسك بكل ما هو مورث وخاصة فى وقت كانت البلاد تعانى من الضعف والانحلال داخل الهيئة الاجتماعية.

فقاسم أمين قد اقترن اسمه بتحرير المرأة، وعرف بدعوته والتى اشتغل بها منذ كان فى بعثته بفرنسا، حتى أصبح من المجددين فى نظام الهيئة الاجتماعية، وكان يعد من حاملى لواء الحرية فى مصر، وقد قال الهلباوى بك عنه "وعمل قاسم فى تحرير المرأة سيضعه فى التاريخ موضع (المعلم)، فإن إليه وحده فى هذه الأمة فضل هذه المحاولة التى توجت بعد عشرين سنة من جهاده بالنجاح التام"[3].

وأيضاً عن تلك المكانة التى حظى بها قاسم أمين قال داود بركات إن "قاسم أمين واضع الحجر الأول فى أساس تحرير المرأة لنهضتها الحديثة ولتحرير الرجال قبل النساء من أغلال التقاليد العتيقة المتوارثة... ذلك الرجل الكبير الذى رفع صوته فى مصر فتجاوبت بذلك الصوت جميع الأصداء فطاف الأرض.. وكأنه البرق المتألق ودوى فى جنباتها"[4]، فكانت دعوته ضد التخلف والرجعية والجمود، فهو "أول من صاح هذه الصيحة ... فى العالم الإسلامى"[5]، وهى الدعوة لتحرير المرأة.

وإذا كان قاسم أمين وجه دعوته لتحرير المرأة، فإنه قصد بها تحرير المجتمع المتمثل فى المرأة، فلا يتم إصلاح المجتمع إلا بإصلاح حال المرأة، وعن

---

(١) أحمد خاكى : قاسم أمين – مرجع سابق، ص١١٦.

(٢) أحمد خاكى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ١١٦.

(٣) عبد الحليم الجندى: الإمام محمد عبده – مرجع سابق، ص ٦٧.

(٤) داود بركات: ذكرى قاسم أمين – الأهرام الجمعة – ٤ مايو ١٩٨٢م.

(٥) سلامة موسى: المجددون فى الشرق العربى – الهلال – عدد أكتوبر ١٩٢٨م.

ذلك قال العقاد إنه" أول من رفع صوته فـي الشـرق القريـب بإصلاح المجتمـع عـن طريق إصلاح النسـاء"[1]، فهن الأسـاس فى تكوين المجتمع والنهوض به.

ولذلك يعتبر قاسم أمين "أحد مشاهير رجال الإصلاح الاجتماعى فى الشـرق العربى، فى مطلع القرن العشرين، وحامل لواء الدعوة لإصـلاح المـرأة المسلمة عامـة والمرأة المصرية خاصة وزعيـم القـائلين بتحريرهـا وإصلاحـها وبالتـالى بإصلاح المـرأة الشرقية عموماً والإسلامية خاصة، هو ذو أثر بعيد فى النهضـة الاجتماعيـة الحديثـة فى الشرق"[2]. لأنه رأى أن كل نهضة وكل تقدم ينبع أولاً من داخـل المجتمـع، وأن أى إصلاح لا يتم إلا بإصلاح بنية المجتمع وهذا ما دعا إليه قاسم أمين.

وعن مكانة قاسم أمين ذهب محمد حسين هيكل فى حديثه إلى أنـه " أحـد هؤلاء الأقليين الذين صنعوا فى تـاريخ الإنسـانية حظـاً غـير قليـل بمـا جـاهدوا فـى حياتهم للحرية والحق والجمال بمقدار قد يحسبه بعضهم قليلاً وما هو بـالقليل لأنـه ملك حياة الرجل كلها، وكان له فـى حيـاة مصـر والشـرق أثـر يعـترف الكـل اليـوم بعظمته"[3].

وعن هذه المكانة أيضاً أضاف مارون عبود قائلاً إنه أحد روادنا الذيـن سـعوا للتحرر، وإنا لم نضعه هذا الموضع لبلاغته وفصاحته بل لمنزلته الاجتماعية التى كـان لها أثر بعيد فى النهضة الحديثة"[4].

كما أضاف محمد عمارة عن مكانة قاسم أمين مشيداً بـهذه الشـخصية قـائلاً "وكانت شخصيته فنان وأديب نحو الإصلاح الاجتماعى، ومفكر يحترم رأيه ويدافـع عنه بإصرار ويتصدى لأعتى الموجات وأعنف الأعاصير التـى سـببها لـه موقفـه مـن قضية المرأة ودعوته إلى تحريرهـا . ومـع كـل ذلـك ومثلـه عـاش قاسـم أمـين عمـره

---

(1) عباس محمود العقاد: ساعات بين الكتب – جـ٢– طـ١ – مكتبة النهضة الحديثة – ١٨٤٥م، ص ٧٤.

(2) يوسف أسعد داغر: مصادر الدراسة الأدبية – جـ ٢ – بيروت – ١٩٦٢، ص ١٣٨.

(3) محمد حسين هيكل: الاحتفال بذكرى قاسم أمين – السياسة الأسبوعية، عدد ١٣، ٥ مايو ١٩٢٨.

(4) مارون عبود :رواد النهضة الحديثة – طـ١ – بيروت – ١٩٥٢م، ص ٢٠٨.

القصيرة بمقاييس السنوات بروح الفنان فأعطاه عمقاً ومنحه أبعاداً تخطت بـه حـدود الزمن والسنوات"[1].

هذه بعض آراء المفكرين عن مكانة قاسم أمين وعن شخصيته والتـي جمعـت العديد من الصفات، ما تميزت هذه الشخصية من شجاعة وإقدام.

خامساً: مصادر ثقافته:

ولـد قاسـم أمـين وأقـام بـها كـل حياتـه إلا سـنوات قليلـة قضاهـا فـى فرنسا،وعلى أن هذه السنوات القليلة كانت ذات أثر كبير عليه، كمـا كـانت نشأته الدراسية تدل على أنه كان متعدد الثقافة ، فقـرا الأدب الفرنسـى واطلع علـى علـم الاجتماع والفلسفة وكان دائب البحث فى الشريعة الإسلامية، هذا يفسـر جانبـاً مـن جوانب ثقافته ذات النشأة الأولى، فكان طموحاً، قرأ لنفسه قبل أن يقـرأ للامتحـان، ودرس ليرضى عقله وفكره قبل أن يرضى أساتذته وأولياءه، فقـد ظـل حياتـه دائـب البحث حتى كون ثقافة موسوعة[2].

ومصادر ثقافة قاسم أمين ترجـع إلى الجمـع بـين ثقـافتين.إحداهمـا الثقافـة الغربيـة والأخرى ثقافته العربية ولذا يجب الإشارة إلى:

- **قاسم أمين وبعثته لفرنسا.**
- **قاسم أمين وعودته إلى مصر.**

(أ)قاسم أمين وبعثته لفرنسا:

إن تفوق قاسم أمين فى دراسته قد أهله إلى بعثه تعليميـة لفرنسـا لاسـتكمال دراسة القانون حيث امتدت أربع سنوات، درس خلالهـا الكثـيز ولم يقتصـر علـى دراسة القانون، فكان يتشبع بالثقافة الفرنسية ما شاء، فقرأ الأدب الفرنسـى، وفتـح عينيه على الحضارة الأوربية، وترقب كل ظواهـر المدينـة التى حولـه، وفـى فرنسـا تفتحت عيناه على روعة مناظرها ونشـاط حركتـها، وحياتـها الاجتماعيـة، وكـانت

(1) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ – مرجع سابق، ص ٣٦.
(2) أحمد خاكى: قاسم أمين – مرجع سابق ، ص٦، ٧.

أوربا فى ذلك الوقت مثلا أعلى لكل عربى يتطلع إلى جهودها العلمية وحياتها الراقية وقوتها المادية[1].

وفى فرنسا تفجر الينبوع المحتبس فى صدر قاسم أمين، حيث كانت هناك الحركة الفكرية، والطبيعة المتحركة والمناظر الفنية، كل ذلك ترك بصماته فى نفس قاسم أمين، فى تفكيره وفى اقتباسه لمناهج الإصلاح، فكان هناك مجالات للمقارنة بين شعبين وبين مدينتين، فبدأ يتأمل ويفكر، وخاصة على صيحة فولتير Volteer وروسو Rousseau فأخذت فرنسا تسما بالعاصمة وفتحت قلبه وفجرت روحه وألهمت إحساسه[2].

كان قاسم أمين يقرأ فى مصر مقدمة ابن خلدون وإحياء علوم الدين للغزالى والأغانى للأصفهانى، أما فى فرنسا فقد قرأ وتأثر بمارتن Martin وفلسفة فنلون fenlon ورينان Renan وسبنسرSpencer وغيرهم وتطلع إلى الحياة من حوله، فوجد التقدم فى العلوم الرياضية والطبيعية والحركة الصناعية فى تطور، كما رأى الحرية السياسية التى كانت من نتائج الثورة الفرنسية والتى كانت فى أواخر القرن الثامن عشر وما صحبها من تعدد الحرية مع الاعتراف بحقوق العمال، وإلغاء الرق وانطلاق المرأة إلى ميادين العمل[3].

وفى فرنسا رأى أيضا الحضارة ومظاهر التقدم والرقى، لقد وصلت فرنسا إلى تحقيق الديمقراطية، وبلغت من العلم درجة عالية، ففى سنة ١٨٢١ دافع سان سيمون Saint Simon عن حقوق العمال، وفى سنة ١٨٤٠م كتب برودون Perodoon كتابه " ما هى الملكية؟ هى السرقة" وفى سنة ١٨٦٧م كتب كارل ماركس Karl marx كتابة "رأس المال" وكتب داروين Darwin سنة ١٨٥٩ م أصل الأنواع" وكتب فيتشه Ficht عن " الإنسان المثالى "وأيضا عالج الأدباء نظرية الأنواع

(١) ماهر حسن فهمى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٣٨.
(٢) إبراهيم ناجى: مدينة الأحلام – مرجع سابق، ص ٦١.
(٣) ماهر حسن فهمى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٤١.

الأدبية وتطور فروع الأدب، وعالج علماء الاجتماع التطور الاجتماعي بعد دراسة القبائل ومقارنتها بتطور الشعوب المترقية في سلم المدنية[1].

كل هذه الثورة العلمية والفكرية اطلع عليها قاسم أمين بحكم نشأته الواعية المبكرة وثقافته الواسعة، فقد تأثر بمذاهب الفكر والديمقراطية والحرية والكشوف العلمية وعوامل التحرر الاجتماعي من الجمود والتخلف، وأحاط فهما وعلمًا وثقافة.

وأثناء وجود قاسم أمين بفرنسا حدثت بمصر أحداث الثورة العرابية والتي انتهت بالفشل واحتلال البلاد، ومع تلك الأحداث امتزج بالعاطفة الوطنية المتحررة، وفي باريس تابع تطور الأحداث المؤلمة وسافر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده إلى فرنسا منفيين بعد الثورة، وأصدرا مجلة " العروة الوثقى" والتقى قاسم أمين بهما واشترك معهما في مجلة "العروة الوثقى"، فقد كان المترجم للإمام محمد عبده[2]. تلك الأحداث التي عاشتها مصر كان لها عظيم الأثر على فكر قاسم أمين وهو في فرنسا، وخاصة بعد أن ترك بلاده تنبض بالآمال وتموج بحركة وطنية وتحريرية، و في لحظة وجد الحركة الوطنية أخمدت، ووقعت البلاد في قبضة الاستعمار، وفي هذه الأثناء تطلع إلى مستقبل بلاده التي من أجلها سافر ومن أجلها عاش[3].

اضطرب قاسم أمين في هذا الوسط، وقرأ لمن تحدث عن التطور والتقدم واعتنقهما كمبدأ من مبادىء الإصلاح، وقد أرجع فكرة التطور إلى الإرادة التي ذهب إليها فلاسفة التقدم، ورأى أن المصريين يجب عليهم دراسة مساوئهم وعيوبهم حتى يتطلعوا إلى التقدم والتخلي عن العادات القديمة الموروثة البالية[4].

لقد كانت شخصية قاسم أمين موزعة بين خير ما كان في البيئة المصرية وبين خير ما كان في البيئة الفرنسية، فكان دائما يلائم بين الثقافتين.

---

(1) أحمد خاكي: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٤٩.
(2) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – مرجع سابق، ص٢١.
(3) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، المقدمة،ص ١٣.
(4) أحمد خاكي: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٤٩.

وخلاصة القول إن وجود قاسم أمين بفرنسا كان من المصادر الأولى فى تكوين ثقافته وتكوين الاتجاه الإصلاحى الذى تبناه، هذا ما ساعده على بلورة أفكاره وآرائه، حيث لعبت الثقافة الفرنسية حظا ليس بالقليل فى تشكيل شخصيته وآرائه العامة والتربوية بخاصة.

(ب) قاسم أمين وعودته إلى مصر:

وبعد أن أنهى قاسم أمين دراسته بفرنسا عاد إلى مصر وهو مشحون بأحداث هذا العالم الذى رآه عن قرب، وتشرب منه الكثير، وأخذ من مناهجه ما يعينه على دوره فى خدمة المجتمع، كما أخذ من ثقافته ما يساعده لرؤية أحداث مجتمعه وما حل بالبلاد من خمول واستكانة، فكان هم الجميع أن يسكنوا إلى الطمأنينة وأن يخلدوا إلى الراحة.

عاد قاسم أمين وعمل بالقضاء واتخذ منصته مسرحا لرؤية أحداث المجتمع، وخاصة بعد تطلع بلاده إلى المستقبل، وفى هذا الوسط المصرى ظهرت أفكار قاسم أمين بعد أن رأى من الشعب الاستكانة، وبعد أن رأى النفى وتفرق حزب الإصلاح، فبدأ يشارك الشعب آلامه وآماله، فعمل على تنوير الأفكار ونقد الضعف والانحراف، فأراد أن يجعل لحياة الشعب قيمة وخاصة بعد عودة المبعوثين إلى الوطن، ولا سيما بعد تكوين الاتجاهات الحزبية المختلفة، فهناك الحزب الوطنى والذى تزعمه مصطفى كامل، وهناك حزب الإصلاح والذى تزعمه الشيخ على يوسف.

وإذا كانت مصادر ثقافة قاسم أمين متعددة، فإننا لا ننكر جانبا مهما كان له أثر واضح فى بلورة أفكاره، ألا وهو مشاركته لرواد الإصلاح واختلاط أفكار قاسم أمين بغيره، وخاصة أنها ترعرت فى رحاب صالون الأميرة "نازلى فاضل"، والتى تميزت بالوعى الفكرى والوطنى، حيث كان يلتقى لديها نخبة من أعيان المجتمع وزعماء الإصلاح، فكانوا يتبادلون وجهات النظر فى شئون البلاد، وكان منهم محمد

عبده واللقانى وسعد زغلول والهلباوى بك وعلى يوسف وغيرهم[1]. فأخذ قاسم عنهم وتأثر بحضور تلك الندوات والتى كانت تعقد فى صالون الأميرة حيث شارك فى البحث والنقد وتقديم الحلول.

فقاسم أمين بحكم ثقافته الشرقية والغربية، واختلاطه بمحمد عبده فى ساحة التجديد الدينى وجمال الدين الأفغانى والذى كون المدرسة الفكرية الوطنية والتى انتمى إليها قاسم وسعد زغلول وأحمد لطفى السيد والهلباوى وغيرهم كل ذلك كان له أثر فى تكوين أفكاره وتشكيلها.

وثمة مصدر آخر ساعد على تكوين وتنمية أفكار قاسم أمين، ألا وهو عمله بالقضاء، وتنقله بين أرجاء الوطن، ومشاهداته للأحداث ونظره للقضايا المدنية والاجتماعية الكثيرة، والتى تعرض لها من واقع المجتمع[2]. كل هذا ساعده على تشرب الثقافة وتنميتها فى فكره والتى أعانته على تفهم أمور الشعب وما ينبغى عليهم من إصلاح.

وأيضا تأثر قاسم أمين بابن خلدون وقرأ مقدمته كما عرفنا من قبل وتأثر فالإمام الغزالى وذهب معه فى طريق التربية، كما تأثر بابن مسكويه وغيرهم من العلماء والفلاسفة وهذا ما اتضح من مؤلفاته ومدى تأثره بآرائهم حتى رأينا متعدد النواحى فى ثقافته والتى أعانته فى برنامجه الإصلاحى والذى تبناه فى خدمة القضايا الاجتماعية.

سادسا: حياته العائلية:

لقد توفى والد قاسم أمين بعد عودته من فرنسا بشهور قليلة، وفى تلك الآونة عاش حياته القضائية واهبا نفسه لخدمة القانون، لعله يتخذ من منصته مجالا للإصلاح، وقد تنقل فى الوظائف حتى وصل إلى منصب المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية وهو فى الحادية والثلاثين من عمره، ولم يتزوج بعد، مع أن منصبه الذى

(1) عبد الحليم الجندى: الإمام محمد عبده – مرجع سابق،ص ٥٦.
(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، المقدمة، ص ٢٠.

بلغه، ومرتبه الذى وصل الألف من الجنيهات فى العام، وأملاكه التى ورثها عن أبيه تكفيه أن يعيش حياة مترفة، ولكنه وهب حياته للإصلاح الاجتماعى، فشغله عن الزواج، ولكنه تذكر مناقشاته التى كانت تدور بينه وبين صديقه سعد زغلول حول الزواج، فعقد العزم وكان ذلك ١٨٩٤م حيث تزوج من زينب ابنه أمير البحر التركى أمين توفيق والذى كان صديقا لوالده، وقد أشرفت على تربيتها مربية إنجليزية استطاعت أن تنمى شخصيتها وتؤهلها لأن تصبح زوجة صالحة[١].

أما منزل قاسم أمين وحياته الأسرية فكانتا متسقين مع مزاجه الهادى ،وروحه الفنان وإحساسه الرقيق، حيث كان يقضى مع زوجته أوقاته. والتى كان يحددها بساعتين يوميا وبشكل منتظم، وقد أنجب أبنتيه زينب والتى أحضر لها مربية فرنسية، والأخرى جلسن والتى أحضر لها مربية إنجليزية[٢].

أما عن مكتبته فكانت تشغل من منزلة ثلاث حجرات، وكان يقضى مع الكتب والقراءة ثلاث ساعات يوميا من الساعة السابعة وحتى العاشرة مساءا، أما عن أجازاته الصيفية فكان يقضيها مع أسرته بتركيا حيث كان يقيم والد زوجته[٣].

ولم يتخل قاسم أمين عن بيته بالحلمية بعد زواجه، ولم يغير كثيرا من عاداته وكإنما كانت لحياته القضائية آثارا على حياته العائلية، فهو عادل فى معاملته لزوجته، يقدر لها اهتمامها بشئونه وشئون بيته، فأساس العائلة عنده الفهم والترابط بين الزوجين، فكان موفقا فى حياته الزوجية وخاصة بعد أن وجد الزوجة المهتمة بشئون بيتها على الرغم من فارق الثقافة بينهما[٤].

سابعا : أعماله حتى وفاته (١٨٨٥ – ١٩٠٨م):

عندما عاد قاسم أمين إلى مصر،كانت الحياة يسودها الظلم والاستكانة، لقد تفرق حزب الإصلاح،ورحل زعيمه جمال الدين الأفغانى وأستاذه محمد عبده،

---

(١) ماهر حسن فهمى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٥٣، وما بعدها.
(٢) قاسم أمين: الأعمال المتكاملة – مرجع سابق، ص ٢٥.
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦.
(٤) ماهر حسن فهمى : قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٦٩ وما بعدها.

واختفى زميلة عبد الله النديم فى أعقاب الثورة العرابية، وخفت صوت مصر. ولم يعد هناك من يبدأ، وليس أمام قاسم أمين إلا ساحة القضاء لعله يبدأ منها أولا، ويتخذ منصته مسرحا لرؤية الأحداث. ولكنه لم يكتف بعمل القضاء فحسب، بل كان حريصا على إصلاح المجتمع، فقد عاد من بعثته مشحونا بما رآه وبما قرأه، فكان متعدد الجوانب واسع الثقافة كثير الأعمال حتى قال عنه الهلباوى بك" وقد بقى ذلك شأنه لا يكتفى بعمل واحد فى الحياة، بل يجمع بين الأعمال والدراسات الشتى، حتى كان فى القضاء قاضيا ومؤلفا بالفرنسية والعربية، ومحررا للمرأة، دائب البحث فى الشريعة الإسلامية ومنشئا للجامعة، ومؤسسا للجمعية الخيرية الإسلامية وغير ذلك من جلائل العمال"[1].

وتدور أعماله فى تلك الفترة حول النقاط الآتية:

١- قاسم أمين قاضيا.
٢- قاسم أمين مصلحا اجتماعيا.
٣- قاسم أمين والجمعية الخيرية الإسلامية.
٤- قاسم أمين أديبا.
٥- قاسم أمين والجامعة المصرية.
٦- وفاته(١٩٠٨م).

١-قاسم أمين قاضيا:

بعد أن أتم قاسم أمين دراسة القانون فى فرنسا عاد إلى مصر سنة ١٨٨٥م وذلك بعد أن عمل فى فرنسا عدة شهور مع أستاذه "لرنود Loronod بعد تخرجه، وفى أول ديسمبر سنة ١٨٨٥م صدر قرار بتعيينه فى القضاء بالنيابة المختلطة، وبدأ يثبت جدارة المصرى ونديته للأوربى فى تولى الوظائف العامة والنهوض بأعبائها وخاصة فى مجال القضاء، وفى ٢٢ سبتمبر ١٨٨٧م نقل من النيابة المختلطة إلى قسم

(١) احمد خاكى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٦.

قضايا الحكومة[1]، حيث كان "معظم موظفى أقلام قضايا الحكومة من الأجانب، فأدخل قاسم أمين وفتحى زغلول بعد ذلك ومصطفى فتحى فى أقلام القضايا فى أوقات متقاربة"[2]، وقد قال الهلباوى بك عن عمل قاسم أمين فى قضايا الحكومة وعظيم مكانته" كنت أترافع أمام محكمة بنها فى قضية ضد الحكومة التى كان يمثلها هو، وكنت أتوقع وقاسم خصمى فى هذه القضية أن يشعر أحدنا بشىء من الوحشة لاختلاف الجهة التى تخرج كل منها (الأزهر والمدارس الأوربية) ولكنى إذ سمعته يترافع ويدلى بحجته لمصلحة الحكومة ضد موكلى، شعرت بقلبى يدق إعجابا بحسن أسلوب هذا الخصم وحسن تقديره وعظيم كفايته فاتصلت أرواحنا من تلك الساعة وقامت بيننا صداقة كأنها ترجع إلى عهد الطفولة"[3].

وفى يونيو سنة ١٨٨٩م رقى قاسم أمين إلى منصب رئيس نيابة بنى سويف، وكان أول عمل قام به حين ولى هذا المنصب هو تطبيق بعض آرائه وأفكاره فى فلسفة العقاب ودوره فى الإصلاح الاجتماعى، وخاصة بعد أن رأى الظلم والسجن والاعتقال من قبل الحكومة، وقد امتلأت السجون بالمظلومين فأطلق سراحهم فى بنى سويف بعد أن تبين براءتهم[4].

وفى سنة ١٨٩١م انتقل قاسم أمين من بنى سويف إلى طنطا رئيسا للنيابة، وفى طنطا ذاعت موهبته ومكانته، وما لبث أن واجهته بعض الأحداث وخاصة صوت الحركة الوطنية والتى غرست فى طفولته وانتمى إليها فى شبابه ودافع عنها، فقد قبض على عبد الله النديم بعد اختفائه مدة طويلة وجىء به إلى قاسم أمين ولكن أخذته وطنيته بالرحمة فأكرم مقابلته وخاصة أن مكانته بالقضاء وما بها من حساسية الموقف، فإذا كان القانون مهنته فإن الوطنية غايته، وخاصة أنه ينتمى إلى مدرسة الأفغانى الوطنية وتتلمذ على يده، وإذا بقاسم يكرم النديم ويضمه تحت

---

(1) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – مرجع سابق،ص ٢٣.

(2) أحمد خاكى : قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٨.

(3) أحمد خاكى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٨، ٩.

(4) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – مرجع سابق ص٢٤.

رعايته ويغدق عليه بالمال حتى إنه سافر إلى القاهرة يلتمس له العفو من الخديوى، وبالفعل تم سراحه بشرط أن ينفي خارج البلاد: ونفي إلى الشام في ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩١م بعد أن أعطاه قاسم أمين مساعدات مالية تعينه في منفاه[1]. ونفس الشيء كان يتكرر تجاه الوطنين من شباب المدارس الذين قبضت عليهم الحكومة.

وفي ٢٦ يونيو سنة ١٨٩٢ م عين قاسم أمين نائب قاضي في محكمة الاستئناف هو وسعد زغلول ويحيى إبراهيم، ثم رقي بعد عامين إلى منصب المستشار، وكان آنذاك الوقت في الحادية والثلاثين من عمره وبذلك فقد بلغ ما لم يبلغه غيره من رجال القضاء، حتى قضى الأربعة عشر عاما الباقية من حياته وهو مستشار[2]، وبذلك أدرك قاسم أمين وهو في شبابه منصب المستشار القضائي والذى كان يعد من المناصب السامية يومئذ.

وكانت شخصية قاسم أمين القضائية وراء رأيه واستقامته في أحكامه وآرائه، حتى قال عنه الدكتور محمد عمارة "ولقد عرفت عنه طوال مدة عمله بالقضاء دعوته إلى جعل القضاء المصرى والمحاكم الأهلية الوطنية جهة التقاضي والمحاكم بالنسبة للأجانب الدين يعيشون بمصر – باستثناء أحوالهم الشخصية وذلك حتى تزول الازدواجية القضائية التي فرضتها على مصر امتيازات الأجانب ونفوذ الاستعمار"[3].

تلك كانت شخصية قاسم أمين القضائية، والتي انعكست على وطنيته فكانت هذه الوطنية لها دور هام في فكره وآرائه في إصلاح المجتمع، كما أن عمله بالقضاء أكسبه خبرته في تشكيل شخصيته وفي تناول مشاكل عصره وتعرفه على مساوىء وعلل هذا المجتمع، وقد ذهب الدكتور هيكل إلى أنه كان "لا يتقيد في أحكامه بآراء أو أحكام المحاكم مما يعتبره أكثر القضاة حجة لا محيد عنها، بل لم،

---

(1) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(2) أحمد خاكي: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٢٤.
(3) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – مرجع سابق، ص٢٤.

يتقيد بنص القانون إذا لم يصادف هذا النص مكان الاقتناع منه"[1]. لأنـه كـان يـرى أن معاقبـة الشـر بالشـر هـو إضافـة شـر إلى شـر. ولذلـك كـان يميـل إلى مصالحـة المتخاصمين وإحلال التسامح محل العنف. والحسنى مكان الشر والسـوء. ولم يعـرف في عمله الشدة، فكان يقدس الحريـة، وحريـة الـرأى. ولذلـك يقـول "أعـرف قضـاة حكموا بالظلم ليشتهروا بين الناس بالعدل"[2]. لأنه يعرف الالتزام بالنص في الحكـم كما قال عنه الذين عرفوه.

جملة القول إن قاسم أمين قد جمـع بـين الثقافـة الأدبيـة والقضائيـة عندمـا عمل بالقضـاء، وخاصـة بلوغـه المكانـة الرفيعـة عندمـا ترقـى إلى المستشـار القضـائى لمحكمة الاستئناف، فمكانته القضائية هى التـى حتمـه ودافعـت عنـه عندمـا هبـت عليه رياح النقمة والتعصب عندما دعا دعوتـه الإصلاحيـة منـذ أن رد علـى الكـاتب الفرنسـى "الـدوق داركـور" Duc D`harcouri والـذى هـاجم المصريـين بـالجمود والتخلف، ولكن وطنية قاسم أمين حملته إلى الكتابة وقد أبت عليه نزاهتـه ومحبتـه لوطنه وشعبه أن لا يعترف بما أصابه من جراء الاسـتبداد والطغيـان الـذى سـاد فـى مجتمعه، حيث قال" لا ينفعنا إذا كان العيب فينا أن نرد على مـن يعيبنـا ونبحـث عن عيوب قومه، علينا أن نعرف عيوبنا ونسعى إلى إزالتها"[3].

٢- قاسم أمين مصلحا اجتماعيا:

وفى سنة ١٨٩٤ م دخل قاسم أمين غمـار الحيـاة العامـة، حـين تـولى الـرد على الدوق دراكو Duc D`harcoiri فى سنة ١٨٩٣م عندمـا كتـب كتابـا بالفرنسـية عن المصريين، والـذى يرمـى إلى وصـف المصريـين بـالتخلف فـى مدنيتـهم وتربيتـهم وتفكيرهم وحبسهم لنسائهم، وأن الدين الإسلامى هو سبب تخلفـهم، وذلـك أخـذت قاسم أمين النخوة، وهزته وطنيته لكى يدافع عن قومه، فتولى الرد على هـذا الكـاتب

---

(١) محمد حسين هيكل: شخصيات مصرية وعربية، مرجع سابق، ص٦٥.

(٢) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص ٥٠.

(٣) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص ٤٩.

الفرنسي الجاحد. والذى كان له عظيم الأثر على فكر قاسم أمين. واتجاهه الإصلاحي، فألف كتابا سماه "المصريون" Les egyptiens سنة ١٨٩٤م بالفرنسية فند فيه مزاعم الدوق دراكور، وأظهر فيه فضائل مواطنيه من غير أن ينسى الاعتراف ببعض عيوبهم[١].

لم يكتف قاسم أمين بنشر كتابه "المصريون" ولم يعتبر نفسه قد انتهى من القيام بالواجب، بل شعر أن واجبه تضاعف نحو مجتمعه وإصلاحه، صحيح أن داركور أخطأ فى شن الهجوم على المصريين. ولكنه أبصر قاسم أمين على عيوب مجتمعه، فالحياة الاجتماعية بها عيوب ومساوىء يجب النظر فيها وتقديم الحلول لها، فكتب مقالات ونشرها بالمؤيد سماها "أسباب ونتائج" بين فيها أسباب التدهور والتخلف الاجتماعي فى مصر وقد ردها إلى سوء التربية وإهمالها، وعرض نواحى النقد فى المجتمع المصرى والأسس التربوية والتربية والمنزلية، كما تناول المرأة، مكانتها ومنزلتها داخل الهيئة الاجتماعية. ثم توالت مقالات أخرى له سماها "أخلاق ومواعظ" وصف فيها الوظف المصرى وانحطاط مستواه العلمى والفكرى والاجتماعي والاقتصادى، وأيضا تناول العلاقة بين الوظيفة والوطنية، ثم تناول أوضاع اجتماعية وسياسية وأخرى اقتصادية.

ومن الأمور التى لفتت نظر قاسم أمين داخل الهيئة الاجتماعية – والتى كانت محل نقد الكاتب داركور– المرأة المصرية، وضعها بين المجتمع وما أصابها من جهل وانحطاط مستواها داخل المجتمع، وخاصة أن قاسم أمين رأى المرأة الغربية وما بلغته من تقدم، فتحريرها هو تحرير المجتمع وصلاحها هو صلاح المجتمع، وفقد حريتها هو فقد حرية المجتمع، فالعلاقة وثيقة بين تقدم المرأة وتقدم المجتمع.

(١) أحمد خاكى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ١٠ وما بعدها.

ولذلك نذر نفسه لقضية تحرير المرأة وتعليمها ودعا دعوته وقابلها بل عزم وشجاعة وإقدام، فوضع كتابه "تحرير المرأة"(*). سمة ١٩٨٨م.

وقد تردد كثيرا قبل نشره مخافة الرأى العام الذى كان محافظا ومتمسكا بكل ما هو قديم، تلك الفكرة انقلبت عنده من مجرد رأى يقال إلى عقيدة ثابتة وإيمان قوى آمن بها[١].

ونشر قاسم أمين كتاب تحرير المرأة والذى رسم فيه الدستور الذى آمن به لإصلاح المرأة من أجل إصلاح المجتمع، وقد تعرض للتربية وأهميتها فى صلاح المجتمع، وتعرض أيضا للبحث عن العوائد والتقاليد وما ينبغى علينا من تغييرها، ثم بحث مسائل دينية متعلقة بالحجاب وتعدد الزوجات والطلاق، وبذلك أحدث ثورة فى الأفكار كانت فى نفسها رشيدة، لأنها بعثت أهل الدين على التفكير، لأنها بعثت الشباب على العمل، والتى نبهت الجميع إلى إصلاح المجتمع[٢].

وقد قيل إن كتاب تحرير المرأة من أعظم الكتب التى تناولت الحياة الاجتماعية، حيث أجرى فيه تحقيقا يتناول جميع فروعه العمرانية والسيكولوجية والعلمية والوراثية والعائلية والوسطية وغيرها، فجاهر برأيه وفكره حتى صعب الفهم على الآخرين[٣].

وبعد نشر كتاب تحرير المرأة وما تلقاه من نقد وهجوم، رأى أن يرد على الجاحدين بكتاب آخر يؤيد كتابه الأول ويزيد فيه الحديث عن المرأة وما ينبغى عليها من حقوق وواجبات، وما هى الحرية المباحة لها، وبين أيضا واجبات المرأة

(*) وقد قيل إن "كتاب تحرير المرأة" من تأليف قاسم أمين ومحمد عبده،فهو عمل مشترك بينهما وقد استدل محمد عمارة بأدلة تؤيد ذلك ولمزيد من التفاصيل انظر:

قاسم أمين: الأعمال الكاملة – مرجع سابق، ص ١٣٨ بقلم محمد عمارة.

(١) محمد حسين هيكل: فى أوقات الفراغ – المطبعة العصرية بمصر – ١٩٢٥م ، ص ١٣٥، ١٣٦.

(٢) أحمد خاكى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ١١، ١٢.

(٣) المقتطف : المجلد ٥٦ – ١٩٢٠، ص ١١٥.

أيضا: يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والغربية – مطبعة سركيس بمصر – ١٩٢٩ – ١٣٤٧هـ جـ ٨، ص ١٤٨١.

العائلية ومتى يكون لها دور اجتماعي. سماه "المرأة الجديدة" سنة ١٩٠٠م وقد أهداه إلى صديقه سعد زغلول.

٣- قاسم أمين والجمعية الخيرية الإسلامية:

من أجل أعمال قاسم أمين تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية حيث كانت أول تجربة قام بها المصريون في سبيل تنظيم البر والإحسان، وقد كان قاسم أمين من بين الأعضاء الأوائل الذين وجهوا الجمعية الخيرية في سبيل البر[١]، تلك الجمعية التي كانت تؤدي دورها في خدمة المجتمع وإصلاحه عن طريق المساعدات للفقراء، حيث كانت "تنشيء المدارس للفقراء وتنهض بضروب من الخدمة والمساعدات للمعوزين والمنكوبين"[٢].

فقد دخل قاسم أمين عضوية الجمعية وكان له الفضل في إنشائها ونجاحها، حيث نادى بإنشاء مدارس لتعليم البنات، وأجمع أعضاؤها من أمثال محمد عبده وغيرهم على تحرير المرأة وإقناعهم بعدم تعدد الزوجات إلا للضرورة[٣]، وموقف قاسم أمين من الجمعية الخيرية يسبق عصره في الإصلاحات التي وجهها في صدد الوقف[*] والذي نادى به حيث قال الهلباوي بك" عرض رأى في الجمعية الخيرية الإسلامية لوقف كل ما تملك على الوجوه الخاصة بأغراض الجمعية، ولما كان قاسم يرى أن الوقف كثيرا ما يعطل على أصحاب الشأن فيه التصرف بما تقضي به الحاجة والظروف التي لا يمكن الإحاطة بها، عارض معارضة شديدة، وكانت الأغلبية ترى غير ذلك، فبقي قاسم مصرا على رأيه قائلا: إن هذه المسألة من المسائل الأساسية التي لا يمكنني أن أخضع فيها لحكم الأغلبية، بل واجبي في هذه الحالة يقضي على بالاستقالة من خدمتها فتراجع الجميع وسلموا برأيه، ولقد

---

(١) أحمد خاكي: قاسم أمين – مرجع سابق، ص١٥ .

(٢) قاسم أمين : الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص٢٥.

(٣) عبد الحليم الجندي : محمد عبده – مرجع سابق، ص ٦٧.

(*) الوقف: ويقصد به وقف المال أو جزء منه من أملاك الإنسان وتخصيصها في حياته أو بعد موته لعمل خيري. ومزيدا من التفصيل انظر الفصل الخامس.

مات قاسم أمين واتقينا خطر استقالته. وبقيت الجمعية من سنة ١٩٠٨م ولم يفكر أحد من أعضائها إلى اليوم فى الخروج على رأية"[1].

٤- قاسم أمين أديبا:

ولما كان قاسم أمين متعدد الثقافة فإن هناك جانبا آخر قد اهتم به وتميز فيه، ألا وهو الأدب. حيث كان أديبا يهتم بإصلاح الأدب عن طريق إصلاح اللغة العربية وغيرها، وإذا أطلقنا عليه أديبا فهذا لا يعنى أنه اتخذ من الأدب مهنة له، ولكن يمكن القول إن قاسم أمين كانت شخصيته تتميز بالشخصية الأدبية، وبروح الفنان الأديب، حيث كانت له آراء وأفكار جديرة بالاهتمام تجاه قضايا الأدب واللغة العربية، "ولو شاء قاسم أمين أن يكون فى ثقافته أديبا على طريقته التى كانت تسوقه إليها مواهبه لما كان هناك ما يصده عن التمرس بالأدب"[2] فقد اختار القضاء والقانون ثقافة ووظيفة، ولكنه كان موهوبا فى أدبه وحكمه وكان أكثر أصدقائه من ذوى المواهب الأدبية من شعر وخطابة وأيضا فى القانون والسياسة، وفيهم أيضا من جمعوا بين الثقافتين العربية والغربية، ولو كان الأدب فى عصر قاسم أمين يشغله لبرز اسمه فى لون من ألوان الأدب، وكل مواهبه فى الأدب تدل على تأثره بالثقافة الأوربية، وبالتعبير الفرنسي ولغته ورشاقته وطريقته، وانطباعه من حب الحق والجمال ورهافة شعوره وتفكيره، فكان يؤهله للأدب الذى يتطلب منه ما أوتى مثله قاسم أمين[3].

وإذا كان قاسم أمين تميز بروح الأديب فإنه أهتم بقضايا الأدب في عصره، فقد كان ينظر إلى اللغة العربية على أنها "تعبير صادق عن النفس، فلم يتكلف ولم يتعمل ولم يقف ليوفق سجعة واحدة ولم يترك لفظا يسيرا مفهوما ليكتب لفظا آخر عسيرا غير مفهوم[4]، واستنادا لذلك قوله" من اختيارى لأرباب الأفكار الذين

---

(1) عبد الحليم الجندى : محمد عبده – مرجع سابق، ص ٦٧.

(2) وداد سكاكينى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ١٧.

(3) وداد سكاكينى: قاسم أمن – مرجع سابق، ص١٧ وما بعدها .

(4) المرجع السابق، ص ١٧.

اختلطت بهم، يظهر لى أن الحمية عندهم سطحية لا تزكيها نار تتوقد فى القلب، حمية الألفاظ متى انتشرت عادت هباء لا تترك أثرا بعدها"[١].

ولعل اهتمام قاسم أمين بالأدب وبراعته راجعة كما ذكرت إلى تأثره باللغة الفرنسية والتى تشبع بها، وخاصة أنه قرأ لكثير من الكتاب الفرنسيين المعاصرين، وأيضا ما تأثر به من كتب الدين الإسلامى، كل ذلك أثر على تكوين الاتجاه الأدبى عنده، فيقول "الكاتب الحقيقى يتجنب استعمال المترادفات فلا يأت باسمين مختلفين لمعنى واحد فى مكان واحد لأن ذلك يكون حشوا مستهجنا ودليلا على فقر فى الفكر والخيال، و لكن إذا كان المقال يستدعى ذكر عدة معان مطلوبا إذا كان لازما لتسهيل فهما أو إظهار الفروق التى بينها؛ كذلك الكاتب المجيد لا يضع صفة بجانب الاسم إلا إذا اقتضى الحال أن يميزه بصفة متطابقة للواقع على أن الاعتماد على ذكر الصفات والمبالغة فيها بقصد التأثير هو أقل درجات فن الكتابة"[٢].

فدعوة قاسم أمين دعوة تجديدية للأدب والنهوض به، فعلى الذين يشتغلون بالأدب مراعاة التجديد، يقول "الشعراء والكتاب والعلماء عندنا لا يعبرون عن أفكارهم فيما يكتبون دائما، عقولهم هى مخازن تحفظ ما يدخل فيها بالقراءة والسماع... كل عملهم محصور فى تكرار أفكار الغير التى حفظوها كما يحفظ الأطفال القرآن"[٣].

إن قاسم أمين كان يدعو إلى التجديد فى التعبير والبعد عن التكلف والجمود. ولذلك دعا إلى الاجتهاد فى اللغة العربية تمشيا مع حاجة العصر والمجتمع يقول "يظهر أن باب الاجتهاد أغلق فى اللغة .. فقد صار من المقرر بيننا أن اللغة العربية وسعت وتسع كل شىء"[٤]. فدعا إلى تبسيط اللغة العربية وتنقيتها من الألفاظ الداخلة عليها والالتزام بالفصحى وترك العامية، وفى ذلك يقول "ولا

---

(١) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص٧.

(٢) قاسم أمين: كلمات،مرجع سابق، ص ٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٤.

(٤) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص ١١.

أدرى لماذا يريد قومنا أن يستبعدوا من اللغة العربية الكلمات الفصيحة وطرق التعبير الجميلة التى نسمعها أحيانا فى لغة العامة، بحجج أنها لم ترد على لسان العرب، ونحن خلفاء العرب فى لغتهم، فكل ما تخترعه ملكاتنا فى اللغة يعد عربيا بالطبع "[1].

ولقاسم أمين آراء في الإعراب، وإن كان يبتعد عن الصواب، إلا أن الذى دفعه إلى أن يجتهد فى ذلك هو انتشار اللحن وشيوع الأخطاء فى ذلك الوقت لقوله "لم أر بين جميع من عرفتهم شخص يقرأ كل ما يقع تحت بصره من غير لحن، أليس هذا برهانا كافيا على وجوب إصلاح اللغة العربية؟"[2]، فهو يرى أن اللحن شائع وأن قواعد النحو نفسها هى التى تحول دون الفهم، ولذلك أراد أن يضيف إصلاحا للغة بقوله" ولى رأى فى الإعراب أذكره هنا بوجه الإجمال، وهو أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأى عامل من العوامل، بهذه الطريقة، وهى طريقة جميع اللغات الأفرنجية واللغة التركية"[3]، وإذا كان هو رأى قاسم أمين فى الإعراب، فقد فاته أن تكسين الكلمات فى أواخرها كتسكين الأنفاس فى الأحياء، وأن المشكلة ما تزال قائمة حتى قال توفيق الحكيم "سكن تسلم" عند دخل مجمع اللغة العربية عضوا وهو يتحدث عن تطور اللغة[4].

وجملة القول: إن قاسم أمين قد توفرت لديه المقدرة الأدبية، وكان يعلم تمام العلم أن العربية هى قوام الأمة وجامعة شعوبها ووعاء تراثها وبيانها، وأن الإصلاح لابد وأن يمسها، وخاصة أن تحرير الأمة من الجمود والتخلف له عوامله المختلفة، ولذلك كان أمله فى إنشاء الجامعة الأهلية المصرية لتحقيق الإصلاح وتنوير العقول وصلاح المجتمع، ولا يتأتى ذلك إلا بجامعة علمية.

٥- قاسم أمين والجامعة المصرية:

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) قاسم أمين: كلمات، مرجع السابق،ص ١٢.

(٤) وداد سكاكيني: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٤٢.

وقد رأى قاسم أمين أن تحرير المجتمع وإصلاحه لا يتأتى إلا بالتربية، فهى أداة الإصلاح ووسيلته، ولذلك وجد أن التعليم يحتاج إلى النظر فيه، فكان يرى أن مستقبل الأمة متوقفا على تعليمها، ومن ثم فإنه كان "مشغول البال بقضية التعليم وتأثيره ومصيره، إذ أن الحكم الذى يشرف عليه كان لا يريد منه إعداد الموظفين للدولة لا للنهوض بالشعب وتحريره من الجهل الحرمان"[1] فهو يرى أن التعليم ليس إعداد الموظفين للدولة فقط وإنما بالتعليم يتم كل إصلاح عن طريق الوعى وتحرير العقول من الجهل وتبصيرها.

ولما كان قاسم أمين من رواد الإصلاح الاجتماعى والذى بحث فى الهيئة الاجتماعية، فقد وجد أن التربية أساس الإصلاح، فأخذ يبنى للعلم صرحا قويا ألا وهو إنشاء الجامعة المصرية، والناس يعلمون ما لاقى فى سبيلها من الصعوبات ويعلمون أن صداها يتردد إلى الآن فى آذانهم[2]، فكان وصحبه من الرواد يتدارسون حاجة الشعب إلى إصلاح التعليم وإعداد فئة من العلماء والمختصين بالدراسات ليشاركوا فى التوجيه القومى الحديث وخاصة أن التعليم بالمدارس أصبح لا يعد الشعب إلى شئون الحياة، فقد توثقت الألفة وتكامل التجاوب العلقى بينهم، وخرجوا على الشعب بوضع برنامج للتعليم، وخاصة بعد التجربة التى عاشوها فى بعثاتهم التعليمية وخبرتهم فى المجال، فبدأوا التفكير فى إنشاء الجامعة[3].

وفى ١٢ من أكتوبر سنة ١٩٠٦م اجتمع هؤلاء الرواد بشعبهم ووطنهم فى بيت أحدهم الذى عقد بمنزل سعد زغلول باشا والذى صدر عنه البيان الموجه للأمة يدعوها للإسهام فى إنشاء الجامعة الأهلية المصرية، وعندما تخلى سعد زغلول عن رئاسة اللجنة التى كلف بها لتعيينه وزيرا للمعارف، تولى الرئاسة بدلا منه قاسم أمين[4]، والتى تعد آخر أعماله بعد إلقاء خطابه الشهير فى ١٥ أبريل سنة ١٩٠٨م

(١) وداد سكاكينى: قاسم أمين – مرجع سابق،ص ٤٧.
(٢) أحمد لطفى السيد: المنتخبات – جـ ١ – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٣٧، ص ٩.
(٣) إبراهيم ناجى: مدينة الأحلام – مرجع سابق ص ٦٣.
(٤) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – مرجع سابق،ص ٢٥.

بالمنوفية بمنزل حسن زايد والذى قال فيه" فى هذه السنة هب فى الرأى العام تيار من نفسه لتحقيق هذه الأمنية لأن الأمة انتهت بأن تفهم تمام الفهم أن طريقة التعليم فيها ناقصة وأن دائرته ضقية تقف وتنتهى بالطالب عند بلوغه الغاية"[1] ويوجه قاسم أمين خطابه موضحا دور الجامعة فى خدمة البيئة وإصلاح المجتمع وتخريج قادرة فكر وإصلاح، فيقول "نحن لا يمكننا أن نكتفى الآن بأن يكون طلب العلم فى مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو للالتحاق بوظيفة، بل نطمع فى أن نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حبا للحقيقة وشوقا إلى اكتشاف المجهول، وأن يكون مبدؤها التعلم للتعلم، نود أن نرد من أبناء مصر كما نرى فى البلاد الأخرى عالما يحيط بكل العلم الإنسان واختصاصيا أتقن فرعا مخصوصا من العلم ووقف نفسه على الإلمام بجميع ما يتعلق به، وفيلسوفا اكتسب شهرة عامة وكاتبا ذاع صيته فى العالم، وعالما يرجع فى حل المشكلات ويحتج برأيه، أمثال هؤلاء هم قادة الرأى العام عند الأمم الأخرى والمرشدون إلى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها، فإذا عدمتهم أمة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون"[2].

تلك الكلمة التى ألقاها قاسم أمين أوضحت رسالة الجامعة ودورها نحو المجتمع فقد كان بعيد النظر، عميق التفكير بمستقبل مصر بعد الاحتلال، وما تحتاج إليه البلاد من قادة وموجهين فى حياتها النضالية والتطورية، وأن الجامعة هى التى تهيئ النفوس والوعى للإصلاح والبناء، وتعد عقولا متفتحة على ثقافة الغرب وحضارته، إن قاسم أمين عقد آماله على رسالة الجامعة، ولكن القدر حال دون ذلك، فمات قبيل افتتاحها، وكانت مصر تستعد للاحتفال بافتتاح الجامعة، فلم يسعد قاسم أمين بهذا اليوم المشهور،حيث وافته المنية ،وهو لم يدخر وسعا فى سبيلها إلى آخر ساعة من حياته.

---

(1) وداد سكاكينى : قاسم أمين – مرجع سابق، ص٤٩.

(2) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – مرجع سابق – جـ١ – (إنشاء الجامعة)،ص ٣٤٧.

٦- وفاته (١٩٠٨م):

هكذا كانت حياة قاسم أمين ونهايته، والتى لم تنته بوفاته وهو في ربيع شبابه، فقد اختطف الموت قاسماً وما يزال في ربيع عمره، مات بالسكتة القلبية، وهو في ميدان هذا الجهاد الشاق، الذى خاض غماره وحمل أعباءه بقوته وعزيمته، ألا وهو ميدان الإصلاح الاجتماعى فى مصر.

ففى ليلة ٢٣ أبريل سنة ١٩٠٨م كان قاسم أمين فى ناديه المحبب (نادى المدارس العليا) والذى اعتاده، وكان يحتفل بطالبات رومانيات جئن إلى مصر زائرات، فاجتمع بهن قاسم أمين وألقى كلمة ترحيب بهن، وبانتهاء اللقاء وعودته إلى بيته سكت قلبه فجأة ولم يكن مريضا ولا شيخا، فقد مات وقلبه خافقا بحب مصر مستبشرا بمستقبل تتحرر فيه المرأة والإنسانية من الجهل والظلم[١].

لقد أسلم قاسم أمين الروح وما يزال فى صدر العمر وريعان القوة، وهو لم يتخط السنوات الأولى فى العقد الخامس من حياته، وأسلم روحه فى ظروف غريبة أليمة جعلت خبر وفاته ذهولا للجميع[٢] حيث أثار هذا الخبر فى نفوس الناس جميعا، أصدقاؤه وخصومه رنة حزن وأسى، واجتمع لتشييع جنازته كل ذوى الرأى فى مصر، وكانت جنازته مظهرا صامتا لإجلال الوطن وتقدير العاملين من رجاله، وغادر العالم تاركا وراءه ذكرا باقيا وهو ذكر الصدق والإخلاص لبلاده، ولم يبتغ عليها أجرا من جاه أو سلطان، فكان أجره عليها الخلود بعد موته فى ضمير الأجيال المتعاقبة، لأنه رفع لواء الحرية ،والعدل فى أسمى معانيه، وبعث إلى الروح المصرية حياة جديدة تكفل لها بلوغ ما ترجوه بين الأمم المتحضرة[٣]، فكانت حياته قبسا أضاء السبيل لمن تلاه ممن شغفوا حبا بالإصلاح"[٤].

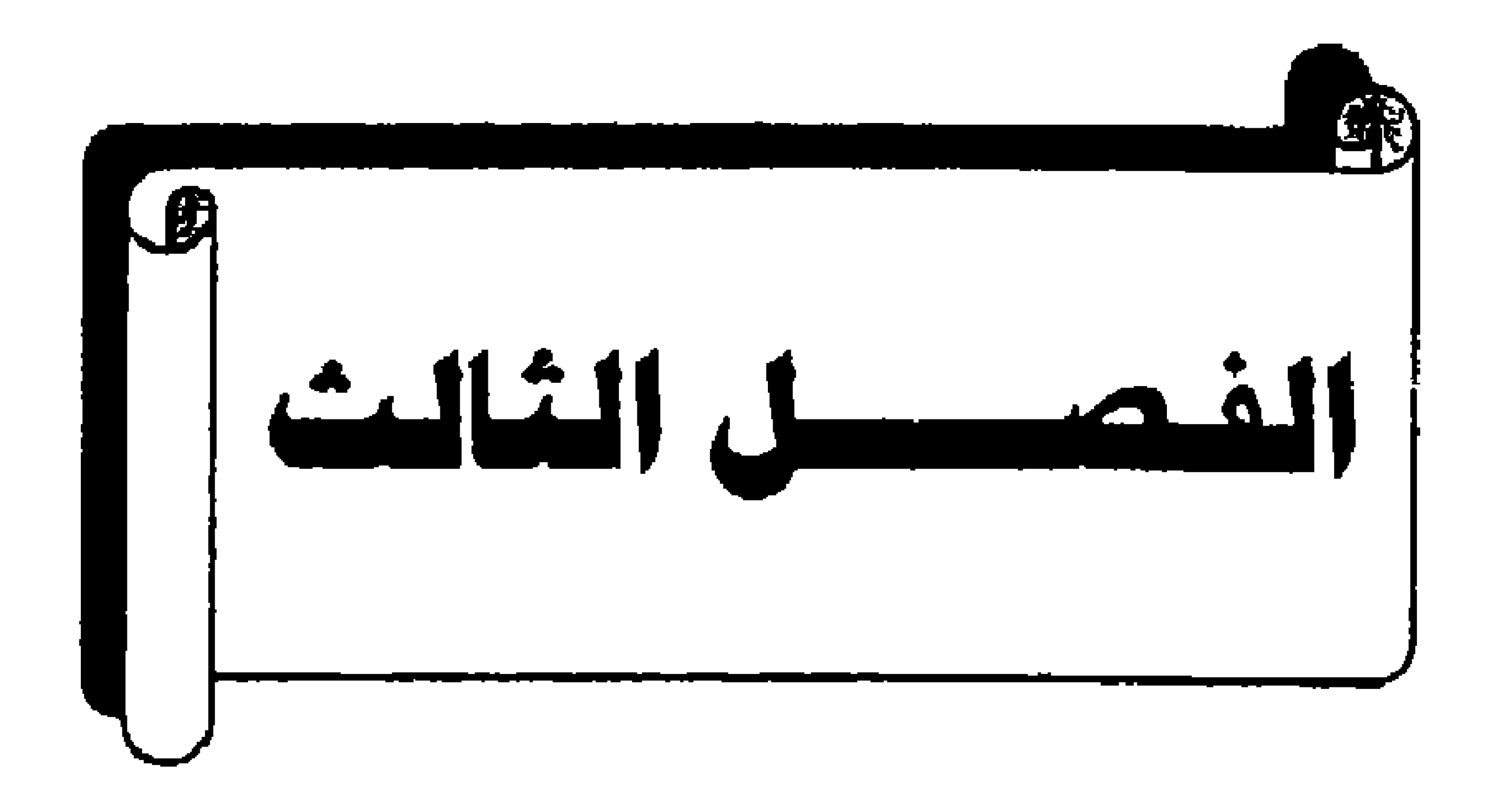
---

(١) وداد سكاكينى: قاسم أمين – مرجع سابق،ص٥٥

(٢) محمد حسين هكيل : ذكرى قاسم أمين – السياسة الأسبوعية – عدد ١١٣ – ٥ مايو ١٩٢٨م

(٣) محمد حسين هكيل : تراجم مصرية وغربية – مرجع سابق،ص١٥٧.

(٤) أحمد خاكى: قاسم أمين – مرجع سابق ، ص ١٦.



الاصول الفلسفية

لآراء قاسم امين التربوية

تمهيد:

هناك علاقة وثيقة بين آراء المفكر أو الفيلسوف التربوية، وبين فلسفته العامة، تلك العلاقة يطلق عليها فلسفة التربية. فكل فيلسوف تتضمن فلسفته نظرية تربوية، وكل تربوى له نظرة فلسفية[1]. ومن ثم فإن فلسفة التربية تعمل على تقدم العملية التربوية وتعديلها، كما تعمل على توضيحها، حتى تصبح أسلوباً وطريقة للعملية التربوية[2]، وهكذا: يتضح أن للعلاقة القائمة بين الفلسفة والتربية وجهين بارزين، الأول هو أن المذهب الفلسفى المختار يمد المنهج التربوى ممارساته بالأهداف العامة، والثانى هو أن التربية لا بد لها من استخدام طريقة البحث الفلسفى فى تحليل المسائل والقضايا التربوية"[3].

ولما كان الإنسان هو محور أى عملية تربوية، بحيث لا تتم هذه العملية ولا يتحقق مفهومها بدونه، فإنه يجدر بالباحث قبل أن يتحدث عن التربية أن يتعرض للتصور الذى قدمه قاسم أمين عن الإنسان، "فإن هذا التصور مبحث هام فى كل فلسفة تربوية، إذ لا تكتمل هذه الفلسفة إلا إذا استطاعت أن تحدد موقفها من الإنسان، وتحدد تصورها بالنسبة لأهميته ومفهومه وطبيعته وخصائصه وعوامل تكوينه"[4].

والباحث فى التربية لا يركز على التفاصيل الفلسفية الدقيقة، بل عليه أن يبرز القدر الكافى لفهم آراء الفيلسوف فى ميدان التربية، ومن ثم فقد اتجه الفصل الثالث فى هذا البحث إلى عرض الأصول الفلسفية لآراء قاسم أمين التربوية.

---

(1) أحمد عبد الحميد أبو عرايس: الآراء التربوية فى كتابات مسكويه – (رسالة ماجستير غير منشورة) – كلية التربية – جامعة طنطا – ١٩٧٧م، ص ٤٢.

(2) L. A Reid: Philosophy and education. Heinemann- London. P. 92.

(3) حنا غالب: التربية المتجددة وأركانها – ط٢ – دار الكتاب اللبنانى – بيروت – ١٩٧٠م، ص ٤٩.

(4) حسن إبراهيم عبد العال: أصول تربية الطفل فى الإسلام (رسالة دكتوراه غير منشورة) – كلية التربية – جامعة طنطا – ١٩٨٠م، ص ٥٨.

الإنسان فى فكر قاسم أمين:

لقد احتل الإنسان فى فكر قاسم أمين مكانة عظيمة لا تقل عن مكانته ومنزلته في الإسلام. تلك المكانة التى تميز بها على سائر المخلوقات جعلته كائناً متفرداً بـ " أعماله العقلية واختراعاته العلمية"[1]. فالإنسان هو أعقل المخلوقات وأكملها وأحكمها[2]، ولذلك نجده: قد مارس... وظيفة التربية لنفسه وفى كل شيء وقع تحت تصرفه حتى وصل إلى نتائج تشبه المعجزات"، "ففى النباتات مزج الألوان وعظم الحجم وحسن النوع ونسخ هيئته التى فطر عليها وفى الحيوانات استأنسها واستخدمها وعلمها واستولد من الأنواع المختلفة أنواعاً جديدة"[3]. وكل ذلك بفضل علمه وعقله. ومن ثم كان أكبر شيء يحق للإنسان المباهاة به والافتخار بل والإعجاب.. هو تربية نفسه"[4].

ويؤكد قاسم أمين على تفرد الإنسان بإنسانيته، من عقل وفكر، فيقول "إنما الذى يهم الإنسان البصير هو أن يرى بنفسه خلقاً حياً يفكر ويتكلم ويفعل. خلقاً يجمع من الشمائل والصفات ما يلائم ذوقه ويتفق مع رغباته وعواطفه"[5].

ولما كان الإنسان هو الكائن الذى تميز عن الكائنات الحية أجمع فقد كرمه الله وفضله على كثير من خلقه وجعله متطوراً مرتقياً بعقله فى سلم الإنسانية "ذلك لأن الإنسان ترقى فى فكره"[6]، حيث إنه من الثابت أن عصوراً مضت على النوع الإنسانى وهو فى أدنى مراتب الإنسانية ثم ارتقى بالتدرج إلى أن وصل إلى هذه الدرجة العليا التى يحق له أن يفتخر بها"[7]. وهذا الرقى العقلة الذى شمل الإنسان جعله "متنقلاً من دور إلى دور حتى وصل إلى هذه المدينة الجميلة التى جعلته حقيقة

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١١٨.
(2) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ٢ – مرجع سابق، ص ٨٤.
(3) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٣٠.
(4) المرجع السابق ، ص ٣١.
(5) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ٢ – مرجع سابق، ص٨٥.
(6) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق،ص ٢٨.
(7) المرجع السابق، ص ١٨٣.

سيد الكون وأشرف المخلوقات"[1] وبذلك أصبح الإنسان مكرماً ومفضلاً على كثير من الخلق لما حققه من مدنية وتقدم بفضل علمه وعقله.

وإذا كان الإنسان هو خليفة الله في الأرض لقوله تعالى: ﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾[2] فإن قاسم أمين قد رأى أن دعوة الإسلام للإنسان هي الاستخلاف في الأرض. فالإنسان عليه أن يتوجه "بالعمل والتعليم والسعي لغزو الأرض"[3] لتحقيق الخلافة التي استحقها هذا الإنسان فاصطفاه الله لذلك لأن فطرته التي فطره الله عليها تمكنه من أن يقوم لمهام هذا الاستخلاف[4].

ومفهوم الإنسان عند قاسم أمين يقضي بأن يخضع خضوعاً تاماً لله سبحانه وتعالى وأن يقر من أعماق قلبه بعبوديته المطلقة. ويرى أن إيمان المرء يفرض عليه أن يأتمر بما أمره الله وينتهي عما نهاه عنه. ويستدل على ذلك بقول أبو إبراهيم بن موسى المعروف بالشاطبي " على المسلم المكلف أن يؤدي كل ما هو مفروض عليه وأن يتجنب كل ما هو محرم عليه"[5]. لأن المسلم فرضت عليه واجبات وحرمت عليه أشياء، وهو مثاب على ما يقوم به من خير ومعاقب على ما يقترفه من إثم.

فحياة الإنسان المسلم كما يراها قاسم أمين ليست غاية في حد ذاتها، ولكنها وسيلة لتحقيق ر.. ته في الحياة الدنيا ووسيلته إلى الآخرة. ومن ثم تتحقق خلافة الإنسان في الأرض، ويجمع بين الحياة والآخرة، ويستشهد قاسم أمين على ذلك بقول الإمام علي كرم الله وجهة: لقد رأيت أن الأرض لا تنبت ذهباً والسماء لا تمطر فضة فاعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً"[6].

---

(1) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٣٢.

(2) قرآن كريم: سورة البقرة – آية، ٣٠.

(3) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ ١ – مرجع سابق، ص ٢٩٧.

(4) حسن إبراهيم عبد العال: مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية (التربية والطبيعة الإنسانية) – القاهرة – عالم الكتب – ١٩٨٥م، ص٥٥.

(5) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ ١ – مرجع سابق، ص ٣١٦.

(6) المرجع السابق،ص ٩٨.

وبذلك يتحقق مفهوم الإنسان فى الإسلام كما رآه قاسم أمين. والذى يجمع بين الدين والدنيا. فلا يهمل جانباً على حساب الآخر. حيث إن الإسلام قد طالب بالعمل كل قادر عليه. وقرر أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾[1]. كما أن الإسلام قد أباح لكل واحد أن يتناول من الطيبات ما شاء أكلاً وشرباً ولباساً وزينة. ولم يحظر عليه إلا ما كان ضاراً لنفسه. أو بمن يدخل فى ولايته. أو ما تعدى ضرورة إلى غيره. وحدد له فى ذلك الحدود العامة بما ينطبق على مصالح البشر كافة، فكفل الاستقلال لكل شخص فى عمله واتسع المجال لتسابق الهمم فى السعى حتى لم يعد لها عقبة تتعثر بها إلا حقاً تصطدم به[2].

ومما سبق يتضح أن الإنسان يحتل فى فكر قاسم أمين منزلة لا تعلو عليها سوى منزلة الله سبحانه وتعالى فالإنسان كما يراه خليفة الله، وهو أكرم خلق الله، فهو يحتل أشرف مكانة فى ميزانية الخليقة الذى توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات لما يتميز به من عقل وفكر، فهو الكائن الوحيد الذى ترقى بعقله حتى أصبح سيد الكون وأشرف المخلوقات.

أولاً الطبيعة الإنسانية:

يقصد بالطبيعة الإنسانية فطرة الإنسان التى فطره الله عليها[3].

وإذا كان موضوع الطبيعة الإنسانية قد شغل الفلاسفة والعلماء، فإنه يمثل اهتماماً كبيراً لدى قاسم أمين، حيث إن موضوع الطبيعة الإنسانية قد احتل مكاناً بارزاً فى فكر قاسم أمين، وكانت له آراء جديرة بالبحث والتنقيب عنها.

---

(1) قرآن كريم: سورة الزلزلة – آية ٧، ٨.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١٢٥، ١٢٦ – نقلاً عن الإمام محمد عبده: رسالة التوحيد، ص ١٠٠ – ١٠٢.

(3) محمد منير مرسى: التربية الإسلامية – أصولها وتطورها فى البلاد العربية – القاهرة – عالم الكتب – ١٩٨٣م، ص ١١٢.

ولما كان الإنسان هو محور العمليـة التربويـة. فـإن إبـراز نظـرة قاسـم أمـين للطبيعة الإنسـانية يوضح دوافـع هـذا الإنسـان وحاجاتـه ومطالبـه وإمكاناتـه حتـى يستطيع تحديـد أهـداف تربيتـه ومنـاهج تعليمـه وطرائـق تنشـئته علـى أسـس هـذه النظرة. وخاصة بعد أن تعرض لمنزلقات تربوية نتيجة لسوء فـهم طبيعتـه ومكوناتـها أو قصور النظر في هذه الطبيعة، لأن الاختلاف في فهم الطبيعة الإنسانية يـؤدى إلى الاختلاف في مفهوم التربية[1]، وعلى هذا الأساس تتحدد طبيعة التربيـة وأهدافـها، وخاصة أن صعوبة فهم الطبيعة الإنسانية كان محل عناية الكثير من الفلاسفة، وهذا يرجع إلى طبيعة الإنسان المعدة والتي ما زالت السر الغـامض. ويـرى قاسـم أمـين أن الإنسان ما زال عـاجزاً عـن معرفـة نفسـه، وأنـه "لا يسـتطيع أحـد أن يلـم بجميـع العوامل التى تتركب منـها الـذات الإنسـانية بوجهيـها الأدبـى والمـادى"[2]، وهـذا نتيجة لغموض طبيعة الإنسان وتعقدها، والتى صـارت مـن أخطـر المزالـق التـى تـزل فيها الأقدام وتضل فيها الأفهام .. نظراً للازدواج والتعقيـد فـى طبيعتـه التـى ركـب عليها[3]، كما أن فهم هذه الطبيعة يحدد طبيعة التربيـة وأهدافـها ووسـائلها، حتـى "نجد كثيراً من الآباء عندنا لجهلهم بالطبيعة الإنسانية يستعملون فى تربية أولادهـم ما لا يقل فى الشناعة والسخافة عما يستعمله النساء"[4]. لجهلهم بالتربية.

وقبل أن يتعرض البحث إلى قضية الطبيعة الإنسانية عند قاسم أمين يجب أن تطـرح الأسئلة الآتية:

كيف نظر قاسم أمين إلى الطبيعة الإنسانية؟ هل هى ثابتة جامدة منذ الميلاد أم أنـها مرنة قابلة للتشكيل؟

- هل الإنسان وحدة متكاملة أم أجزاء؟

---

(1) محمود السيد سلطان: قضايا فى الفكر التربوى الإسلامى - القاهرة - دار الحسام للنشر والطباعة والتوزيع - ١٩٨١م، ص ١١٩.

(2) قاسم أمين: كلمات - مرجع سابق، ص ٩.

(3) يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة - ط٣ - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٧٨م، ص ٧٨.

(4) قاسم أمين: المرأة الجديدة - مرجع سابق، ص ١١٦، ١١٧.

- هل الطبيعة الإنسانية للرجل متساوية مع طبيعة المرأة؟
- ما مدى حرية الإنسان في اختياراته؟
- هل طبيعة الإنسان خيرة أم شريرة؟
- إلى أي مدى تضع الوراثة حدوداً لطاقات الإنسان وانطلاقه؟ وما مدى تأثيره بالبيئة؟
- ما انعكاس نظرة قاسم أمين في تلك القضايا على آرائه في التربية؟

وقد اختلفت نظرة الفلاسفة وعلماء الأخلاق إلى الطبيعة الإنسانية، حيث كانت أراؤهم متباينة فيما يكون الخبرة التربوية السليمة وفي مكانها وقيمتها من العمل الإنساني.فقد نادى بعضهم بأن الطبيعة الإنسانية واحدة في جميع الأزمنة والعصور، وأن الإنسان هو الإنسان حيثما وجد، وعلى هذا الأساس كانت الخبرة التربوية هي هي في جميع الأنظمة التعليمية"وهناك من نادى بأن الطبيعة الإنسانية تختلف باختلاف الأفراد أنفسهم وباختلاف استعداداتهم وقدراتهم، ولهذا كانت الخبرة التربوية متغيرة بتغير المجتمعات وبتغير الأفراد على حد سواء "كما أن هناك" من يعتقد أن الطبيعة الإنسانية لا تتحرك دون حافز ولا تعمل دون دافع، ولذلك كان علينا أن نثيرها دائماً إلى العمل[1].

وإذا كانت الآراء تعددت وتباينت فإن قاسم أمين قد رأى أن الطبيعة الإنسانية غير ثابتة، ولكنها ذات تشوف دائم وتطلع إلى الارتقاء والنمو في مدارج الكمال، حيث إن "كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقبح، والكمال المطلق لا يوجد في هذا العالم، ولكن بعض النفوس الممتازة تقترب من الكمال أكثر من غيرها فتنمو زهرة الجمال فيها نمواً عجيباً وتتكاثر فروعها وتمتد طولاً وعرضاً ولا تترك محلاً لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث بجانبها"[2].

---

(1) محمد لبيب النجيحي: فلسفة التربية - ط٢- (د. ن) - ١٩٦٧م، ص ١٢١.
(2) قاسم أمين: الأعمال الكاملة - جـ١- مرجع سابق، ص ٣٥٢.

وكذلك اختلفت النظرة إلى الإنسان من وجهة النظر الآتية إليه: هل هو عقل وجسد منفصلاً أحدهما عن الآخر، أم أنه كيان متكامل، تؤثر بعض جوانبه في بعضها الآخر؟. فالمثالية تؤكد على ثنائية الطبيعة البشرية، فالإنسان" له جسم وله حدود مكانية، أما العقل فليست له هذه الحدود بل هو أقرب إلى الروح منه إلى شيء آخر"[1]. أما الواقعية فقد ذهبت بوحدة الطبيعة الإنسانية وتكامل مكوناتها، فهي "كل متكامل لا يتكون من جسم يضاف إليه عقل، ولكن الطبيعة الإنسانية أبعد من ذلك، فالكل أكثر من مجموع أجزائه، أى أن الطبيعة الإنسانية هى أكثر من مجرد إحساسات جسمية وتكوينات عقلية"[2].

وقد جاءت نظرة قاسم أمين متفقة مع الواقعية، حيث إنه نظر إلى الطبيعة الإنسانية نظرة متحدة، فهو يؤمن بوحدة الطبيعة الإنسانية فالإنسان" يضم إلى المنظر البديع الجسدانى منظراً آخر قد يكون أبدع فى اعتباره وهو المنظر الروحاني العقلى"[3]، وأن الجانب المادى "زائل لا بقاء له بخلاف الجانب المعنوى الذى هو باق وخالد لأنه كثيراً ما يستبدل بلذة الحس التى لا بقاء لها لذة العقل والوجدان التى لا تنتهى أطوارها ولا تغنى مظاهرها"[4]. فالجانب المادى دائماً "يستهويه الحب لمشهد الوجه الجميل وسواد العيون ورشاقة القد وطول الشعر "أما الجانب المعنوى ففيه يمتزج العشق بروحه حتى يكون كأنه طبع لها إذا وجد بجانب ذلك الجمال لطف الشمائل ورقة الذوق وبهاء الفطنة ونفاذ العقل وسعة العرفان وحسن التدبير والحذق فى العمل مع المحافظة على النظام فيه، ونظافة الباطن والظاهر وحنو القلب وصدق اللسان وطهارة الذمة وعظم الأمانة والإخلاص فى الولاء"[5]، وبذلك تصبح "الفضائل المعنوية .. ترجح.. على جميع المحاسن الجسدانية"[6].

---

(1) محمد لبيب النجيحى: مقدمة فى فلسفة التربية – ط١ – القاهرة – الأنجلو المصرية – ١٩٦٣م، ص٢٠٤.

(2) محمد لبيب النجيحى: فلسفة التربية – مرجع سابق، ص ١٥٩، ١٦٠.

(3) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٥٣.

(4) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(5) المرجع السابق، ص ٥٣، ٥٤.

(6) المرجع السابق، ص ٥٤.

وقاسم أمين يرى أن الجانب المادى يؤدى وظيفته جنباً إلى جنب مع الجانب المعنوى، ويضرب على ذلك مثالاً – علاقة الرجل بزوجته – قائلاً: إن الانجذاب المادى ليس كافياً..بل يلزم أن يوجد أيضاً توافق بين نفوس الزوجين ...، ائتلاف بين ملكاتهما وأخلاقهما وعتولهما"[1]. فالرجل والمرأة "لا تقتنع نفوسهما بالاختلاط الجسدانى وحده بل يصير أعظم همهما طلب الائتلاف والوحدة الروحية"[2].

فالطبيعة الإنسانية عند قاسم أمين وحده متكاملة، وليست أجزاء منفصلة، وما يؤيد ذلك أيضاً" أن الشرائع لا تعاقب ولا تقيم الحد على زنا العين والقلب لأن العقوبات والحدود لا سلطان لها على الخواطر والقلوب، ولكن فى نظر أهل الأدب والتقوى لا عبرة للبعد بين الأجساد إذا تواصلت الأرواح واجتمعت القلوب"[3].

فقاسم أمين يؤمن بوحدة الطبيعة الإنسانية، فلا نجد فى تصوره عقلاً أو روحاً قائماً بذاته متميزاً عن الجسم. ولكن تتكامل وظيفتهما، حيث يمد الإحساس النفس بالصور الخارجية ثم يقوم العقل بعمليات التخيل والتذكر والشك والاعتقاد، ومن هذين المصدرين الحس والعقل تتكون التجربة الإنسانية، فالعقل لا يتحقق بدون الجسم، والجسم لا يتحقق بدون القلب والنفس، وخير مثال على ذلك أن الحب "يبعث النشاط فى الجسم والطمأنينة فى النفس ويحيى فى القلب شعوراً بلذة الحياة ويزينها له ويخفف ثقلها عليه ويجعلها منه فى مكان الرقى"[4]. كما أن الخوف دائماً يكون "مصحوباً باضطراب فى العقل وخفقان فى القلب وارتعاش فى الجسم"[5].

(أ)مكونات الطبيعة الإنسانية :

---

(1) المرجع السابق، ص ١٤٢.
(2) المرجع السابق، ص١١٥.
(3) قاسم أمين: تحرير المرأة،مرجع السابق ، ص ١٠٥.
(4) المرجع السابق، ص ١٤٦.
(5) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص ٢٢.

إذا ما حاولنا إبراز نظرة قاسم أمين إلى مكونات الطبيعة الإنسانية كان لا بد علينا أن نتناول تلك المكونات منفصلة، مع العلم أن مكونات تلك الطبيعة الإنسانية عند قاسم أمين تتراءى لنا متحدة تؤدى وظائف متكاملة، فعند حديثه عن المرأة يؤكد على وحدة الطبيعة سواء أكانت عند الرجل أم المرأة، فعن سوء معاملة الرجال للنساء يتساءل " هل هذه المعاملة يليق أن يعامل بها إنسان له من خاصة الإنسان ما لنا؟ فهو مثلنا له روح ووجدان وقلب وعقل وحواس"[1].

فالمرأة لها ما للرجل من مكونات بشرية وطاقات إنسانية، فالطبيعة الإنسانية للمرأة تتساوى مع طبيعة الرجل، فلو أنها "استعملت مداركها وقواها العقلية والجسمية لصارت نفسا حية فعالة"[2]، ولكن إهمالها لهذه القوى وضعها فى مكان منحط من المجتمع.

ومكونات الطبيعة الإنسانية عند قاسم أمين هى:

١- الجسم:

لما كانت طبيعة الإنسان لها جوانبها المادية وغير المادية، فإن قاسم أمين يرى أن الجانب المادى هو الذى يتمثل فى الجسم، ولذلك أولى اهتماما بالغا بالتربية الجسمية، لأنه يرى أن الإنسان لا يستقيم أمره إلا باستقامة جسمه، وأن سلامة الشخصية تتوقف على قوة البنية، ومن هنا وجب على الإنسان أن يربى على تمرين الجسم بالحركة والرياضة "لأن الجسم الضعيف لا يسكنه إلا عقل ضعيف، ولأن ما يكثر عروضه .. من الاضطرابات العصبية والمخية إنما هو ناشئ عن عدم انتظام وظائف الجسم"[3].

كما أنه قد ذهب إلى أن العقل السليم فى الجسم السليم حيث إن "تربية العقل.. لا تثمر ثمرتها إلا إذا صحبتها تربية الجسم وأن موازنة العقل لا تتم إلا

---

(١) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٣) قاسم أمين: تحرير المرأة، مرجع سابق، ص ١٢٩.

بموازنة وظائف الجسم"[1]، وهذا ما نادى به أفلاطون وأرسطو، ومن ثم يصبح "هدف التربية ووظيفتها الأساسية، وتنمية العقل، فالتفكير السديد . والتفوق العقلى هما المصدر الذى يشع كل السلوك الطيب "لأن العقل هو" الذى يسيطر على الجسد، وينشط الجهاز العصبى والعضلى، وهو الذى يضبط النزعات المتصلة بالجسد"[2]، كما أن للجسم أثره فى العقل إلى مدى بعيد"[3]. فكما أن العقل يؤثر على الجسم فإن الجسم يؤثر هو الآخر على العقل.

ومن ثم ذهب قاسم أمين إلى أن الجانب المادى يؤثر سلبياً وإيجابياً فى الجانب غير المادى، حيث أن "سلامة العقل فى جميع مظاهرها تابعة لسلامة الجسم"[4]، كما أن "قوة البنية وسلامة الأعصاب هما من أهم أعوان الإنسان على ضبط نفسه، وأن ضعف البنية واعتلال الأعصاب هما من أهم الأسباب التى تجعل الإنسان آلة تلعب بها الشهوات والأهواء"[5]. وهذا يعنى أن الجسم يمثل جانباً مادياً يلعب دوره فى الجوانب الأخرى من الطبيعة الإنسانية، وأن سلامة القوى الأخرى تتوقف على سلامة ومدى العناية بالجسم.

٢- العقل:

يمثل العقل أحد الجوانب غير المادية من مكونات الطبيعة الإنسانية، ويرى قاسم أمين أن العقل كيان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالكيان المادى. فإذا كان الجسم شيئاً مادياً، فإن العقل شيء معنوى أو تكوين فرضى إستدلالى نستدل على وجوده من نتائجه، فالعقل مظهر من مظاهر المخ، حيث يرى قاسم أمين أن " كل الملكات العقلية والأدبية فى الإنسان إنما هى مظاهر من وظائف المخ"[6].

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٠.

(٢) ابراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية -ط٢ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠م . ص ٣٣.

(٣) المرجع سابق، ص ٣٥،.

(٤) قاسم أمين : تحرير المرأة - مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٥) قاسم-أمين : المرأة الجديدة - مرجع سابق،ص ٥٥.

(٦) قاسم أمين : تحرير المرأة - مرجع سابق، ص ٦١.

فالعقل كما يراه قاسم أمين هـو الجـانب الحيـوى فـى الطبيعـة الإنسـانية، وهذا ما عبر عنه عندما قال " وغالباً ما تشمخ فوق هذا الجسد – كما تشمخ الزهرة – رأس ذكية"[1]. لأن العقل هو الذى يحل محل الأوهام" ولا شيء ينفع الإنسـان مثـل اكتسابه ما يسمى عقلاً علمياً... يقابل التخيل الـذى يعيش بـه صاحبـه فـى أوهـام وهواجس لا ترجع إلى حق ثابت. فإن كل مصائب الإنسان تأتى له مـن بـاب واحـد هو الخيال. كلما تجرد الإنسان عن الأوهام والخيالات قرب من السعادة ويبعد عنـها بقدر ما يبعد عن الحقيقة"[2]، كما يرى أن "العلم لا يثمر إلا إذا كـان العقـل متمتعـاً بالهدوء والسكون، خالياً من الاضطراب والتشويش"[3].

فالعقل يمثل أداة فعالة إيجابية، وهـو خـير مـا وهبـه الله سـبحانه وتعـالى للإنسان ليصبح مؤجهاً وقائداً ومرشداً. فالتقسيم الثنائى إلى قيمة العقل، فجعلـه أداة سلبية على حين أنه فى الحقيقة أداة إيجابية فعالة.

كما يرى قاسم أمين أن المرأة تتساوى مع الرجل فى العقل، وأن "التكاليف الشـرعية تدلنا على أن المرأة وهبت من العقل مثل ما وهب الرجل"[4]، فهى "مسـاوية للرجـل فى القوى العقلية"[5]. وقد "زينتها الفطرة بموهبة العقل فحق لهـا أن تسـمو.. إلى مـا يقرب من درجته إن لم تستطع أن تساوية"[6]، ومن هنا يتبين أن الطبيعة الإنسانية قد تتساوى عند الرجل والمرأة من ناحية العقل.

---

(1) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ ١ – مرجع سابق، ص ٢٥٦.
(2) قاسم أمين – تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٥٩.
(3) المرجع السابق، ص ٤٧.
(4) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ٤٧.
(5) المرجع سابق، ص٨٩.
(6) المرجع سابق، ص ٤٧.

٣- النفس:

والنفس من مكونات الذات الإنسانية وهى تحتل مكانة عظيمة فى فكر قاسم أمين، فيقول: "إن للنفس حياء يجب احترامه، كما أن فى الجسم ما ينبغى غض النظر عنه"[١]، فالنفس لها احترمها كما للجسم احترامه، والنفس عند قاسم أمين قسمان: "النفس الضعيفة تنحنى للقوى وتنكمش أمام الظالم وتهاب كل صاحب سلطة وبعكسها النفس القوية تجد فى إظهار جرأتها على هؤلاء وأمثالها منفذاً يخرج منه ما يزيد عندها من القوة عن حاجة حياتها"[٢]، وبالطبع فإن النفس القوية خير وأفضل من النفس الضعيفة، لأن النفس القوية هى التى تصل بصاحبها إلى السعادة وتتغلب على الشهوات والأهواء عكس النفس الضعيفة التى تكون دائماً عرضة لاقتراف الشهوات.

فالإنسان فى فكر قاسم أمين فى حالة صراع داخلى بين قواه النفسية المختلفة، وعليه أن يجاهد النفس ويتغلب عليها، فيقول، جهاد النفس لا تجد الجنان إلا عند الرجل الذى عرض نفسه إلى استهواء الشهوات وخدائع اللذات، فإذا اختبرها بالتجربة وتغلب عليها بعد ذلك كسب قوة الحكم على نفسه التى هى الفضيلة الحقيقية خلافاً للرجل الذى احتجب عن جواذب الشهوات فإنه متى وجد أمام فرص مرغبة فيها لا يقاوم سلطانها إلا قليلاً وإذا سلم فى نفسه مرة لا يستطيع الخلاص منها"[٣]، فكان لابد أن تتجه النفس القوية إلى الطهارة والنقاء بعكس النفس الضعيفة والتى تنكمش أمام كل فرصه تتاح لها، ومن هنا تأتى أهمية التربية ودورها فى إصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، وبذلك يتفق قاسم أمين مع أفلاطون فى أن التربية وحدها هى التى تقوم مقام النزعة العاقلة، وتمارس دورها فى إحداث

---

(١) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ٢١، ٢٢.

(٢) المرجع السابق:، ص٦٠.

(٣) المرجع سابق، ص ١٧، ١٨.

التوازن والاعتدال بين قوى العقل المختلفة"[1]، وبناء على ذلك يذهب قاسم أمين إلى أن لكل نفس حق طبيعي في تنمية ملكاتها الغريزية إلى أقصى حد ترمي إليه باستعدادها"[2]، ومن ثم تصبح التربية "هي العمل المستمر الذي تتوسل به النفس إلى طلب الكمال من كل وجوهه"[3].

٤- القلب:

والقلب أيضاً من مكونات الذات الإنسانية، وللقلب في اللغة استعمالان "حسي بمعنى العضلة الحمراء التي تعمل في تجويف الصدر لتنقية الدم، وتنظيم الدورة الدموية للجسم كله، ومعنوي بمعنى العقل الذي يفقه به الإنسان حقائق الأمور ويحصل به أصدق المعرفة"[4].

وإذا كان ابن قيم الجوزية يرى أن للقلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب" وأن كمال الإنسان وصلاحه لا يتم إلا باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه، ويعود عليه بصلاحه وسعادته"[5]. فإن قاسم أمين رأى أن القلب هو القوة العاطفية في الإنسان، فيه يشعر بإنسانيته لأن" الإنسان يحتاج إلى أن يكون محباً وأن يكون محبوباً، ومن فضل الله عليه أن وضع بجانبه أمهات وزوجات وغرس في قلوبهن محبته وفي قلبه محبتهن، وهذه أكبر نعمة من الله علينا بها، لأن هذه المحبة النقية الطاهرة الكاملة إذا صرفت فيما وضعت له كانت المسلية لنا في سجن الحياة وهونت علينا الآلام والمصائب التي لولا هذه التسلية لأفضت في بعض الأوقات بأقوى رجل منا إلى اليأس"[6].

---

(١) إبراهيم محمد إبراهيم عطية: الفكر التربوي لأفلاطون – رسالة ماجستير (غير منشورة) – كلية التربية – جامعة طنطا – ١٩٨٥ مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٤٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٨.

(٤) صابر طعيمه: المعرفة في منهج القرآن (دراسة في الدعوة والدعاة) – دار الجيل – بيروت (د. ت)، ص ١٤٣.

(٥) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١هـ) : إغاثة اللهفان من مصايد الشطيان – تحقيق محمد حامد الفقي – المجلد الأول – دار المعرفة – بيروت (د. ت)، ص ٢٤.

(٦) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٧١.

والقلب يعد المرشد للإنسان والهادى له، وقد آمن قاسم أمين به، ولذلك كانت العاطفة تعد سمة من سمات الطبيعة الإنسانية في فكر قاسم أمين،وعاطفة المحبة والرحمة والتسامح والسلام هي السائدة في كل نواحي مؤلفاته.حتى قال عنه أحمد لطفي السيد "وإنى ما رأيت ولا قرأت أن كاتباً كبيراً أو حكيماً ملاحظاً مال إلى تقديس معنى الحب وإطراء العشق بقدر ما كانت نفس قاسم أمين الحساسة الدقيقة الإحساس، تتيه أياماً كثيرة في إدراك كنه هذه الحقيقة المجهولة حتى صار يعتقد بالهوى العذرى وأنه دليل على شرف النفس وتقدمها في طريق الكمال"[1].

فالقلب هو مرشد الإنسان وعليه يتوقف كل خير، ويتساءل قاسم أمين" ماذا يفيد الرجل أن يملك جسم امرأته وحده إذا غاب عنه قلبها؟ أيستطيع أن يمنعها أن تتصرف فيه وتبذله لأى شخص تريد؟" [2]، كما أنه "لا يفيد شيئاً إن لم يصل الرجل إلى امتلاك قلب امرأته، فإن ملكه ملك كل شيء منها وإن لم يملكه لم يملك منها شيئاً"[3].

ولما كانت العاطفة منبعها القلب، فإن قاسم أمين كان يجل عاطفة الحب، ويرى " أن العارف يعتبر العثور على الحب الشريف أكبر السعادات في هذه الدنيا، وإذا كان المال زينة الحياة الدنيا فالحب هو الحياة بعينيها"[4]، فكان يراه غذاء روحياً لا غنى للنفس عنه في جميع أدوار حياتها، وعنده أن " كل عشق شريف، فإن كان بين شريفين زاد في قيمتهما ورفع من قدرهما وإن كان بين وضيعين أكسبهما شرفاً وقتياً حتى إذا زال العشق سقطت قيمتهما وانحطت مرتبتهما ورجعا إلى أهلهما"[5].

(ب) الإنسان بين الجبر والاختيار:

---

(1) أحمد لطفي السيد: المنتخبات – مرجع سابق، ص٣.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١٠٥.

(3) المرجع السابق، ص١٠٤.

(4) المرجع السابق، ص ٥٥.

(5) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص ٦.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الكـون وما فيه من مخلوقات وعوالم، وهذا الكون يسير وفق قوانين ونواميس معينة ونظـام محكم تتحكم فيه القدرة الإلهيـة، والإنسان باعتباره جزءاً من هذا الكون كان محل عناية العلماء في النظر إلى أعماله، وقد انقسموا إلى فرق فمنهم من ذهب إلى القول بأن الإنسان مجبر في أعماله ولا حرية له فيما يفعل وهؤلاء هم "الجبرية" ومنهم القائل سلطة الإنسان على جميع أفعاله واستقلاله المطلق، فالإنسان مخير وله حرية الإرادة وهؤلاء سموا "القدرية"[1] [*].

وإذا كانت الآراء تعددت حول قضية الجبر والاختيار وعلاقة المسلم بأفعاله، فإن قاسم أمين يرى أن الإنسان مخير ومسير معاً، فالإنسان مخير في أمور ومسير في أمور أخرى، وما يؤيد القول بإن الإنسان مخير قول قاسم أمين" لقد تصور البعض خطأ أن المسلمين يعدون أنفسهم كائنات مسلوبة كل حرية وينتظرون أن ينزل عليهم من السماء شواء من الطيور وذلك خطأ واضح"، ولكن" حرية الإنسان ثابتة في القرآن بطريقة حاسمة[2]". ويستشهد قاسم أمين بآيات من الذكر الحكيم على ذلك ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[3]، وقول تعالى ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[4]، فالقرآن يقيم في وضوح ارتباط الأسباب بالمسببات وتعليق الآثار على الأسباب"[5]. ثم يؤكد قاسم أمين على حرية على حرية الإنسان قائلاً "بالغنا في اعتقاد أن الله يخرج الفاسد من الصالح ويخرج الصالح من الفاسد، وأنه يوزع العقول ويهب الصفات كما يشاء، وهو اعتقاد صحيح إذا أخذ من جهة أن الله قادر على كل شيء، ومن متناول قدرته أن

(1) الإمام محمد عبده : رسالة التوحيد – تحقيق الشيخ حسين الغزالي – دار احياء العلوم – بيروت – ١٩٧٩م، ص ٧٥.

(*) القدرية هنا معناها الاختيار في حين يستخدمها البعض بمعنى الجبر.

(2) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ ١ – مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(3) قرآن كريم: سورة الزلزلة – آية ٧–٨.

(4) قرآن كريم : سورة الرعد – آية ١١.

(5) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ ١ – مرجع سابق، ص ٣٠٣.

يفعل مثل ذلك فإن كان المقصود أن الله يمكنه أن يفعل مثل هذا فلا شك فى قدرته سبحانه وتعالى، وليس من ينازع فى إنه لو شاء لفعل ذلك كما أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولا نبت الحيوان من الأرض، ولكن الله وضع للعالم سنة وللحياة نظام وللمخلوقات نواميس تجرى عليها أحكامها ﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها، ولا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾(*). وتاريخ الإنسانية من عهد وجودها على الأرض إلى الآن أيد ثبات هذه السنن واستمرارها"(1).

ويتبين لنا مما سبق أن قاسم أمين يؤمن بأن الإنسان ليس مجبرا جبرا كليا ولكنه يتمتع بحرية الإرادة، تلك الحرية ليست مطلقة، خيث إن حرية الإنسان كما يقول الشيخ الشعراوى تتوقف على العقل والفكر، فتلك هى المنطقة التى يوجد فيها (الاختيار) وهى منطقة التكليف من الله، ولذلك نجد أن فاقد تلك الخاصية لا يكلف من الله"(2)، لأن الإنسان مسئول عن عمله، فهو حر الإرادة وله القدرة على الاختيار ومن ثم فهو محاسب على ما يقترفه من أفعال إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ومفهوم الحرية عند قاسم أمين لا يعنى الحرية المطلقة، فالحرية بلا نظام أو ضوابط أخلاقية أو قوانين اجتماعية إنما هى فوضى، فالحرية فى الإسلام تعنى "تحمل المسئولية، وعلى قدر تحمل المسئولية تكون الحرية"(3)، فقد منح الله سبحانه وتعالى الإنسان العقل ليستطيع أن يقارن بين الأشياء ويختار لنفسه بمحض إرادته، وقد بين الله له طريق الخير وطريق الشر، وجعل له الحرية فى اختيار أى طريق، لقوله تعالى﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾(4).

(*) قرآن كريم : سورة الروم – آيه ٣٠-٣٢.

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة مرجع سابق، ص٦٩، ٦١.

(2) محمد متولى الشعروای: القضاء والقدر، معجزات الرسول – إعداد وتقديم أحمد فراج –ط٢ – دار الشروق – القاهرة – ١٩٧٥م، ص ٤٢.

(3) عبد الغنى عبود: قضية الحرية وقضايا أخرى – سلسلة الإسلام وتحديات العصر – الكتاب السابع – القاهرة – دار الفكر العربى – ١٩٧٩م، ص٦٥.

(4) قرآن كريم سورة الإنسان – آية ٣.

وإذا كان قاسم أمين قد آمن بحرية الإنسان فإنــه يـرى أنـه مسـيراً أيضـاً، فالإنسان" ليس مطلق الحرية. فهناك أسباب عديدة تحد من حريته كالمناخ والتربيـة والوسط وخاصة الوراثة الغامضة القوية الأثر. وهذه الأسباب الأكيـدة تحـدث بطريقـة حتمية آثاراً أكيدة"[1].

فالإنسان ليس حراً لإرادته في جميع أفعاله، ولكن القدر يحكمه "فالقدر هو الذى يريد أن يولد ابن المجنون وفيه جرثومـة الجنـون ولا تستطيع حريـة الإنسـان كلها أن تفعل شيئاً فى ذلك، هناك أيضاً المصادفات والأشياء غير المتوقعة ومجموعة الظروف الملائمة أو المعاكسة، ولكنها تترك أثرها على تصرفات الإنسان، إن هذا هـو ما يشكل القدر عند المسلم، فالقدر هو المجهول... هو السر المحجـوب، هـو كـل ما لا يمكن للمرء أن يحسبه أو يتوقعه أو يريده أو يمنعه، هو الـذى يجعـل ميكروبـاً يقتلنى بدلاً من جارى ويجعل حجراً يسقط فوق رأس برىء يعبر الطريق"[2].

ويؤمن قاسم أمين بأن القضاء والقدر من علم الله سبحانه وتعالى، فالإنسـان عليه أن يسعى ويجد ويجتهد ويترك النتائج، فيقول إن القدر لا يمكن أن يحول بين الناس وبين أن يعملوا ويتوقعوا. وعلى المرء أن يبذل كل ما فى وسعه، ثم يـترك مـا وراء ذلك للقدر ويستشهد بقصه العربى الذى ترك ناقته دون أن يشـد وثاقـها عندمـا قال " تركت ناقتى فى حراسة الله"فقال النبى" **احبسها فاعقلها أولاً ثم توكل علـى الله**" كما يستشهد بالحديث القائل "**تداووا عباد الله فإن الله تعالى يضـع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد، الهرم**"[3].

وإذا كان قاسم أمين يؤمن بالقضاء والقدر إلا أنه يـرى أن الإنسان عليـه أن يسعى ويتوكل على الله والقدرية بدلاً من أن تكون مصدر تكاسل إنما تمثل .. حـافزاً على العمل"[4].

---

(1) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(2) المرجع السابق، ص ٣٠٤.

(3) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(4) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ومن هذا المنطلق يؤكد قاسم أمين على قيمة العمل فى الحياة وأن القدر لا يمنع الإنسان عن ممارسة أعماله، أو كما يرى الأفغانى أن "الاعتقاد بالقضاء والقدر إذا تجرد من شناعة الجبرية يتبعه صفة الجرأة والإقدام، وخلق الشجاعة والبسالة، ويبعث على اقتحام المهالك التى توجف لها قلوب الأسود .. وهذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكاره"[1].

وفى ضوء ما سبق يمكن القول: إن قاسم أمين وقف موقفا وسطا من قضية الجبر والاختيار، فالإنسان يعيش بين الجبر والاختيار، لأننا قد "أوتينا جانبا محدودا الاختيار وأوتينا جانبا محدودا من الحرية للتمتع بها إلى حد مناسب"[2]. فالإنسان مسير فيما هو خارج إرادته من النواميس الكونية والأفعال التى تجرى بإرادة الله وهو مخير فيما عدا ذلك، فحرية الإنسان وإرادته مرتبطة بمشيئة الله وإرادته.

(جـ) الإنسان بين الخير والشر:

لقد تعددت الآراء واختلفت حول طبيعة الإنسان فى مسألة الخير والشر، هل هى خيرة؟ أم شريرة؟ فهناك من قال "إن الإنسان خير بطبيعته وأنه يسير إلى الشر بفعل عوامل خارجة عن فطرته كالبيئة المحيطة به وتأثره بنوع التربية والتهذيب التى تدفعه إلى الشر"[3] وهذا الرأى ينسب إلى روسو Rousseau حيث قال " صار الإنسان الطيب بالطبع شريرا بالإجماع"[4]، ورأى آخر يرى أن الإنسان شرير بطبعه، فالشر جزء من طبيعة الإنسان، وصاحب هذا الرأى هو هوبز Hobbes الذى قال " الإنسان ذئب تجاه أخيه الإنسان، يخافه على الدوام"[5]،

---

(1) يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة – مرجع سابق، ص ٢٧٢.

(2) أبو الأعلى المودودى: هل الإنسان مسيرا أن مخير: مجلة الأزهر – جـ٦ – السنة الخمسون – سبتمبر ١٩٧٨ م – وزارة الأوقاف، ص ١١٩٦.

(3) ليلى زكى حسن إسماعيل: الأصول الفلسفية لتربية المرأة فى الإسلام – رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية – جامعة طنطا – ١٩٨٢م، ص ٢١.

(4) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة: ط٥ – القاهرة – دار المعارف – ١٩٦٩م، ٢٠٣.

(5) محمد لبيب النجيحى: مقدمة فى فلسفة التربية – مرجع سابق، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

ومن ثم فهو يسير إلى الخير عن طريق التربية والبيئة التى يعيش فيها. ورأى ثالث يرى "أن طبيعة النفس ليست خيِّرة كما أنها ليست شريرة. بل هى محايدة. حيث إن الشر والخير بالنسبة لها ممكنان ومتكافئان ومن ثم فالخير مكتسب وليس فطرياً فى النفس الإنسانية وكذلك الشر مكتسب وليس من طبيعتها"[1].

وإذا كانت الآراء تعددت واختلفت حول قضية الخير والشر فى الطبيعة الإنسانية، فإن قاسم أمين قد ذهب مع الذين نادوا بأن طبيعة الإنسان شريرة بطبعها، وأن الشر جزء من تكوين الإنسان، فهو موجود بالفطرة، فيقول "يولد الإنسان شريراً خبيثاً قاسياً محتالاً كذوباً. الولد الصغير لا يعرف إلا نفسه، ولا يرى إلا نفسه، لا يحب إلا نفسه، ولا يألم إلا من نفسه، فيه أثرة هائلة لا حد لها، هذه العيوب تنمو مع الطفل، وتبقى فيه حتى يصل إلى سن الرجال فيتعلم كيف يخفيها، يحسن ظاهرة ويستر باطنه، أعظم ما تنتجه التربية الجيدة إذا استمرت بلا انقطاع هو أن تقطع من النفس فروع هذه الشجرة الخبيثة"[2].

وتبين من هذا النص أن قاسم أمين قد نظر إلى طبيعة الإنسان على أنها شريرة، وأن البيئة والتربية هما اللتان تقع عليهما المسئولية فى جعل هذه الطبيعة خيِّرة، أى أن التربية وظيفتها اقتلاع جذور الشر فهو يؤمن بدور التربية وأهميتها للإنسان لإصلاح ما به من نقص والوصول به إلى كمال الشخصية، فإن استمرت التربية اختفى الشر وإذا غابت اختفى الخير.

ويرى قاسم أمين أن الإنسان أشبه بالحيوان فى شره، حيث إن "كل تاريخ الإنسان فى الماضى يدل على أنه لم يكن متولداً عن الحيوان المفترس.. فهو مشابه له فى شره وأطماعه وشهواته"[3]. ولكنه يختلف عنه فى قدرته العقلية والتى جعلته

---

(1) فارق دسوقى: القضاء والقدر فى الإسلام – جـ٣– دار الدعوة – الإسكندرية – ١٩٨٤م، ٤٨٩.

(2) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص٣٧، ٣٨.

(3) المرجع السابق، ص ٩.

يسلك الخير ويبتعد عن الشر، فالعقل سمة فريدة في الإنسان: وخاصية إنسانية ميزته عن سائر المخلوقات[1].

وقد ذهب قاسم أمين إلى أن " الإنسان أسير الشهوات ما دام حيا وإنما تختلف شهواته باختلاف سنه، فشهوة اللعب عند الطفل وشهوة الحب عند الشباب وشهوة الطمع عند رجل الأربعين وشهوة السلطة عند شيخ الستين، جميعها شهوات تعرض صاحبها للهفوات واقتراف الخطايا، متى وقع فيها أحدنا يجب عليه أن لا يترك نفسه إلى تصرفها، ولا يستصعب الخلاص منها ولا ييأس من نفسه بل عليه أن يقاومها كما يقاوم المريض علته، وعليه أن يوجه إرادته إلى مصارعتها والتغلب عليها[2] ، ثم يؤكد مرة أخرى على ملازمة الشر لطبيعة الإنسان وخاصة في غياب التربية أو إذا ساءت أهدافها قائلا " لا يصل الإنسان إلى هذا الخلق العظيم إلا إذا ربى نفسه على أن تتغلب على الغرائز القبيحة الملازمة للطبيعة البشرية وصار حاكما عليها يحاسبها على كل عمل أو نزعة أو فكرة أو خاطر مما يرد عليها"[3].

فطبيعة الإنسان شريرة في فكر قاسم أمين، ولا يمكن الخلاص من الشر إلا بالتربية التي تقوم بإصلاح شأن الإنسان، وبذلك اتفق قاسم أمين مع ابن مسكويه الذي يرى أن النفس الإنسانية تميل إلى الشر بطبعها ولكن الخير يأتي بالتعليم والتربية، ولا بد من تكرار زمانا طويلا حتى يصبح ملكة وطبيعة"[4].

وإذا كان قاسم أمين قد نظر إلى الطبيعة الإنسانية على إنها شريرة على إنها شريرة، فذلك يرجع لإيمانه بمبدأ الخطيئة والتي تقول إن الإنسان فقد قدرته على الوصول إلى الحقائق بارتكاب آدم للزلة الكبرى، هذه الزلة التي لم تقتصر عليه وحده

---

(1) فيليب هـ فينكس: التربية والصالح العام – ترجمة السيد محمد العزاوي، يوسف خليل – القاهرة – مركز كتب الشرق الأوسط – ١٩٦٥م، ص ٣٩.

(2) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص ١٦، ١٧.

(3) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص ٣٥٣.

(4) احمد عبد الحميد أبو عرايس: الآراء التربوية في كتابات مسكويه – مرجع سابق، ص ١٢٩.

وإنما تعدته إلى سائر أبنائه من البشر أجمعين ولذلك كان عليهم أن يمروا بخبرة تربوية طويلة حتى يستطيعوا التغلب على هذه الزلة، فالخطيئة هى الشىء المعتاد الذى لا محل له للاستغراب منه. هى الحال الطبيعية الملازمة لغريزة الإنسان. هى الميراث الذى تركه آدم وحواء ولأولادهما التعساء من يوم أن اقتربا من الشجرة المحرمة وذاقا ثمرتها.. من ذلك اليوم البعيد لوثت الخطيئة طبيعتهما، وانتقلت منهما إلى ذريتهما جيلاً بعد جيل. ذلك هو الحمل الثقيل الذى تئن تحته أرواحنا الملتهبة شوقاً إلى الفضيلة العاجزة عن الحصول على اليسير منها إلا بمقاساة أصعب المجهودات حتى هذا النذر القليل لا سبيل إلى بلوغه إلا بتمرين طويل يتخلله حتماً سقوط متكرر فى الخطيئة فيكون فيه الدرس المفيد لاتقائه فى المستقبل[1]، ومن ثم يصبح "العفو هو الوسيلة الوحيدة التى ربما تنفع لإصلاح المذنب، فقلما توجد طبيعة مهما كانت يابسة لا يمكن أن تلين إذا هى عولجت"[2].

وبذلك قد أدرك قاسم أمين دور التربية وأهميتها للإنسان، وقد عدها أداة إصلاح فهى تعمل على محو الرذائل وتصل بالإنسان إلى إتمام ما يعانى به من نقص، ومن ثم يصبح الإنسان قادراً على أن يحول فكره عن الأمس الذى كان فيه قبيحاً وينظر إلى غده الذى يكون فيه جميلاً"[3].

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول: إن قاسم أمين قد نظر إلى طبيعة الإنسان على أنها شريرة، وإن الشر جزء من النفس البشرية، وهذا ما يتعارض مع النظرة الإسلامية: فالإسلام يرى أن الإنسان مولود على الفطرة "فطرة الله التى فطر الناس عليها"[4]، وأن كل مولود يولد على الفطرة، وإنما، أبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه، فهو يولد مستعداً بطبيعته للخير فيسعد ومستعداً للاتجاه إلى الشر فيشقى

---

(1) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق،ص ٩، ١٠.

(2) المرجع السابق، ص١٠.

(3) المرجع السابق:، ص٩.

(4) قرآن كريم – سورة الروم – آية – ٣٠.

وأن البيئة هي التي تؤثر فيه فتجعله يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً"[1]. فالإنسان يحمل الخير والشر معاً لقوله تعالى﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾[2]. وأن الإسلام يقرر أن الخير يغلب على الإنسان، وأن البيئة لها دورها العظيم في اكتساب الخير والشر،فإن عوّد الإنسان الخير وتعلمه نشأ عليه وإن عُوّد الشر وأهمل شقي وهلك. فإذا رأينا الخير والشر في الإنسان فلا نبحث عن أسبابه في الطبيعة والوراثة ولكن نبحث في العوامل الخارجية المحيطة به.

(د) الوراثة والبيئة في الإنسان:

إن طبيعة الإنسان البيولوجية هي أساس الطبيعة الإنسانية، ومن ثم "أصبح الإنسان بتكوينه البيولوجي هو الأساس في فهم الطبيعة الإنسانية، وبالتالي في تحديد النظرية التربوية واتجاهها وأساليبها"[3].

وإذا كان العلماء قد اختلفوا تجاه قضية الوراثة والبيئة في أيهما أقوى أثراً في الفرد، الوراثة أم البيئة؟ فإن قاسم أمين كانت له وجهات نظر تدل على مدى انعكاس هذه النظرة على آرائه التربوية، وقد ناقش هذه القضية ورأى أن الإنسان نتاج الوراثة والبيئة معاً، ومع أن التربية تعد أحد مكونات البيئة إلا أن قاسم أمين استخدم لفظ التربية ليحل محل البيئة، فالوراثة والتربية هما الأصلان اللذان ترجع إليهما شخصية الطفل ذكراً كان أم أنثى وليس هناك شيء وراء ذلك[4].

إن قاسم أمين يؤمن بأن الوراثة تلعب دوراً كبيراً في حياة الإنسان، لأن "كل فرد من الأنواع الحية – وفيها النوع الإنساني– ليس إلا نسخة مطابقة للأصل المتولد منه، ففيه صورة نوعه الكلي، وفيه صورة والديه خصوصاً، بمعنى أن هذا

---

(1) محمد عطية الأبراشي: عظمة الإسلام – الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٧م –، ص٢١.
(2) قرآن كريم: سورة الشمس – أية –٧– ١٠.
(3) منير المرسي سرحان: في اجتماعيات التربية – ط٢ – القاهرة – الأنجلو المصرية ١٩٧٨ن، ص ٩٧، ٩٨.
(4) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٦٢.

الفرد يحتوى أولاً على الخواص المميزة لنوعه وعلى الصفات الخاصة بأبوية"[1]. وقد ذهب إلى أبعد من ذلك عندما أعلن أن الوراثة لا ترجع إلى الوالدين فقط، وإنما ترجع إلى الأجداد، فإذا كان "الولد لا يشابه أبويه في بعض الأحوال فإن قانون الوراثة قد يرجعه إلى أحد أسلافه القريبين"[2]. "فصفات الطفل مرتبطة بما كان عليه أسلافه من جهة الأم ومن جهة الأب"[3]. في الصفات البيولوجية من لون البشرة والعينين والطوال والقصر.

والواقع أن قاسم أمين لا يؤمن بالوراثة وحدها وإنما يرى أن الوراثة والبيئة يتعاونان معاً في تحديد صفات الفرد وتشكيل شخصيته، فالفرد " ذكراً كان أم أنثى لا يملك صحة ولا خلة ولا ملكة ولا عقلاً ولا عاطفة إلا من طريقين: الوراثة والتربية"[4]، فإذا كان "الولد يرث من أمه قدر ما يرث من والده" فإن "تأثير الأم في تربية الطفل بعد ولادته أعظم من تأثير أبيه"[5]. " فبالوراثة يكسب الطفل استعداداً لكل ميل كان عليه الوالدان، صالحاً كان أم فاسداً، ويرتكز فيه ذلك الاستعداد وهو في بطن أمه.. وبالتربية يتملىء ذهن الطفل بالصور الواردة عليه من الإحساس وبأثرها في نفسه ألماً كان أو لذة"[6].

وبذلك يكون من الصعب فصل أثر الوراثة عن البيئة، أى لا يمكن استبعاد الوراثة أو البيئة، فالإنسان نتاجهما معاً. حيث "إن العوامل الوراثية والعوامل البيئية تتفاعل وتتعاون في تحديد صفات الفرد وفى تباين نموه، ومستوى نضجه وأنماط سلوكه، ومدى توافقه وشذوذه"[7].

---

(1) المرجع السابق، ص ٦١.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة،مرجع السابق، ٦٣.

(3) المرجع السابق، ص ٦٢.

(4) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٩٤.

(5) المرجع السابق، ص٩٤، ٩٥.

(6) المرجع السابق، ص٦٢ .

(7) حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة) – ط٤ – عالم الكتب ١٩٧٧م، ص ٣٩.

وإذا كانت الوراثة تلعب دورا عظيما فى حياة الفرد، فإن قاسم أمين قد رأى أن التربية أقوى تأثيرا، فإنه "متى حسنت التربية... ضعف الاستعداد الذى كسبه الطفل من والديه إن كان رديئا وتأصل فيه استعداد جديد يرثه عنه من يتولد منه، ويقوى فيه ذلك الاستعداد إن كان حسنا فيبلغ غاية ما يرجى لإنسان فاضل من أبوين فاضلين ويظهر أثر ذلك أيضا فى أولاده وأعقابه إن استمر نظام التربية فيهم على الوجه الذى صار به هذا الولد رجلا صالحا، إما إن كانت التربية فاسدة. وكل ما يرد على الطفل إنما يثير فيه أهواء باطلة، فالاستعداد الخبيث يقوى، والاستعداد الطيب يضمحل ويموت، يحنى على أولاده تلك الجناية التى جناها عليه والداه"[1]. ويستشهد قاسم أمين برأى الغزالى على ذلك، حيث يرى أن "الصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش ومائل إلى كل ما يمال إليه به، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة. وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب. وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة وليه القيم عليه الوالى له"[2]. "ثم يستشهد بقول الحق تبارك وتعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾[3].

كما يرى قاسم أمين أن "شخصية الإنسان.. تتكون من عاملين: عامل طبيعى وعامل صناعى. وليس فى استطاعتنا أن نؤثر فى الأول، ولنا على الثانى سلطة واسعة، حيث إنه يمكننا بالتربية .. أن ننمى غريزة الطفل، إن كانت غريزته صالحة، ونكملها ونزيدها حسنا، ويمكننا أن نضعف من أثرها إن كانت ضد ذلك.. أن لهذا السلطة الثانية حدا تنتهى إليه، ولكن سعة دائرتها تمكننا من الانتفاع بها انتفاعا عظيما إذا عرفنا كيف نتصرف واهتدينا إلى طرق التربية الصحيحة"[4].

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٦٣، ٦٤.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٦٤ – نقلا عن: الغزالى : إحياء علوم الدين مجلد ٣، ص ٧٢.

(3) قرآن كريم: سورة التحريم – آية، ٦.

(4) قاسم أمين المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٢٨.

فقاسم أمين يؤمن الوراثة إلى جانب البيئة. ولكنه يرى أن البيئة أثرها واضح وخاصة إذا صلحت التربية وحسنت أهدافها. ففي هذه الحالة تكون البيئة ذات أثر عظيم. صحيح "أن العامل الوراثي أصيل في النفس، ومطلوب لذاته، ولكن التربية والتوجيه عليهما أن يستخلصا خير ما فيه، ويقوما ما قد يكون من انحراف أو غلو"[1].

وبذلك اختلف قاسم أمين عن الوراثيين ومنهم أوجست كونت A.Conte وهربرت سبنسر H. Spencer وجولتون Galton وبيرسون Parsons حيث رأوا أن الوراثة هي التي تقرر مصير الفرد من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية وأن أثر البيئة فيها ضعيف وأن التربية لا تستطيع أن تقلل ما حكمت به الوراثة، فمن ورث خصلة أو خلة فتلازمه ولا يمكن تغييرها، وتعجز كل وسائل التربية المقصودة أن تنتزع منه هذه الصفات[2].

كما أنه لا يتفق مع الذين نادوا بالبيئة وأهميتها في تكوين شخصية الفرد، وأغفلوا دور الوراثة، ومنهم جان جاك روسو J. J. Rousseau وآدم سميث A. Smith وجون لوك J. Locke وستوارت مل S.mill وديلاج Doulage، حيث رأوا أن الإنسان مدين بأهم صفاته للتربية المكتسبة، وأن أثر الوراثة في الإنسان ليس شيئاً مذكوراً، بجانب أثر البيئة الطبيعية والمنزل والمدرسة والمجتمع والتربية المكتسبة، وقد بالغوا في أنه من الممكن التغلب على جميع آثار الوراثة[3].

والواقع أن كلاً من الفريقين متطرف فيما ذهب إليه، وأن الإنسان نتائج الوراثة والبيئة معاً، وهذا ما رآه قاسم أمين، كما رآه علماء النفس في العصر الحديث وأن لا وجود لأثر عامل من هذين العاملين دون وجود أثر الآخر.

---

(1) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – جـ٢ ط١ – دار الشروق – بيروت – ١٩٨٠م، ص ٩٠، ٩١.

(2) صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد: التربية وطرق التدريس – جـ ١ ط٨ – القاهرة – دار المعارف – (د. ت)، ص ١٢٨.

(3) على عبد الواحد وافي: عوامل التربية (بحوث في علم الاجتماع التربوي والأخلاقي) – القاهرة – دار نهضة مصر للطبع والنشر – (د. ت)، ص ٥٧، ٥٨.

ثانياً: نظرية المعرفة:

إن نظرية المعرفة مفتاح أساسى لفهم التربية وعملية التعليم، ولذلك قيل إن الاختلاف فى فلسفات التربية إنما يرجع فى الأساس إلى اختلاف نظرياتها فى المعرفة وذلك لأن التربية جهد علمى منظم وموجه بنظرية محددة فى المعرفة. والواقع أننا لا نستطيع أن ننكر أن طبيعة الإنسان والقيم وغير ذلك لهم الأهمية فى توجيه التربية والتعليم إلا أن كل ذلك لا يتضح إلا بوضوح نظرية محددة فى المعرفة تنطلق منها ثم تمتد إلى سائر الميادين الأخرى، فالمعرفة لم تكن الغرض من التربية، بل هى الوسيلة التى لا غنى عنها للتربية، أو كما يسميها البعض (وسيلة التربية)(١)، فنظرية المعرفة تظهر أهميتها فى التطبيقات التربوية، وخصوصاً أن المعرفة تتعامل مع الطبيعة الإنسانية والتى هى موضوع العلم(٢).

ومن أجل ذلك كان مبحث المعرفة الأبستكولوجى بجانب مبحث الوجود الأنطولوجى من أهم مباحث الفلسفة، حيث يبدأ المبحث الأول بالسؤال كيف أعلم؟ ويبدأ المبحث الثانى بالسؤال: ماذا أعلم؟ فالأول كان لوضع نظرية فى المعرفة، والثانى لوضع نظرية فى الوجود(٣).

فنظرية المعرفة كانت – ولا تزال – من المشاكل التى شغلت حيزاً كبيراً من الفكر الفلسفى، بل والإنسان منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، ولهذا حاول الفلاسفة أن يكون البحث فى المعرفة إجابة على الأسئلة التالية(٤):

١–هل المعرفة ممكنة ؟ وإذا كانت ممكنة، فما هى حدودها ؟ والإجابة على هذا السؤال تعنى البحث فى إمكان المعرفة وحدودها.

---

(١) حسان محمد حسان وآخرون: دراسات فى فلسفة التربية – ط١ – ١٩٨٦م، (د. ن)، ص ١٣٤.

(2) Nelson B, Henry, Mojern Philosophies and education (The fifty fourth year book of the national socity for the studyof education part 2) contral Book Depot. Allahabed 1970. P. 17.

(٣) حسن حنفى: دراسات إسلامية – دار التوير للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٨٢، ص ٣٠١.

(٤) محمد على أبو ريان: الفلسفة ومباحثها – ط٤ – القاهرة – دار المعارف – ١٩٧٩م، ص ٢٢٠، ٢٢١.

٢- ما مسالك المعرفة ؟ أو بأى الطرق والمناهج نعرف ما نعرف؟ والإجابة على هذا السؤال تعنى البحث فى الطرق الموصلة للمعرفة أو مناهج المعرفة.

٣- ما هى طبيعة المعرفة ؟ هل ذات طبيعة واقعية أم ذات طبيعة مثالية؟ والإجابة على هذا السؤال تعنى البحث فى طبيعة المعرفة.

(أ)حدود المعرفة:

وقد عالجت الفلسفة قديماً وجهتى نظر حول إمكانية المعرفة من ناحية الشك واليقين فى التوصل إلى الحقائق:

المذهب الأول: وهو صاحب النزعة اليقينية. والذى يرى أن كل معرفة سواء أكانت عقلية أم حسية فهى صادقة على الإطلاق، وليس ما يدعو إلى اختبار صحتها، فالعقل فى استطاعته أن يتوصل إلى الحقائق، وقد مثل هذا الاتجاه سقراط وتلاميذه[1].

أما المذهب الآخر: وهو مذهب الشكاك. وهم ينكرون اليقين المطلق، ويرون أنه ليس فى مكنة العقل التعرف على الحقائق، وهذا الاتجاه يعرف بالشكاك، ويمثله السوفسطائيين، حيث يقولون" نحن شاكون، وشاكون فى إنا شاكون"[2].

وقد تناول قاسم أمين هذه القضية – إمكان المعرفة – بالدراسة، حيث رأى أن العقل فى استطاعته التوصل إلى الحقائق، وقد أعطى للمعرفة المنبثقة عن العقل أهمية كبيرة، فعندما يتحدث عن إهمال التربية عند المرأة فيقول" فضعفت منها القوة العاقلة والمفكرة، وانفرد الحس بالتصرف فى إرادتها، فحسها هو المميز عندها بين الخير والشر، وهو الرائد لها فى الاختيار بين النفع والضرر، فهى تنفر أو تميل، فإن أحبت أخلصت لا عن عقل، وصدرت منها الأعمال الجميلة فيما تحب ولن تحب بمحض الهوى لا بأصالة الرأى. وإن نفرت ارتكبت أكبر الجرائم غير بصيرة

---

(١) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية – ط٣ – دار القلم – بيروت –(د. ت)،ص ٥٢.

(٢) على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – جـ ١ ط٧ – القاهرة – دار المعارف – ١٩٧٧م، ١٦٣.

بالعواقب ولا عارفة بالمصائر. فلو كانت أدركتها العناية بتربية عقلها... لنمت فيها بذلك قوة الحكم على إحساسها"[1]. وهذا يعنى أن العقل فى استطاعته معرفة الحقائق والتوصل إليها، فالمعرفة يقينية، وبالعقل يتم اكتسابها وهو أهم المصادر التى عن طريقها يحصل الإنسان معارفة.

فالمعرفة عند قاسم أمين ممكنة. فالإنسان لدية القدرة على أن يعرف "ما فى الكون من الموجودات، وفيها نفسه. حتى إذا عرف ذلك على حقيقته أمكنه أن يوجه أعماله إلى ما يعود عليه بالنفع ويتمتع بلذته: المعرفة، فيعيش سعيداً"[2].فالإنسان لديه القدرة التى تمكنه من أن يعرف ويتعلم ومن ثم تصبح المعرفة ممكنه.

ما هى الأدوات أو الوسائل التى تساعد الإنسان على تحصيل المعرفة؟ هل هى الحس؟ أم هى العقل؟ أو الحس والعقل معاً؟ وهل هناك وسيلة أخرى غير الحواس والعقل؟

(ب) مناهج المعرفة:

لقد ذهب فريق إلى أن العقل هو المصدر الوحيد لاكتساب المعرفة، وهم العقليون، وقد أنكروا الحواس بحجة أنها تمد الإنسان بمعلومات خاطئة[3]، فى حين أن فريقاً آخر رأى الحواس هى المصدر الوحيد للمعرفة، وأن من فقد حاسة فقد العلم بما يقابلها من محسوسات، وأن العقل كما يراه الحسيون هو صفحة بيضاء وأن التجارب الحسية هى التى تخط عليها السطور[4].

وإذا كانت آراء الفلاسفة والعلماء تجاه مصادر المعرفة وطريقة اكتسابها قد اختلفت هى الأخرى، فإن قاسم أمين، لا يرى كما رأى الاتجاه العقلى وأيضاً لا يتفق مع المذهب الحسى، وإنما وقف موقفاً جمع بين العقل والحس معاً وهذا ما

---

[1] قاسم أمين:تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٤٨، ٤٩.

[2] قاسم أمين: المرأة الجديدة– مرجع سابق، ص ١٦٠.

[3] زكى نجيب محمود : نظرية المعرفة – وزارة الإرشاد القومي – القاهرة – ١٩٥٦ مرجع سابق، ص ٦٣.

[4] محمد على أبو ريان : الفلسفة ومباحثها – القاهرة – دار المعارف – ١٩٦٦م ، ص٥٩ وما بعدها.

سمي بالاتجاه النقدى والذى آمن به كانط Kant حيث كـان شـعار الاتجـاه النقـدى "ليس الحس وحده أو العقل وحده هو الذى يمدنا بالمعرفـة"[1] وإنمـا الحـس والعقـل معا، ولا يمكن أن ينطبع فى الذهن شيء لم يأت من طريق الحواس، فالعقل لا يملى أوامره على الواقع بل إن الواقع الخارجى هو الذى يملى أوامره على العقل"[2].

فالعقليون وعلى رأسهم ديكـارت Descartes يـرون أن العقـل المستقل عـن التجربة هو مصدر المعرفة والحسيون أو التجريبيون وعلـى رأسـهم بيكـون Bacon ولـوك Locke وهيـوم Hume وبـاركلى Barckley يـرون أن الحـس هـو المصــدر الوحيد للمعرفة بينما النقديون وعلى رأسهم كانط Kant يرون أن المعرفـة تقوم علـى الحس والعقل معا.

فقاسم أمين يرى كما رأى الاتجاه النقدى، والذى جمع بين العقل والحواس معا فى اكتساب المعرفة، وما يؤيد ذلك عندما يتحدث عن المـرأة يقـول إن التكـاليف الشرعية تدلنا على أن المرأة وهبت من العقل مثل ما وهب الرجـل، وأنـه أتاهـا مـن الحواس وآلات الإدراك ما آتاها لأجل أن تهملها. ولا تستعملها! [3]، فـالمرأة والرجـل قد زودهمـا الله سبحانه وتعـالى إلى جـانب الحـواس مـن أجـل اكتسـاب وتحصيـل المعارف.

فيجب أن يستعمل الإنسان هذه الأدوات ولا يهملها، فالمعرفة تأتى من أكثر من مصدر، فليست الحواس وحدهـا تمـد الإنسـان بالمعرفـة، والعقـل وحـده، وإنمـا بالعقل والحواس بل وبالحواس أيضا يستمد الإنسان المعرفة.

ومصادر المعرفة عند قاسم أمين تتمثل فى :

١- العقل:

---

(١) محمد على أبو ريان: الفلسفة ومباحثها – ط٤– مرجع سابق، ص ١٩٩.

(٢) حسان محمد حسان وآخرون دراسات فى فلسفة التربية – مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٣) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٤.

يرى قاسم أمين أن العقل أحد مصادر اكتساب المعرفة. فيقول "إن موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء، فمهما كثرت معارف الإنسان لا تملأ كل فكره، بعد كل اكتشاف يحققه العلم يبحث عن اكتشاف آخر. وفي نهاية كل مسألة يحلها تظهر مسألة جديدة تطالبه بحلها الآن وغداً يشتغل عقل الإنسان بالعلم، أى بمعرفة الحوادث الثابتة. ولا يمنعه ذلك من التفكير في المجهول الذى يحيط به من كل طرف"[1].

ويتبين من قول قاسم أمين أن العقل يعد أهم مصادر اكتساب وتحصيل المعرفة فهو أداة منظمة ومرتبة لما يجمعه الإنسان بحواسه من مدركات مختلفة، والعقل يعتمد على مشاهدات وملاحظات، فالإنسان يجمع ويستقرئ الكثير عن طريق إجراء التجارب أو مقارنتها ببعض ثم يتوسل إلى القانون أو يتوصل إلى قضية كلية من خلال قضايا جزئية، وهذا ما يعرف بالاستقراء والذى يتبعه قاسم أمين حتى قال عنه محمد حسين هيكل إنه كان أميل إلى الاستقراء منه إلى الاستنتاج "كما" كان يقف بتفكيراته عند الملاحظة والتجربة والاستقراء[2].

فالعقل يدرك الحق، كما أنه وسيلة لمعرفة الحقائق، ولذلك يرى قاسم أمين أن" طلب العلم .. وسلة لمزاولة صناعة أو للالتحاق بوظيفة أى لكسب المال، أما حب الحقيقة والاستغراق فى تحصليها والشوق إلى اكتشاف المجهول ومغالبة الصعوبة والاهتمام بترقية النفس، وبالإجمال التعلم فلا فائدة فيه، والفائدة كل الفائدة فى هذا الذى لا فائدة فيه"[3].

فإذا كان الغرض من المعرفة هو كشف الحقيقة والوصول عن طريق العقل فإن الحقيقة والمعرفة وجهان لعملة واحدة، لأن "المعرفة الحقة معرفة خاصة

---

(1) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص٤.

(2) محمد حسين هيكل: فى أوقات الفراغ – مرجع سابق، ص ١٣٨.

(3) قاسم أمين: كلمات –مرجع سابق، ص١٤.

بالحقيقة فالمسألتان مترابطتان بالضرورة؛ لأن المعرفة الباطلة ليست بمعرفة[1]، ولذلك يجب أن نستنير بنور فكرة الحقيقة[2].

فالمعرفة العقلية والتي تكتسب عن طريق العقل موضوعها المدركات المجردة ووسيلتها العقل، وقاسم أمين يرى أن العقل وحده لا يكفي لاكتساب المعرفة وإنما يرى أن هناك مصادر أخرى منها الحواس والحدس.

٢- الحواس:

يرى قاسم أمين أن الحواس هي الينابيع التي بها يكتسب الإنسان المعرفة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما أعلن أن الارتقاء في الإنسان تابع على الخصوص لإحساسه، وأن أكثر الناس استعداداً للكمال هم أصحاب الإحساس الذين تهتز أعصابهم المتوترة بملامسة الحوادث وتبلغ الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر أثرها فيهم بكثرة وشدة، أولئك هم السعداء الأشقياء الذين يتمتعون ويتألمون.. من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي إليه أسرارها شاعراً بليغاً أو عالماً حكيماً أو ولياً طاهراً أو نبياً كريماً"[3].

فيرى قاسم أمين أن الحواس هي أهم الأدوات والمناهج لاكتساب المعرفة فيقول إن الإنسان " إذا ترك معلوماته الحسية دخل في عالم الظلام وسار كالأعمى يتخبط يميناً وشمالاً، لا فرق في ذلك بين الغبي والجاهل والذكي والعالم"[4]. كما أن العقل يقع في مهوات الكسل إذا لم تتوارد عليه صور أشياء شتى، لأن المخ.. مخزن واسع تأوي إليه الصور التي تتكون بواسطة حواسنا، حيث الأجهزة العصبية للنظر والسمع والشم والذوق واللمس هي الينابيع التي يستمد منها المخ مادته، وتتكون منها وظيفة التفكير، وتتألف بها أجزاء المعاني، فإن كانت الإحساسات متوافرة متنوعة،

---

(١) جان فال" طريق الفيلسوف – ترجمة أحمد حمدي محمود – مطابع سجل العرب – ١٩٤٨، ص ٣١٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٣.

(٣) قاسم أمين: الأعمال الكاملة جـ١ – مرجع سابق،ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(٤) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص ١٥.

كان العقل كبيراً وإن كانت قليلة كان صغيراً[1]، كما أن الارتقاء العقلي لا يكون إلا بتوارد إحساسات جديدة من شأنها تحريك الصور القديمة والإضافة إليها ووضع المخ في حالة التنبه، بدونها لا يتأتى أن يؤدى وظيفته وهى توليد المعانى وانتزاعها من بين تلك الصور"[2].

ومما سبق يتضح أن الحواس كما رآها قاسم أمين أدوات يتم من خلالها اكتساب وتحصيل العلوم، فهو يضع للحواس أهمية كبرى فى تحصيل المعرفة، لأننا نشكل صورتنا عن العالم من حولنا من أفكار تتشكل وفق وقائع تمت ملاحظتها، فتكتسب المعرفة الحسية عندما ننظر ونرى ونسمع، بينما تكتسب المعرفة العقلية عندما نتأمل الأشياء من خلال العقل، كما أن العقل لا ينمو إلا باعتماده على ما يصله من المعلومات والتى تأتيه عن طريق الحواس، وبذلك يرى قاسم أمين أنه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يستغنى الإنسان عن العقل والحواس فى تحصيل المعرفة، لأن الحواس تمد الإنسان بالآثار المتفرعة والتى لا تصبح موضوعات للمعرفة إلا بعد أن تطبق عليها صيغ العقل، ومن ثم فإدراك الحقائق عملية مركبة لا تستطيع الحواس وحدها أن تقوم بها، والعقل فى حاجة لمعطيات الحواس حتى يمكنه الوصول إلى الحقائق.

٣- الحدس:

يعد الحدس أحد مصادر تحصيل المعرفة، والمعرفة الحدسية هى المعرفة التى تتم بالمواجهة المباشرة بين الذات المدركة والموضوع المدرك، وإذا كان فريق من العقليين قد استخدموا الحدس العقلى كأداة للمعرفة فإن الصوفية أيضا قد استخدموا الحدس الذوقى الذى يفضى إلى ضرب من اليقين"[3].

---

(١) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٥١، ٥٢.

(٢) المرجع السابق. نفس الصفحة.

(٣) محمد على أبو ريان: الفلسفة ومباحثها – مرجع سابق، ص ١٩٩.

والحدس كما يراه قاسم أمين رؤية عقلية مباشرة يدرك بها الذهن بعض الحقائق التى تذعن لها النفس وتوقن بها يقينا لا سبيل إلى دفعه، فيقول "لأن الحق سواء كان فضيلة أم مصلحة يلتبس بالباطل ويخفى على الناظر فلا يراه إلا بعيد النظر نافذ البصيرة"[1].

فالحدس العقلى كما يراه قاسم أمين هو قوة البصيرة، أو كما يسميه برجسون Brigson هو معرفة العقل للعقل"[2]. كما أن أفلاطون يتخذ من الحدس العقلى خطوة تالية لعملية الاستدلال العقلى"[3].

والمعرفة الحدسية عند قاسم أمين هى ما يصل من خلالها الإنسان لكشف حقائق الأمور حيث يرى إن الحقيقة هى الكنز الذى أودع الله فيه كل آمال الإنسان، لا يجدها إلا من رغب فيها ومال عن وسواها أنها" مشرق السعادة، لأنها الوسيلة.. لوصول الإنسان إلى كمال العقل والنفس"[4].

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول: إن قاسم أمين قد رأى أن المعرفة لا يتم تحصيلها إلا بأدوات ومناهج، فالتجربة الإنسانية لا تكتمل إلا باستخدام العقل والحواس والحدس، فليس بالعقل وحده يتعلم الإنسان ويعرف، وليس بالحواس وحدها يستطيع أن يكتسب العلم ويحصل معارفه، وإنما تكتمل المعرفة بالعقل والحواس والحدس.

(جـ) طبيعة المعرفة:

لقد اختلف الفلاسفة على مر العصور فى الإجابة على هذا السؤال: هل المعرفة فطرية أم مكتسبة؟ أم مزيج بينهما؟ وقد ذهب بعض فلاسفة اليونان إلى أن المعرفة فطرية فى الإنسان ومنهم أفلاطون الذى ذهب إلى أن النفس شىء منفصل تمام الانفصال عن الجسم، وأن النفس قبل اتصالها بالبدن كانت تعرف كل شىء،

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١٢٤.
(2) جان فال: طريق الفيلسوف – مرجع سابق،ص ٢٨٥.
(3) المرجع سابق: ص٢٨٣.
(4) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ٢ – مرجع سابق، ص ٣٧.

فالمعرفة عند أفلاطون فطرية وليست متكسبة"[1]. في حين أن المعرفة كما يراها أرسطو مكتسبة وليست فطرية في النفس[2].

وقاسم أمين يؤيد الرأى القائل بانعدام الآراء الفطرية، ويرى أن المعرفة مكتسبة، فالبحث في الكون ومعرفة أسراره وكشف حقائقه لا يتأتى إلا بالعلم والتعلم، وخير ما يؤيد ذلك قول قاسم أمين عن الطفل" فنفسه صحيفة بيضاء وأمه تنقشها كما تشاء، ويتم نقش الصحيفة وتكون كتابا مسطورا عندما يبلغ الطفل سن الرابعة عشرة.. وليس في إمكان الناشيء بعد ذلك أن يضيف على مارسى في نفسه أو ينقص منه إلا شيئا قليلا لا يترتب عليه تغيير الكتاب"[3].

فقاسم أمين يؤمن بأن المعرفة مكتسبة، وتلك خصيصة تتميز بها الطبيعة الإنسانية في ديناميكيتها، وهي الرغبة في الانطلاق ومعرفة ما في الكون، ومعرفة ما هو مجهول فالنفس البشرية دائما تتطلع إلى كشف أسرار الكون ومعرفة حقيقة "والمرأة كالرجل على حد سواء في الاحتياج إلى الانتفاع بالعلم والتمتع بلذته، ولا فرق بينها وبينه في التشوق إلى استطلاع عجائب الكون والوقوف على أسراره لتعلم مبدأها ومستقرها وغايتها"[4]. ومن ثم توجد مساواة بين طبيعة المرأة وطبيعة الرجل من حيث التعلم.

فطبيعة المعرفة كما يراها قاسم أمين مكتسبة، وليست فطرية، وهكذا تصبح المعرفة هي الرغبة في اكتساب العلم والتشوف لاستطلاع ما عليه الناس في أحوالهم وأعمالهم وحب استكشاف الحقائق وكل ما يستميل النفس إلى المطالعة والدرس"[5].

ومن ثم يصبح الغرض من المعرفة ليس تعلم العلوم فقط، وليس معرفة الكون وإنما معرفة ذات الإنسان من خلال معرفته بالكون لتتحقق سعادته، وهذا ما أشار

(١) أحمد فؤاد الأهواني : معاني الفلسفة – ط١ – القاهرة – دار إحياء الكتب العربية – ١٩٤٧م، ص ١٢١.

(٢) المرجع السابق،ص ١٦٠.

(٣) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٢٠، ١٢١.

(٤) قاسم : المرأة الجديدة –مرجع سابق، ص ١٦٠.

(٥) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٩٦.

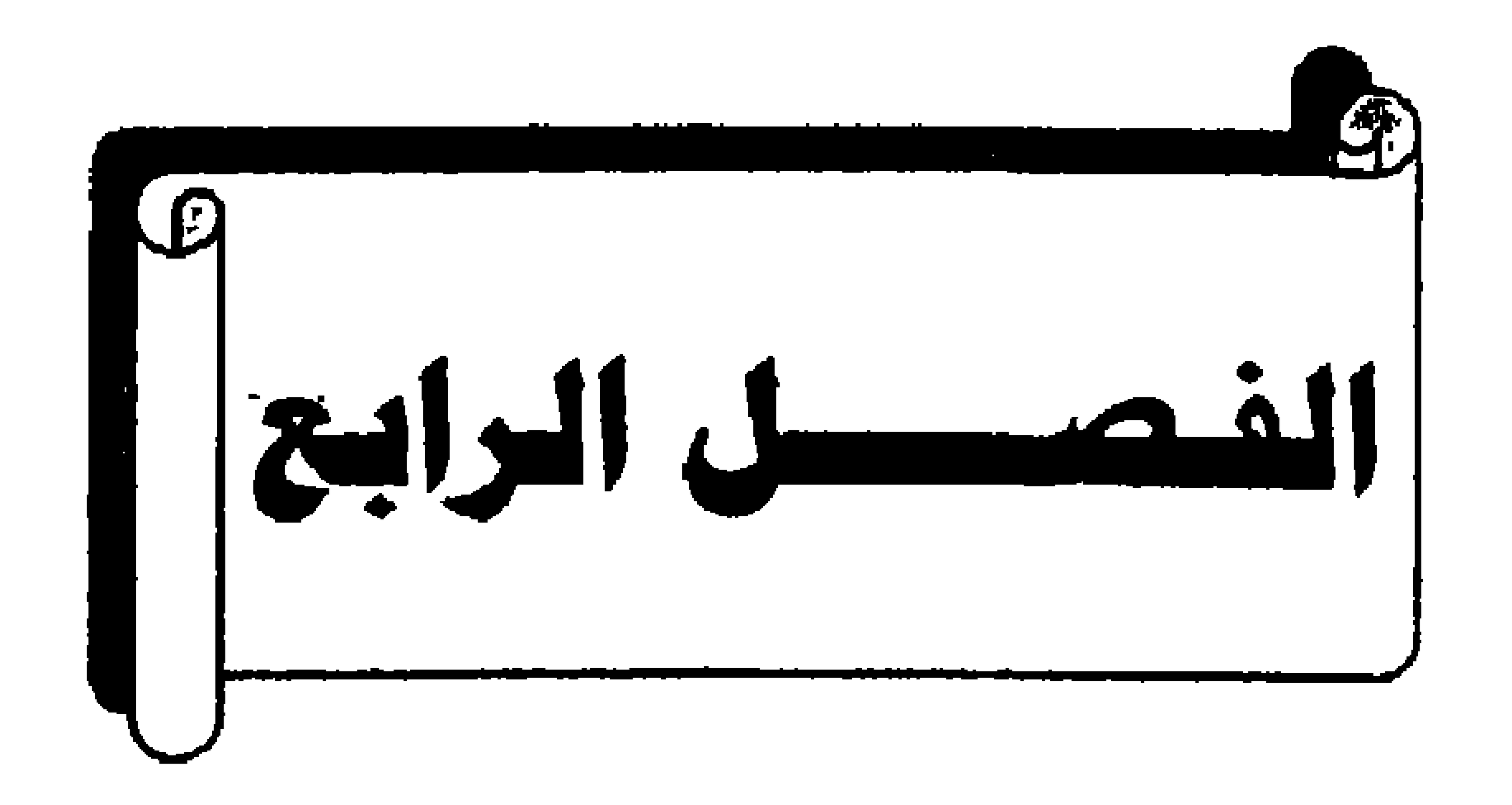
إليه ابن مسكويه عندما قال "من علم فقد وثق، ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة"[1]. وقاسم أمين قد رأى أن الإنسان لا تتحقق ذاته إلا بالمعرفة. ولذلك دعا إليها وخاصة بعد أن رأى الناس قد انصرفوا عن العلم نتيجة ما حل بالبلاد من ضعف واستكانة وترك العلم والتعليم، فاتخذ من العلم سلاحا لمواجهة أطماع الغرب ومواجهة كل معتدى، قائلا: "إن كان لنا أمل فى نجاح ما نعده صالحا لنا فإنما يكون فى الرجل الذى يجب أن يعرف ويبحث ليعرف، ويعرف بالفعل ما تحتاج إليه بلاده، وله عزيمة تدفعه إلى العمل فى جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها بالوسائل التى تؤدى إلى المطلوب بطبيعتها طال الزمن أو قصر"[2].

وإذا كان الإنسان قد شارك الحيوانات فى الشر والطمع، إلا أنه تميز عنها بالفكر وتحصيل المعارف، لأن كل نفس بشرية تواقة إلى المعرفة، فيتسائل قاسم أمين "فأى نفس شريفة لا تشتاق إلى مطالعتها والتمتع بكنوزها طلبا للحقيقة فى الدنيا والآخرة؟"[3]، ثم يضيف "الحقيقة هى ضالة الإنسان فى العالم ويجب عليه أن يسعى وراءها بلا قصور ولا تعب، الحقيقة هى الكنز الذى أودع الله فيه كل آمال الإنسان"[4].

فطبيعة المعرفة كما يراها قاسم أمين مكتسبة وليست فطرية، فالإنسان دائما يكتسب المعرفة عن طريق التربية والتعليم، وبذلك ذهب قاسم أمين مع جون لوك الذى يرى أنه ليس بين أفكارنا ما هو فطرى موروث"[5]، وإنما كل معارفنا جاءت عن طريق الحواس، فأثرت فى صفحة الذهن التى أتت إلى هذا العالم صفحة بيضاء خالية من أى نقش.

---

(1) أحمد عبد الحميد أبو عرايس: الآراء التربوية فى كتابات مسكويه – مرجع سابق، ص ٥٦.
(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٨٧.
(3) المرجع السابق،ص ٤٧.
(4) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ٢ – مرجع سابق، ص ٣٧.
(5) زكى نجيب محمود، أحمد أمين: الفلسفة اليونانية – ط٦ – القاهرة – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٨٣ – ص١٣٥.



التربية
عند قاسم أمين

تمهيد:

لقد احتلت التربية مكاناً عظيماً من فكر قاسم أمين. وقد عدها أداة المجتمع فى المحافظة على مقوماته الأساسية وفى تكوين وتشكيل مواطنيه من أجل الكشف عن طاقاته وموارده لاستثمارها وتنميتها.

وقد سبق الإشارة فى الفصل الثالث إلى الأصول الفلسفية لآراء قاسم أمين التربوية، وموقفه تجاه تلك القضايا الفلسفية فى التربية، وقد انعكس فهمه حول هذه القضايا على آرائه التربوية، حيث أن آراءه العامة ترتبط وتتعلق بآرائه فى التربية.

وفى هذا الفصل يحاول الباحث إبراز نظرة قاسم أمين التربوية باعتبار أنه نظر إلى التربية على أنها وسيلة إصلاح. وبها يتحرر المجتمع من كل عائق يعوقه، ولذلك دعا إلى التربية المستمرة والتى تلازم الإنسان من المهد إلى اللحد، وقد رآها تنبع من أصول دينية وأخلاقية ووطنية، كما أن موضوع التربية عنده هو الإنسان – كل الإنسان – بجسمه وعقله ونفسه وأخلاقه، وهى ما تعرف بمجالات التربية التى تتناول جوانب الإنسان المختلفة.

كما تناول هذا الفصل بعض القضايا التربوية والتى تتلخص فى وظائف التربية، وهى وظائف خاصة بالإنسان وأخرى خاصة بالمجتمع، كما أن التعليم العلمى مقدم على التعليم النظرى، ولذا يطالب بالتعليم الذى يتم عن طريق الممارسة والخبرة والنشاط كما أنه جمع بين المواد الدينية والعلوم الدنيوية فى بناء المنهج.

*** معنى التربية وأهميتها:**

إن مسألة التربية من المسائل التى شغلت قاسم أمين، وقد رأى أنها "أن سائر المسائل، وأن كل مسألة غيرها مهما كانت أهميتها داخله فيها"[1]، ولذلك

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٦٧.

عدها أداة إصلاح المجتمع. فأراد أن يجعل منها سلاحاً يتحصن بـه المصريـون ضـد كل عدوان دخيل ولا سيما فى وقت كانت البلاد أشد إلحاحاً واحتياجاً إليها.

والتربية عند قاسم أمين تكمن فى اتساع فروع العلم والمشقة التـى تتطلبـها للقيام بها، ولذلك "يظن الجمهور الأعظم من الناس أن التربية من الهنات الهينات. ولكن من يعرفها حق المعرفـة يعلـم أن لا شـىء مـن الشئون الإنسـانية، مـهما عظـم يحتاج إلى علم أوسع ولا نظر أدق ولا عناء أشق ممـا تحتـاج إليـه التربيـة. أمـا مـن جهة العلم فلأنها تحتاج إلى جميع العلوم التى توصل إلى معرفة قوانين نمـو الإنسـان الجسمانى والروحانى، وأما من جهة المشقة والعناء فلأن تطبيق هذه القوانين على ما يلائم حال الطفل من يوم ولادته إلى بلوغه سن الرشـد يحتـاج إلى صـبر ومثـابرة فـى العمل، ودقة فى الملاحظة والمراقبة قلما يحتاج إليها عمل آخر"[1].

وبذلك فإن قاسم أمين قد نظر إلى التربية نظرة تدل على عمـق تفكـير ورؤيـة مستقبلية، ولم تكن تلك قضية علماء التربية فحسب، وإنما كانت قضيـة العـالم كلـه فى نظرتهم إلى التربية على أنها أداة التقدم، "ولهذا لا يستطاع أن نطلب من التربية أن تفعل ما يفعله السحر الذى يقلب العصا حية، فإن تحويل الأمة دفعة واحدة مـن التوحش إلى التمدن لا يقل عن قلب العصا حية تسـعى"[2]، ولكنـه يرى أن التربيـة قادرة على بناء المجتمع عن طريق بناء أبنائه فكرياً واجتماعياً وسياسياً.

ولما كانت التربية عبارة عن "الجهد الإنسانى الضخم الذى يحقق للمجتمـع تجديد نفسه والارتقاء إلى مستويات أفضـل"[3]، فـإن قاسـم أمـين يـرى أنـها تخـص الإنسان لما يتميز به من عقل وفكر، ومن هنا تصبـح التربيـة" عمـل عقلـى امتـاز بـه

---

(1) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١١٩، ١٢٠.

(2) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٣٧.

(3) محمد الهادى عفيفى: فى أصول التربية (الأصول الثقافية للتربية) – القاهرة – الانجلو المصرية– ١٩٧٦م، ص٧.

النوع الإنساني، وهو محتاج في تأديته إلى تربية واسعة واختبار عظيم ومعارف مختلفة"[1].

وإذا كانت التربية لازمة للإنسان فإن قاسم أمين قد عدها "ضرورة من ضروريات الحياة كالأكل والشرب، وكل اقتصاد فيها غير ممدوح"[2]. ولذلك رأى أن "كل ما يصرف في سبيل التعليم والتربية كالدراسة ومطالعة الكتب والجرائد.. لازم"[3]، ويضرب مثالاً على ذلك قائلاً" فلو فرضنا رجلين لكل منهما ابن وقدرنا أن النفقات اللازمة لتربية كل منهما ألف جنيه، فجاد بها أحد الوالدين على ابنه وضن بها الآخر قائلاً: إني أجمعها في الصندوق حتى أتركها له كرأس مال بدلاً من إنفاقها في سبيل تربيته، لكان الأول قائماً بالواجب عليه دون الثاني؛ بل الأول يحسب حكيماً مقتصداً والثاني يعد مهملاً مبذراً، لأن التربية هي رأس مال لا يفنى، أما المال فما أقرب ضياعه،وخصوصاً من يد الغبى الجاهل"[4].

وقد ذهب قاسم أمين إلى أن "التربية هي التي أنتجت الرجال الذين نسمع عنهم ونشاهدهم متحلين بمزايا الاستقامة والصدق والكرم والشفقة وحب الوطن واحترام الحق والدفاع عن الحقيقة والخضوع للواجب، وبذل النفس والمال في خدمة العلم والدين والجامعة الوطنية؛ والتربية هي التي أنتجت أيضاً رجال أوربا الذين نقول عنهم، عندما يفيض إعجابنا بهم ونريد أن نسلي أنفسنا بما يخفف تبكيت الضمير: إنهم أخذوا كل فضائلهم عنا وعن ديننا وعملوا به، وهي التسلية التي حقها أن يكون وخزها في القلوب أشد من طعن الأسنة والرماح، أو هي كما يقول المثل. (عذر أقبح من الذنب)"[5].

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٣١ .
(2) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٢٨.
(3) المرجع السابق، ص٢٧.
(4) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(5) المرجع السابق، ص ٣٢.

وإذا كانت التربية تعنى – لغة – (التنمية) – يقال : (رباه) : نماه . وربى فلاناً: غذاه ونشأة. وربى: نمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية"[1]. ويقال ربى الشيء: زاد ونما، وأربيته: نميته[2].

فإنها تعنى – اصطلاحاً– " تنمية الإنسان الفرد. تنمية تتيح له أن يعبر عما كمن فى فطرته من قدرات". سواء أكانت التنمية مقصودة أم غير مقصودة.

ولما كانت التربية مرادفة للتنمية فإن قاسم أمين قد ذهب مع علماء التربية فى نظرته إلى التربية ورأى أنها تعنى "تنمية القوى المودعة فى الإنسان"[3]، وأن هذه التنمية تشمل قوى الإنسان الجسمية والعقلية والخلقية والنفسية، تلك القوى [4]، مودعة فى الإنسان وتحتاج إلى الكشف عنها والتدريب حتى تنمو وتظهر.

فقاسم أمين نظر إلى التربية على أنها عملية نمو للشخصية الإنسانية كاملة، بوصفها كلاً لا يتجزأ، بوصفها جسماً وعقلاً ونفساً، ومن هذا المنطلق جاءت نظرة قاسم أمين للتربية إنعكاساً لمفهومه عن الطبيعة الإنسانية.

ويرى قاسم أمين أن مفهوم التربية قد يختلف من إنسان لآخر، وأن الاختلاف هذا إنما هو ظاهرة واضحة بين الناس، فيقول " لا نرى سبباً للخلاف بيننا وبين مناظرينا إلا الاختلاف فى فهم معنى التربية، فهم يرون أن التربية هى التعلم، وذلك يتم على رأيهم بمكث الصغير فى المدرسة سنين محدودة تكون نهاية عمله فيها الحصول على الشهادة الدراسية، وأنه متى نال هذه الورقة السميكة .. عد بالغا فى العلم والأدب حد النهاية. ونحن على خلاف ما رأوا نعتقد أن التربية

---

(1) إبراهيم عصمت مطاوع، عبد الغنى عبود: فى التربية المعاصرة – ط1 – القاهرة – دار الفكر العربى – 1977م، ص 17.

(2) ابن منظور: لسان العرب – تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون – جـ18 – القاهرة – دار المعارف – 1979م، ص 1572.

(3) زكى نجيب محمود: أفكار ومواقف – القاهرة دار الشروق – 1983م، ص124.

(4) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص 30.

لا تقوم بالمكث فى المدرسة والحصول على الشهادة وإنما كل يستفيده الصبى من ذلك فى أيام التحصيل الأولى هو الاستعداد لتكميل عقله وخلقه"[1].

وإذا كان قاسم أمين يعرف التربية على أنها التنمية. فإنه يتناول أصول التربية ويعرفها قائلاً: "ونعنى بالأصل هنا: الأساس الذى يشيد عليه البناء قائماً ثابتاً"[2]، لأن كل نفس صنعتها تربية حسنة تكون قائمة على قواعد متينة تحفظها من السقوط فى مهاوى التلف. وتمكنها من مقاومة عواصف الشهوات والحوادث التى لا بد من مصادفتها فى الحياة.

*الفرق بين التربية والتعليم:

لما كانت التربية تعنى "كل تنمية منصبة على قوى الفرد واستعداده وتوجيهها" فإن التعليم يقصد به"نقل المعلومات من المعلم إلى المتعلم"[3].

وقد ذهب قاسم أمين إلى أن التربية تختلف عن التعليم، فهو يرى "أن المصرى لا يزال يظن أن تربية الطفل عبارة عن وضعه فى المدرسة وأنه متى علم ولده ما كان يجهله من العلوم فقد أحسن تربيته وقام بما يجب عليه، مع أن التعليم هو فى الحقيقة أقل فروع التربية شأناً وفائدة"[4].

فهو يرى أن التعليم يعد فرعاً من فروع التربية ونوعاً من أنواعها، فالتعليم هو تلقين بعض الأفكار وإجبار التلاميذ على حفظها، وأما التربية فعملية شاملة لكل تعليم أو تعلم،التعليم هو التعليم المدرسى. أما التربية فهى المقصودة وغير المقصودة، فالتربية تعنى تطور قوى الإنسان ونموها أما التعليم فيعنى التدريب والتعليم فى مؤسسات تعليمية"[5]، وعلى هذا الأساس ذهب قاسم أمين إلى أن "التربية ليست ذلك الشيء البسيط الذى يفهمه عامة الناس حيث يتصورون أنها عبارة عن تخزين

---

(1) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٦٥.

(2) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرج سابق، ص ٤١، ٤٢.

(3) صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد:التربية وطرق التدريس – مرجع سابق، ص ٥٩.

(4) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٣٣، ٣٤.

(5) إبراهيم عصمت مطاوع، عبد الغنى عبود: فى التربية المعاصرة – مرجع سابق، ص ٤٦.

كمية من المعارف المقررة فى بروجرامات المدارس ثم امتحان ثم شهادة ليس بعدها إلا البطالة والجمود، وإنما التربية هى العمل المستمر الذى تتوسل بـه النفس إلى طلب الكمال من كل وجوهه، وهذا العمل لا بد منه فى جميع أدوار الحياة حيث يبتدئ من يوم الولادة ولا ينتهى إلا بالموت"[1].

كما يرى أن التعليم لا يثمر إلا بالتربية الشاملة للإنسان، لأن "التعليم وحده لا يفيد شيئاً إذا لم يكن مصحوباً بتربية قوية وأن الجرعات العلمية التى يبتلعها الغلام من سن السابعة من عمره إلى سن العشرين ليس فيها الغذاء اللازم لتكوين روحه، إذ هذه الجرعات أشبه شيء بالجبوب المذهبة التى ينشر عنها مخترعوها الإعلانات المشوقة فى الجرائد، حيث ينسبون لها جميع المزايا الصالحة لشفاء جميع الأمراض، وليس فيها.. إلا مزية واحدة: هى أنها لا تضر"[2].

فهو ينعى التعليم المدرسى الموجود ويراه غير مقيد للطفل وأنه أصبح غير مجد مع متغيرات العصر وخاصة أن الشخصية المصرية أصبحت فى حاجة إلى البناء والتكوين لمواجهة الحياة.

ومما سبق يتبين أن قاسم أمين قد فرّق بين التربية والتعليم، فقد نظر إلى التعليم نظرة جزئية ومحدودة فى حين أنه نظر إلى التربية نظرة واسعة وشاملة، فإذا كان التعليم ينصب على النواحى العقلية فإن التربية تهتم بجميع حياة الإنسان، وهى تبدأ من المهد إلى اللحد ولا تقوم بها المدرسة وحدها وإنما يشترك البيت والمجتمع والمدرسة معاً[3].

*التعليم المستمر (التعليم مدى الحياة) (التربية المستمرة):

يرى قاسم أمين أن التعليم المستمر هو نفسه موضوع التربية المستمرة Continuous education فإذا كانت التربية تختلف عن التعليم إلا أنها لا تختلف

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٨٩.

(2) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق ص ٣٤.

(3) عبد المجيد عبد الرحيم: مبادىء التربية وطرق التدريس – ط٢ – القاهرة – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٧١م، ص١٤.

عن التعليم المستمر. فهو يرى "أن أكبر عامل له أثر فى تكميلنا هو استمرار تعلمنا وتربية عقولنا ونفوسنا استمراراً لا انقطاع معه. وأن ذلك لا يتم لنا بقراءة الكتب بل بالمشاهدة والممارسة والمخالطة وتجربة الناس والحوادث"[1].

وقد اتفق قاسم أمين مع علماء التربية فى إيمانه بالتعليم المستمر والذى يلازم الإنسان من المهد إلى اللحد، حيث يقول "وقد اختلف العلماء فى كيفية وضع قواعد التربية، وآتى كل منهم بمذهب على ما رأى ... ولكن كلها مجمع على لزوم البدء فى التربية منذ يستهل الطفل ويلتمس رضاع لبن أمه، ولا غاية للتربية إلا بالموت، إذ الإنسان محتاج لها حتى يفارق الحياة الدنيا"[2].

فهو يعطى للتربية صفة الاستمرارية، فالعملية التربوية مستمرة تبدأ ببداية الحياة وتنتهى بنهايتها، وأن "تربية الإنسان ليس لها سن معينة تنقطع بعدها ولا حد معروف تنتهى عنده، فهى لا تنال بحفظ مقدار من العلوم والمعارف يجهد الإنسان نفسه فى اكتسابه سنين معدودة ثم يقضى حياته بعد ذلك فى الراحة"[3]، ولكنها أكبر من ذلك بكثير، كما أن "المعارف التى يكسبها الإنسان وهو فى سن الصبا يحيط بدقائقها ومناشئها ولذلك لا يكون علمه فيها علماً تاماً كاملاً، وإنما يتم له شىء من ذلك إذا بلغ سن الرجولية واستمر على مزاولة العمل والاشتغال، فالصبى يحفظ أسماء الأشياء أكثر مما يفهم معانيها وأكبر فائدة يستفيدها فى هذا الطور من التعليم إنما هى التعود على العمل وحب استطلاع الحقائق والاستعداد للدراسة، فإن وقف سير التعليم فى هذه السن اضمحلت المعلومات المستفادة وانتثرت من الذهن شيئاً فشيئاً وكان ما مضى من الوقت فى التعلم زمناً ضائعاً"[4]، والأمر فى ذلك واضح لا يحتاج إلى دليل، ويكفينا أن نرجع إلى أنفسنا ونخطر ببالنا ما كنا عليه فى الخامسة عشرة من عمرنا فيتبين لنا أننا كنا أشبه بالأطفال لا نكاد نعلمُ

---

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٩٨.
(2) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٣٨.
(3) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٩٨.
(4) قاسم أمين : تحرير المرأة، مرجع السابق، ص٩٥.

شيئاً من العالم ولا نعرف للحياة قيمة ولا نميز كمال التمييز مالنا وما علينا ولا تمتاز لدينا حقوقنا وواجباتنا"[1].

ويرى قاسم أمين أن التعليم يجب أن يكون مستمراً للإنسان طوال حياته. وينعي على المصريين حالهم قائلاً "ونحن معاشر المصريين قد أهملنا تربية الجسم وتربية العقل معاً، أما الأولى فلأننا لم نعتد من الصغر على التمرينات التى يستعملها الغربيون، أما الثانية فلأننا اعتقدنا أنه يلزمنا الاجتهاد حتى نحصل على شهادة تفتح لنا أبواب الوظائف حتى إذا بلغنا هذه الأمنية لم يبق علينا بعد ذلك شيء آخر"[2]. وهو يرى أن الأوربيين يعتقدون "أن المصرى من السنة السابعة من عمره إلى سن العشرين يضاهي الأوربى في الفهم والحفظ والنشاط ولكنه بعد ذلك يأخذ فى التقهقر شيئاً فشيئاً حتى ينسى ما يتعلمه ويسقط فى مهواة الجهالة والخمول التى فيها جنسه" ولكن قاسم أمين يرد على ذلك قائلاً"إن هذا الرأى مهما كان قاسياً بالنسبة لنا فهو صحيح من جهة وباطل من جهة أخرى، أما بطلانه فلأنهم يريدون أن يحكموا على الجنس المصرى بأجمعه فى الحال والماضى والمستقبل بأنه غير قابل للارتقاء لوجود عاهة طبيعية اختلفوا فى تشخيصها، وهو زعم لا دليل عليه، بل التاريخ أعظم شاهد على بطلانه، وأما كونه صحيحاً فلأن المشاهد أن المصرى لما يكون فى زمن التعليم يستفيد كغيره منه، وفى بعض الأحيان يفوق التلامذة من الأجناس الأخرى، بل كثيراً ما نبغ التلميذ المصرى هنا وفى أوربا وبرهن على ذكاء متوقد، ولكنه متى أتم دروسه وأخذ شهادته وانخرط فى سلك موظفى الحكومة طوى الكتب وهجر العلم وظن أن زمن التعليم قد انقضى وأنه لم يبق مستعداً ومتهيأ إلا لأن ينال وظائف سامية ومرتبات فائقة، فإذا مضى عليه زمن يسير وهو على هذه الحالة ضاعت القواعد التى كانت تملأ ذهنه وتبخر علمه وطار فى الهواء ولم تبق لديه إلا كليمات يظنها معانى وقطع من جمل وأجزاء من عبارات واصطلاحات

(1) المرجع السابق، ص٩٨.

(2) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٣.

محرفة تكفيه إذا نطق أن يوصف بالجهالة ويرمق بعين الازدراء والاحتقار "ثم يستطرِ قائلاً "و على عكس هذا القياس نرى غيرنا من الأمم الأخرى، فإن المتخرجين من معاهد التعليم فيها يجهدون أنفسهم بعد انتهاء دراسة التلمذة أضعاف ما كانوا عليه زمنها، فيتقنون بذلك الفرع من العلم أو الفن الذى اختصوا به، دائبين على البحث فيه، متطلعين إلى ما يقال أو يكتب فيه. لأنهم يعلمون أن العلم لا يقف عند حد، وأنه دائماً فى تبدل أو تقدم"[1].

ومما سبق يتضح أن قاسم أمين يرى أن انقطاع التعليم بحصول الإنسان على شهادة لا يكفى لتحصيل العلم، حيث أن قدرة الإنسان على البحث والاطلاع واسعة لا حد لها وأن فترة التعليم المدرسى غير كافية، حتى قيل" إن التلميذ أو طالب العلم لا يكون قد قام بتجربة الحياة قياماً يؤهله لخدمه المجتمع إلا عندما يبلغ سن النضج"[2].

وبذلك فقد قدم قاسم أمين التربية على التعليم، وأن التعليم عنده محدود وأن التربية غير محدودة ويجب أن تستمر مع الإنسان من أجل كمال شخصيته، وهذا النوع من التغليم قد دعت إليه التربية الحديثة وخاصة فى الوقت الحاضر.

*أهمية التعليم العلمى:

إن قاسم يؤمن بالتعليم العلمى ومدى أهميته للمتعلم، هذا التعليم يتمثل فى الحياة العامة بتجاربها وخبراتها، فالتعليم المدرسى يجب أن يقترن بالحياة العلمية خارج جدران المدرسة، وقد ذهب قاسم أمين مع المدرسة التقدمية والتى نادت بالتربية الحديثة التى تعتمد على البيئة ونشاط التلميذ وإثارة المشكلات أمامه[3]، فهو يرى أن "أقل مراتب العلم ما تعلمه الإنسان من الكتب والأساتذة، وأعظمها ما تعلمه بتجاربه الشخصية فى الأشياء والناس"[4]. كما يرى أنه "قد يكون من النافع

---

(1) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ٥٣، ٥٤.

(2) و.أ لستر سميث: التعليم – ترجمة رمزى مفتاح – القاهرة – دار الفكر العربى – ١٩٦٣م، ص٢٧.

(3) صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد: التربية وطرق التدريس – مرجع سابق–ص٦١، ٦٢.

(4) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص٢٢.

أن الولد يعرف القراءة والكتابة والحساب ويتعلم الجغرافيا والتاريخ والهندسة والفلسفة إذا شئت، ولو أنى أعتقد أن التعليم النظرى لا يفيد الغلام فائدة محسوسة"[1]، وخاصة وأن المواد النظرية التى تلقن للتلميذ داخل جدران الفصل لا تثبت إلا بتأكيدها وتثبيتها بالجانب العلمي من خلال البيئة الخارجية عن المدرسة، "ذلك لأن الصبى فى السنة الرابعة عشر أو الخامسة عشر من عمره لا يعرف من العلم إلا نظريات عامة ومسائل كلية يحفظها فى جمل مختصرة، ومهما كانت هذه القضايا علمية أو أدبية فلا قيمة لها إلا بظهورها فى العمل، وذلك يكون بالمشاهدات والتجارب التى تحدد دائرة تطبيقها والحد الذى يفصلها عن غيرها وتبين الأحوال التى تدخل فى فهم أو تخرج عنها وجهات نفعها وضرها، هذه التطبيقات هى الواسطة الوحيدة فى فهم القواعد على حقيقتها، فإذا انعدمت لا تكون هذه القواعد إلا ألفاظ وخيالات"[2].

وإذا كان جون ديوى J. Dewey يرى أن الطفل هو الذى يعلم نفسه من خلال الحياة والتى تعد مدرسته الأولى[3]، فإن قاسم أمين قد ذهب إلى أن مزاولة الأعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الأمور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب، وكل هذه الأشياء هى من منابع للعلم والآداب الصحية، بها ترقى النفوس الكريمة حتى تبلغ أعلى الدرجات وأمامها تنهزم النفوس الضعيفة وتسقط أسفل الدركات"[4]، وخير مثال على ذلك أنه أستشهد بقول سنبسر Spencer" لا فائدة من التربية التى تجعل الإنسان مستودعا لأفكار غيره، لأن الكلمات التى توضع فى الكتب لا يمكن أن تنتج معانى إلا على نسبة التجارب المكتسبة[5]" كما يستشهد برأى أدمون ديمولان Edmun Demion الذى يرى" أن ترتيب الحوادث

---

(1) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٣٤.

(2) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٦٥، ١٦٦.

(3) صالح عبد العزيز: التربية وطرق التدريس – القاهرة – دار المعارف – ١٩٦٥، ص ٣٠.

(4) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٦٧.

(5) المرجع السابق ، ص ١٦٧.

وسير الوجود يرشدنا إلى أن "الأمم التى بلغت فيها همة الإنسان منتهاها. هى ملجأ الحياة الأدبية الصحيحة. حيث تثبت الأخلاق وتبقى المحامد. وبيانه أن المؤثر الأدبى إنما يجعل المرء قادراً على النفس والتغلب على هواها. وليس من درس يتعلم فيه الرجل قهر نفسه وقيادة زمامها أشد فعلاً من الحياة العملية التى يتعلم فيها أن لا اعتماد إلا على نفسه. و ليس من مرب يأخذ بمجامع القلوب أكثر من تلك الحياة، فهى التى تقود المرء إلى الحياة الحقيقية، وهى المدرسة الطبيعية التى تريه كيف يتحمل المتاعب والزرايا. وهى الأسهل تناولاً والأكثر شيوعاً وطلاباً، تلك ضرورات أشد فعلاً فى النفوس من وعظ الواعظين ونصح العلماء والمرشدين الذين يدخل كلا منهم من إحدى الأذنين وتخرج من الأخرى، وذلك الأعمال تدعو إلى العمل أكثر من الأقوال"[1].

وعندما تحدث قاسم أمين عن المرأة وجد أن حجابها داخل البيت أكبر مانع لتربيها، لأن السن الذى تحجب فيه المرأة" هو السن الذى تظهر فيه الملكات وتظهر الميول والوجدانات وهو السن الذى يتعلم فيه الإنسان نوعاً آخر من العلم انفس مما تعلمه فى المدارس: وهو علم الحياة، وطريق تحصيل ذلك العلم إنما هو بالاختلاط مع الناس واختبارهم واستعراف أخلاقهم، وفى هذا السن يبتدىء الإنسان يعرف شعبه وملته ووطنه ودينه وحكومته... وهى سن الآمال والرغائب والنشاط"، فإن حجبت الفتاة، وانقطعت عن هذا العالم بعد أن كانت المواصلة بينه وبينها مستمرة، وقف نموها، بل رجعت القهقرى، وفقدت كل ما كان يزين نفسها، نسيت كل معارفها، وخابت كل مساعيها.. فهى عاجزة مستكينة قضت عليها عادة سخيفة بالحرمان المؤبد من الترقي والكمال"[2] و "ربما يقال إن فى طوع المرأة وإمكانها أن تستكمل تربيتها وتتم دراستها فى بيتها، وهو وهم باطل، فإن الرغبة من اكتساب العلم والتشوف لاستطلاع ما عليه الناس فى أحوالهم وحب استكشاف

---

(1) المرجع السابق، ص ١٦٧، ١٦٨.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٩٥، ٩٦.

الحقائق وكل ما يستميل النفس إلى المطالعة والـدرس لا يتوفـر للمـرأة مـع حجابـها، ذلك لأن الحجاب يحبس المرأة في دائرة ضيقة. فلا ترى ولا تسمع ولا تعرف إلا ما يقع فيها من سقاسف الحوادث. ويحول بينها وبين العـالم الحسى وهـو عـالم الفكـر والحركة والعمل فلا يصل إليـها منـه شـيء، وإن وصـل إليـها بعضـه فـلا يصـل إلا محرفاً مقلوباً، أما إذا استمرت المواصلات بينها وبين العالم الخارجي فإنها تكتسـب بالنظر في حوادثه وتجربة ما يقع فيـه معـارف غزيـرة تنبـث فيـها مـن المخالطـات والمعاشرات والمشاهدة والسماع ومشاركة العالم في جميع مظاهر الحياة[1].

كما يرى قاسم أمين أنه " علـى فـرض أن المـرأة يمكنـها فـي احتجابـها أن تستكمل ما نقص منها علماً وأدباً بقراءة الكتب فمن البدهي أن كل مـا تحصلـه مـن الكتب يعد من قبيل الخيالات إن لم تمكنه التجربة ويؤكد العمل"[2].

وجملة القول إن قاسم أمين قد دعا إلى الجانب العلمي مـن التعليـم وأهميتـه للمتعلم، فالتعليم يثمر إذا كان طريق الخبرات الحياتية، لأن "التجارب هـى أسـاس العلم والأدب الحقيقي"[3]، والتى تسـاهم فـي تكـوين شـخصية الطفـل وتعمـل علـى إكسابه تجارب الحياة حتى تصبح هذه الخبرات وسيلة تساعده على مواجهة أعبـاء الحياة ومشاكلها، تلك هي دعوة التربية الحديثة وما نادت به المدرسة التقدميـة فـي التربية، وحثـها علـى التعلـم عـن طريـق العمـل والخـبرات الحياتيـة والجمـع بـين الجانب النظرى والجانب العملي، ولذلـك يجـب أن "يقـترن التعليـم النظـرى دائمـا بالتطبيق وتوضيح الحقائق، كما يجب أن يكون وضع خطط الدراسة واختيار موادهـا على أساس من العناية بمواهب التلاميذ ومقدرتهم وميولهم وحاجاتهم"[4].

---

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق.

(2) المرجع السابق:، ص٩٧.

(3) قاسم : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٦٨.

(4) شوقي عبد السلام جاد ضيف: فكـر إسماعيل محمـود القباني التربوى وأثره على تطور التربية والتعليم فـي جمهورية مصر العربية – رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية – جامعة أسيوط – ١٩٧٧م، ص ٢٢١.

*أسس التربية:

لقد ناقش قاسم أمين أسس التربية في كتابه "أسباب ونتائج" ورأى أن التربية تقوم على أسس ثابتة، ومن هذه الأسس:

أ – الأساس الديني:

ويرى قاسم أمين أن أول الأسس التي تنهض عليها التربية: الأساس الديني فالدين للإنسان هو الشيء الوحيد الذي يمثل بين يدى كل نفس صورة الكمال الحقيقي، وغرس بذور محبة الدين في نفس الطفل يجعل وجهته في كل حركاته وسكناته نحو الكمال في كل شيء ويخلق عنده رغبة كاملة في ما يراه جميلاً"[1].

فقاسم أمين يرى أن الدين يعمل على سمو الروح وتهذيب النفس وتطييب القلب، لأن "تربية الروح: هي التي توجه إرادته إلى الخير وتميل بإحساسه إلى الجميل"[2].– أى الإنسان المسلم – ومن ثم فالدين يدعو إلى "تربية الروح، وصقل النفس، وتهذيب الشعور وإرهاف الحس"[3]، وخاصة إذا لازمت التربية الروحية الإنسان من مهده ونشأ عليها، فإهمالها وراء كل شقاء، فالتربية الروحية هي أهم ما يحرص عليه الإسلام في تكوين شخصية الفرد المسلم، لأن "الجانب الرباني أو الإيماني في التربية الإسلامية.. هو أهم جوانب التربية وأشدها خطراً وأعمقها أثراً وذلك لأن أول هدف للتربية الإسلامية هو تكوين الإنسان المؤمن" [4].

ويرى قاسم أمين أن رجوع الإنسان إلى محاسبة نفسه والخشوع لله تعالى وترك زخارف الحياة الدنيا يجعل في النفس الطمأنينة والصفاء، فيقول" ليس في

---

(1) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٤٢.

(2) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٤٤.

(3) محمود سيد مرسي: التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية – رسالة دكتوراه – كلية التربية – جامعة أسيوط – ١٩٧٩م ص٤.

(4) يوسف القرضاوي: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا – ط١ – القاهرة – مكتبة وهبه – ١٩٧٩م، ص ٩.

الحياة وقت أحلى وألذ على النفس من أن الإنسان يجرد نفسه سويعة(*). من الزمان من كل ما يحيط به من عالم الكون الذى هو فيه ويزهد عما فيه من القبائح والمظالم والمصائب بل ومن الأفراح التى لا تخلو دائماً من شائبة كدر تمازجها أو تتبعها تلك الأفراح الكاذبة.. فإن جردها.. وقلب وجهه فى السماء زمناً خاشعاً ساكناً حيران ناسياً كل شىء – حتى ذاته – ثم رجع بعد ذلك إلى نفسه وجدها شيئاً تافهاً حقيراً ناقصاً، فتميل روحه إذ ذاك إلى الترفع عن الأشياء المادية والتنزه عن الدنايا والشهوات ويرى نفسه ساعتئذ عالقة بمحبة الكمال فى كل شىء[1]، لأن السمو بالروح والنفس وتطييب القلب والزهد فى الدنيا والتعلق بالخالق الأعلى من كمال السعادة.

كما يرى قاسم أمين " أنه إذا تعود الطفل.. على محبة دينه .. وهو دين قويم على كل الكمالات – ثم غذى بتاريخ الإسلام وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والسلف الصالح، وبالجملة كل الرجال الذين اشتهروا بالكمالات من المسلمين، ودأب أهله على محادثته بأمثلة ذلك التاريخ الشريف،واضعين بين عينيه الكتب التى تشتمل على هذه الفضائل بدلاً من قصص أبو زيد وحكايات الجن والعفاريت، فلا ريب أن الطفل يشب على أخلاق كريمة، فيصبح بعد ذلك رجلاً له فى جانب روح كبيرة ونفس مترفعة عن الدنايا وإحساس عال قوى، وكلها عناصر لا يكون الرجل بدونها إنساناً"[2].

ويوجه قاسم أمين اللوم إلى الذين أهملوا تعاليم الإسلام، حتى أصبح غير عميق فى النفوس، فيقول "ونحن وأسفاه! نكاد نكون مجردين عن الإحساس الدينى الذى يودع فى الشخص تلك الكمالات ويربيها، ولست أتكلم عن أبناء المدارس فقط، بل وعن طلبة العلم الذين قصروا تعلمهم على ما يلقى فى الجامع الأزهر الشريف من العلوم الدينية وما يتبعها،وأمثالهم لأن هؤلاء قد تعودوا أن يتلقوا

(*) سويعة : أى ساعة من الزمن،وهو يقصد الرجوع إلى الله ساعة زمن.

(1) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٤٢، ٤٣.

(2) المرجع السابق: ص٤٣.

أحكام الشريعة كعلم يجب حفظه في الذهن مهملين مع ذلك كل ما ينتج تولد الإحساس الدينى الحقيقى وتنميته"[1].

فهو يدعو إلى ممارسة الدين فى الحياة، فليس الدين حفظ وتسميع فحسب وإنما عمل وتطبيق، لذلك فالدين علم وعمل وعلى المسلم ": أن يكون مسلماً فى الجوهر والمظهر. فى الفكر والسلوك، فى النظرية والتطبيق. فى العلم والعمل"[2].

(ب) الأساس الوطنى:

ويرى قاسم أمين أن الأساس الوطنى "يتولد .. عند الطل من الحديث والقراءة والإحاطة بكل ما يُعلى شأن الوطن وما يسقطه وتعويده على النظر إليه كشىء محترم جليل مقدس، وتفهيمه بأنه وحدهُ ليس لعمله قيمة ولا لوجوده اعتبار ذاتى وأنه بانضمامه لأمته يكون قوة عظيمة وأن منفعة الإنسان صغيرة زائلة ومنفعة الأمة كبيرة راسخة، وأنه يجب علينا أن نعمل لمن يخلفنا فى وطننا مثل الذى عمله أسلافنا لنا"[3].

فهو ير أن تنمية المشاعر الوطنية تكون عن طريق القراءة، وأن الإنسان ليس له قيمة إلا بوطنه، فالإنسان والوطن وجهان لعملة واحدة، وأن قيمة الإنسان تتوقف على قيمة انتمائه إلى هذا الوطن. وأن "حب الوطن يمكن تعليله رغم توهجه الغريزى حين نحلل الوطن نجد أنه يتكون من كل هؤلاء الذين نعتز بهم. وحين ندافع عنه، ندافع عن أفضل جزء فينا"[4].

كما أن حب الوطن ليس مظهراً، وإنما بقوة الإنسان وأثره فى وطنه ولذلك يرى قاسم أمين "أن الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيراً، ولا تعلن عن نفسها. عاش

---

(1) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(2) أمينة أحمد حسن: نظرية التربية فى القرآن وتطبيقاتها فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام – ط1 – القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٥م، ص٣٥١.

(3) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٤٤.

(4) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ ١ – مرجع سابق، ص٢٦٣.

آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الأمم وفتحوا البلاد .. فيحسن بنا أن نقتدى بهم فنهجر القول ونعتمد على العمل"[1].

فالوطنية انتماء، وبإنتماء الفرد لوطنه يكون ذات أثر وقوة عظيمة فيه، ويكون جديراً بالاحترام، لأنه عمل من أجل رفعة وطنه، وأن ما يوجد من حضارة إنما هو نتيجة أعمال سابقة" فإن كنا اليوم نتمتع بهذه المزايا فعلينا أن نشكر آباءنا وأن لا ننسى أن يستخلفنا خلف لهم. علينا حقوق ولنا عليهم واجبات كما كان بيننا وبين آبائنا سواء بسواء. والوطن هو الذى يمثل للذهن هذه السلسلة مرتبطاً ببعض ولسنا إلا حلقة فيها"[2].

وقاسم أمين يدعو إلى تربية النشء على أصول التربية الوطنية وعلى مبادىء الإيثار والجود بالصالح الشخصى فى سبيل الصالح العام، وهو لم يعترف" بأن توالى النكبات تفقد المرء مشاعره الوطنية، بل . . تلهب الشعور وتقوى العزائم وإنما السبب الجوهرى هو إهمالنا غرس بذور الوطنية فى نفوس شعبنا منذ الصغر حتى أصبحنا لا نتأثر إلا بالوقائع المادية التى تمسنا مباشرة"[3].

ثم يهاجم كل من يجحد أمته ويبتعد عنها، فهم لا يستحقون أن "يرتعون فى خيراتها ويعيشون من نعميها"[4]. لأن الأرض أولى بغيرهم، وبديهى أن المصريين لو كانوا يحترمون وطنهم لما تجاسر أحد على تبرئة نفسه من الانتساب إليه كما يدفع المتهم نسبة الجناية إليه عنه ...أنه لا يباح لإنسان يحترم نفسه أن يخجل من وطنه، ولا أن يغضب عليه كما يغضب الولد أبيه غضباً ممزوجاً بالأسف والحنو"[5].

---

(1) المرجع السابق: ص٣٤٧.

(2) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٤٤، ٤٥.

(3) ماهر حسن فهمي: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٨٣.

(4) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق ، ص ٥٥.

(5) المرجع السابق ، ص ٥٥، ٥٦.

والواقع أن قاسم أمين قد تأثر بالوطنية منذ اللحظة التى تتلمذ فها علـى يـد جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبـده وغـيرهم، فكـان يـرى أن التربيـة الوطنيـة تتمثل فى كل السلوك والتصرفات، وأن الوطنية ما هى إلا تغلغل فى كيان الشخصية المصرية حتى" صار حب الوطن دينا جديدا من اعتنقه ربح ومن بعد عنه خسر"[1].

(جـ) الأساس النفسى (مراقبة الوازع النفسى):

ويرى قاسم أمين أن الأساس الثالث الـذى تقـوم عليـه التربيـة هـو "مراقبـة الوازع النفسى أو ما يسميه بعضهم تنمية الضمير، يسميه الأوربيون المحكمة الباطنية التى يحاكم الإنسان نفسه أمامها"[2].

وتنمية الضمير هو تنمية الوازع الداخلى، أو ما يعبر عنه بالضمير الأخلاقـى الذى يتغذى من إيمـان المرء ومعتقداتـه، والتربيـة أيضـا تغذيـه وتعمـل علـى نمـوه وازدهاره.

وقد ذهب قاسم أمـين إلى أن رجـوع الإنسـان إلى نفسـه "لا يعـد أمـرا فطريـا فيقول" وقد يظهر أن رجوع الإنسان إلى نفسه بهذا الطريقة أمر فطرى، إلا أنـه ليـس هذا صحيحا إلا عندما يقع فى عمل يوجب التبعة والمسـئولية، إذ فـى ذلـك الوقـت يكون حكم الضمير قويـا صارمـا، فيعـرف الإنسـان أنـه مذنـب ومقصـر وينـدم علـى فعله"[3]، وهذا يعد "شكل من أشكال علاج النفس لذاتها، بل هو السبيل الوحدة إلى استعادة قواها الضائعة"[4].

ويرى قاسم أمين أن مراقبة النفس ضرورية لتنقيتها من الشوائب، وحسـابها يتم على كل صغيرة أو كبيرة، ولكنـه يتسـاءل" أى النـاس يحاسبون نفوسـهم علـى أعمـالهم اليوميـة؟ أى النـاس يسـتعملون الذمـة مع أولادهـم وأزواجـهم وأقاربـهم

---

(1) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص٣٨.
(2) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٤٥.
(3) المرجع السـابق، ص٤٥.
(4) عبد الرحمن بدوى: الأخلاق النظرية – ط٢- الكويت- وكالة المطبوعات – ١٩٧٥م، ص ٨٠.

وأصحابهم.. ومن يتعاملون معهم بالبيع والشراء والإجارة وغير ذلك"؟[1]. فمحاسبة النفس ضرورية" وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وإنما الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة"[2]

ويرى قاسم أمين أن أكثر الناس يراقبون دائماً غيرهم ولا يراقبون أنفسهم. ويصدرون أحكاماً بإدانتهم فى أكثر الأحيان. فيقول"نرى ونشاهد أكثر الناس مشغولين بمراقبة أعمال غيرهم حاكمين عليها أشد الأحكام وكأنهما هم لم يخطر على بالهم أن يراقبوا أعمالهم لحظة وحدة ولا أن يحكموا على أنفسهم ولو بمنتهى الحنان والشفقة يوماً واحداً، ولهذا يجب تعويد الطفل من الصغر على أن يتداول مع نفسه ويختار ويحكم ويحاسب ذاته أمام ضميره"[3]، هنالك يشعر الإنسان بالندم والتوبة إذا أخطأ أو ارتكب ذنباً، فيصلح من ذنبه إذا حاكم نفسه أو ضميره أمام المحكمة الباطنية، "فالعاقل هو من ميز عيوب نفسه فغالبها وسعى إلى قمعها والأحمق هو الذى يجهل عيوب نفسه"[4].

وتأسيساً على ما سبق: فإن قاسم أمين قد رأى أن التربية تنهض على أسس وركائز أولها هو الأساس الدينى والذى يمثل عماد التربية وقوامها، وثانى هذه الأسس هو الأساس الوطنى والذى يعد من أهم ركائز التربية، وثالث هذه الأسس هو الأساس النفسى أو الوازع النفسى.

المناهج الدراسية بين العلوم الدنيوية والعلوم الدينية:

إذا كان المنهج فى التربية الحديثة يعرف على أنه" جميع مظاهر النشاط والخبرات التى يندمج فيها التلاميذ تحت إشراف وتوجيه المدرسة بقصد الوصول إلى

---

(1) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٤٥.
(2) يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة – مرجع سابق، ص ٢٣٢.
(3) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٤٥، ٤٦.
(4) ابن حزم الأندلسى: الأخلاق والسير فى مداواة النفوس – تحقيق وتعليق وتقديم الطاهر أحمد مكى – ط١ – القاهرة – دار المعارف – ١٩٨١م، ص١٩٨.

الأهداف المرسومة"[1]. فإنه يصبح أهم نقطة حيوية فى عمليـة التعليم. وعلى ذلك فالطريق التى يعمل بها هذا المنهج تحدد قيمة ما يعلم، فإذا كانت أهداف المنـهج غير مناسبة، وإذا كانت مظاهر نشاط التلاميذ وخبراتهم التى يتكون منها المنـهج لا تتفق مع حاجات التلاميذ السيكولوجية والاجتماعية أصبح التعليم عديم الفائدة، لأن "وضع المنهج من أدق المسائل التربوية وأعظمها خطراً، بل لعله المشكلة الرئيسة فـى التربية. ومن أعقد المشاكل التى يواجهها المربون فى العصر الحاضر"[2].

وقد رأى قاسم أمين أن المنهج السليم وراء كل نجاح، وأن القصور فى وضـع المنهج وراء كل فشل، فإذا صادف المرء.. قصوراً فيجب أن يرجعه إلى غياب المنـاهج السلمية دون شيء آخر "، كما أن هناك عوامل أخـرى تساعد علـى نجاح العمليـة التعليمية وهى تتفاعل مع المناهج جنباً إلى جنـب، وهـى "الإصرار علـى المتابعـة .. والأساتذة الأكفاء"[3]، فإذا توافرت لحققت العملية التعليمية نجاحاً عظيماً.

ويناقش قاسم أمين قضية التعليم الدينى، ويطالب بتطـوره وتطويـر مناهجـه وينادى بوضع منـهاج متطـور لمسايرة التغير الاجتمـاعى والثقـافى، وبذلـك تتحقـق المساواة بين الجانب العلمى والجانب الدينى، فيقول "ولـو أن الحكومـة.. تقرر فـى جامعة الأزهـر منـهاجاً شـبيهاً يختـار بدقـة لحققت نتـائج أكـبر مـن ذلك بمئات المرات"[4]، وهو يرى أن الأزهر يقوم مقام الجامعة بالفعل، مـع أن الجامعـة لم تكـن موجودة آنذاك، ولكنه عقد آماله فى التعليم الأزهـرى ورأى أن الأزهـر يجـب النظـر فيه والعمل على تطوير مناهجـه حتـى يصبـح مثـل جامعـة السـربون، ولعلـه نـاقش صديقه محمد عبده فـى ذلـك الأمر، ولذلـك أصر علـى إطـلاق اسـم الجامعـة علـى الأزهر[5].

---

(1) صالح عبد العزيز: التربية وطرق التدريس – مرجع سابق، ص ٢٤٤.

(2) صالح عبد العزيز: التربية وطرق التدريس – جـ١ – ط١٠ – القاهرة – دار المعارف – ١٩٧٨م، ص١٤٩.

(3) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق،ص ٣٣٧.

(4) المرجع السابق: ص٣٣٢.

(5) عبد المنعم شميس: عظماء من مصر – القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٥م ص ١٣٦.

فكان إعجاب قاسم أمين بهذه الجامعة قد ازداد عندما وجد أن العلوم العصرية تدرس فيها، فيردد إعجابه قائلاً: ما أروع رؤية هؤلاء الشيوخ بعمامتهم وجبتهم. وهم يفضون أدق أسرار الكيمياء، وهم يحلون اعقد مسائل الجبر، بل أن عدداً منهم لا يكتفى بهذه الدراسات فيذهب إلى أوروبا لاستكمال دراستهم التعليمية. ألا يمثل نجاح هذه المدرسة صرخة احتجاج فى وجه خصوم الإسلام، الذين يدعون أن المسلم لا يقيم وزناً للعلوم الدنيوية"[1].

فقاسم أمين قد أدرك أهمية العلوم الدنيوية (العلوم الحديثة) وفائدتها للعلوم الشرعية (العلوم الدينية)، فالمنهج لابد وأن يجمع بنين هذين الأساسين، الأساس العلمى والأساس الدينى، وقد رأى " أن العلوم التى تقرأ .. فى الأزهر وفى غيره لا تفيد إن لم تؤسس على الحقائق العلمية التى تهيىء العقول بقبولها والانتفاع بها "كما أن" علوم التوحيد والفقه لا يمكن الانتفاع بها إذا لم يسبقها الإلمام بالمعارف والمبادىء العلمية. أليس التوحيد هو خاتمة العلوم كلها وخلاصة مجموعها؟ أليس الفقه علم شريعة كل نفس فى ارتباطها بخالقها وفى معاملتها مع بقية البشر وكلاهما يحتاج إلى معرفة علم النفس وتشريح الجسم ووظائفه والتاريخ والرياضة والعلوم الطبيعية وغيرها مما تسمو به الأفكار ويرتقى به العقل "ثم يتساءل" أليس العلم فى الحقيقة واحدا يشبه شجرة ذات فروع وأفنان تتصل بأصل واحد وتتغذى من جذر واحد وتخدم حياة واحدة وتنتج ثمرة واحدة هى معرفة حقيقة كل شىء فى الوجود؟"[2].

ومما سبق يتضح أن قاسم أمين قد ذهب إلى ضرورة الجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية فى بناء المنهج، فلا يمكن الاستغناء عنهما، وهذا ما أشار إليه ابن مسكويه عندما رأى أن الصبى يجب أن يربى على أدب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشرائعها، حتى يتعود بعد ذلك لقراءة كتب الأخلاق ثم الحساب

---

(1) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ1 – مرجع سابق ص ٣٣١.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١٢٨.

والهندسة. حتى يتعود الصدق في القول وصحة البراهين. ثم يتدرج بعد ذلك في منازل العلوم الأخرى[1].

والعلوم الدينية تتمثل في التوحيد والفقه .. الخ أما العلوم الدنيوية والتي أطلق عليها قاسم أمين (العلوم العصرية) تتمثل في الرياضيات والهندسة والطبيعة ..الخ.. تلك العلوم لا يمكن الإفادة منها إلا بالجمع بينها. فالعلوم الدينية لا يمكن بأى حال أن تستغني عن العلوم الدنيوية، كذلك العلوم الدنيوية لا تفيد أن لم تؤسس على العلوم الدينية: "وأنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة وأن أحوال الإنسان مهما أختلفت وسواء كانت مادية أو أدبية خاضعة لسلطة العلم"[2]. هذا بالنسبة للعلوم الدنيوية. أما عن العلوم الدينية فإن قاسم أمين يرى أنها أعظم العلوم فائدة، ومن هذه العلوم الفقه والذى أشاد بعظمته قائلاً: "أعظم نصب أقامه العقل البشرى وهو الفقه الإسلامى الذى يعرف بعض ملامحه العلماء الأوربيون والذى يذهب معظمهم إلى أنه نقل عن القانون الرومانى في حين أنه يستمد كل أصالته من آيات القرآن وأحاديث الرسول"[3]. "صلى الله عليه وسلم.

وبذلك فإن قاسم أمين يرى أنه" على هذين الأساسين شيدت المدنية الإسلامية: الأساس الدينى، الذى كوّن من القبائل العربية أمة واحدة، خاضعة لحاكم واحد ولشرع واحد، والأساس العلمى الذى ارتقت به عقول الأمة الإسلامية وآدابها إلى الحد الذى كان في استطاعتها أن تصل إليه في ذلك العهد"[4].

وظائف التربية:

---

(1) أحمد عبد العزيز أبو عرايس: الآراء التربوية فى كتابات مسكوية – مرجع سابق، ص١١٥.

(2) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق – جـ١ – ص١٨٥.

(3) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – مرجع سابق – جـ ١ – ص ٣١٩.

(4) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٧٢.

يرى قاسم أمين أن التربية تقوم بالعديد من الوظائف سواء أكانت للفرد أم للمجتمع، فهي تهدف إلى تحقيق النمو والتكامل للإنسان وتعمل على إصلاح المجتمع والنهوض به، ومن أبرز تلك الوظائف:

١- التربية وسيلة لإصلاح الإنسان:

يرى قاسم أمين أن التربية هي أساس كل إصلاح، وقد أرجع أغلب النقائص والعيوب التي كشفها عند المصريين إلى سوء التربية وغيابها، وقد وجد أن التربية كفيلة بأن تغير المصريين وتصلح من شأنهم، ولذلك دعا إلى "تربية تنقذنا من جميع العيوب التي يقذفنا بها الأجنبي في كل يوم وبكل لسان"(١). ومن ثم تصبح "التربية هي الدواء الوحيد لذلك الداء"(٢).

وقد استشهد قاسم أمين برأي أحد الفلاسفة على أن التربية تصلح من شأن، الإنسان حيث قال " لو عهدت إلى تربية النوع الإنساني لقومت كل اعوجاج فيه حتى يصبح ولا عيب في خلق من أخلاقه "ويعلق قاسم أمين على هذا الرأي قائلا: "وليست في هذه الدعوة أدنى مبالغة بل هي الحقيقة التي لا ريب فيها"(٣).

وقد رأى قاسم أمين أن التربية تصلح الإنسان – كل الإنسان – فإصلاح الإنسان لا يكون إلا بالتربية"(٤)، هذا الإصلاح يشمل إصلاح في الأخلاق وإصلاح في الشخصية كلها، فالتربية" تصلح .. أخلاق الإنسان – وتجعله إذا تمت فيه على ما ينبغي – قويما منزها عن العيوب والنقائص التي تلاحظ في مجموع النوع الإنساني"(٥).

وقاسم أمين قد رأى أن التربية لازمة للإنسان ومطلوبة لكل من الرجل والمرأة، فالمرأة لا تستقيم إلا بالتربية، ولا تصلح من شخصيتها إلا إذا تربت وتناولت التربية كل شخصيتها، "فالمرأة لا تكون خلقا كاملا إلا إذا تمت تربيتها

(١) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص٦٨.

(٣) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٣٦.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) قاسم أمين: أسباب ونتائج،مرجع السابق، ٣٦.

الجسمية والعقلية.أما تربيتها الجسمية فلأنها لازمة في استكمال صحتها وحفظ جمالها. .أما تربيتها العقلية فلأنها بدونها تكون المرأة فاقدة لقيمتها"[1].

وإذا كانت التربية تصلح من شأن المرأة فإنها أيضا تصلح من شأن الرجل، وبإصلاح الرجال يتم إصلاح المجتمع، لأن "تربية الرجال تصلح شأن الأمة وتقوم اعوجاجها"[2]. لأنهم سواعد الأمة في البناء والإصلاح، وعليهم يتوقف كل إصلاح. بذلك يرى قاسم أمين أن التربية مطلوبة للإنسان ذكرا أم أنثى، وبها يتم إعداد الإنسان إعدادا سليما يهيأ ، لفهم مشاكل المجتمع والعمل على علاجها.

٢- التربية وسيلة لبقاء المجتمع والمحافظة عليه:

إذا كانت التربية ضرورة من ضرورات الحياة، فإن قاسم أمين يرى أنها وسيلة لبقاء المجتمع واستمرار حياة أفراده، فإن كان للمصريين همم وصدق عزيمة في طلب سعادتهم والمحافظة على بقائهم والسعي إلى خلاصهم ونجاتهم من التهلكة، فعليهم أن يسلكوا تلك الطريق (طريق التربية)- ويخلعوا عنهم كل عادة سيئة وينزعوا من أنفسهم كل خليقة ممقوتة تعطل مسيرهم، و ليعتمدوا على أنفسهم في إصلاح أنفسهم ولا يضيعوا أوقاتهم في أماني باطلة يلمسون تحقيقها من حكومتهم، فإن حكومتهم لا تستطيع من العمل لهم إلا قليلا، أما هم فإنهم يستطيعون أن يأتوا في إصلاح شؤونهم بالجم الكثير"[3].

فالتربية لها دور إيجابي وفعال في تشكيل بناء المجتمع والمحافظة على بقائه من خلال مشاركة أبنائه، وبذلك يصبح الفرد قوة مؤثرة ومساهمة في تحقيق مستقبل هذا المجتمع عن طريق الملاءمة بينه وبين المجتمع[4].

---

(١) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٢٩، ١٣٠.

(٢) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٩، ١٢٠.

(٤) روبرت دوترنز: منهج المدرسة الابتدائية – ترجمة نجيب يوسف بدوي – القاهرة – دار الفكر العربي – ١٩٦٥م، ص ٣٦٩.

كما يؤمن قاسم أمين بأن التربية هي السبيل الوحيد لبلوغ المجتمع التحرر الفكرى والاجتماعى، ولذلك دعا الأمة إلى التسلح بالتربية قائلاً. فإذا تعلمت الأمة كما يتعلم مزاحموها وسلكت في التربية مسالكهم ..وتدرعت للكفاح بمثل ما تدرعوا به،أمكنها أن تعيش بجانبهم. بل تيسر لها أن تسابقهم فتسبقهم. فتستأثر بالخير دونهم لأن البلاد بلادها وأرضها أبر بها منها بالغريب عنها وأبناءها أقدر على المعيشة فيها. وهم السواد الأعظم، فكيف إذا ظفروا من أنفسهم بتلك الحال الشريفة لا يفلحون. وهذا الطريق – طريق النجاة – مفتوحة أمامنا ولا يوجد عائق يعوقنا عن السير فيها إلا ما يكون من أنفسنا"[1].

وقد رأى قاسم أمين أن التربية تقوم بوظائف متعددة من أجل المحافظة على مقومات المجتمع واستمرار حياة أفراده، والتى تظهر فى إدارة شئون البيت وما يتطلبه من إدارة حكيمة، وخاصة فى وقت" كثرت الحاجات وتشعبت طرق المنافع وبلغت فيها إدارة المنزل إلى درجة إدارة مصلحة من كبار المصالح. فالمرأة التى يسلم إليها زمامها لا يمكنها أن تديرها إلا بالتعليم والتربية"[2].

كذلك تعد التربية ضرورية فى كسب المال والعمل على تحسين مستوى المعيشة وزيادة دخل الفرد، سواء أكان العمل فى التجارة أم الصناعة[3]، وهنا تظهر الوظيفة النفعية للتربية فلا تقتصر وظيفتها على نقل التراث الثقافي وتلقينه للأفراد بل تعمل فى تشكيل الشخصية الإنسانية القادرة على تحمل المسئولية[4]. إلى جانب المحافظة على قيم وثقافة المجتمع.

كما يرى قاسم أمين أن وظيفة التربية لا تقتصر على العمل والكسب وإنما تضطلع بوظائف أخرى متعددة، منها التبصر بأمور الحقائق، وتجنب الوقوع فى

---

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١١٩.

(2) المرجع السابق، ص ٦٠.

(3) المرجع السابق، ص ٤٥.

(4) أبو الفتوح رضوان وآخرون: فى المدرسة والمجتمع – ط٣ – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٦٣م، ص٥.

الأخطاء من شهادة أو عقد أو غش أو اختلاس أو زواج. فبالتربية يتجنب الإنسان كل هذه المزالق والصعوبات التي تواجهه[1].

وإلى جانب تلك الوظائف فإن قاسم أمين يرى أنها تعمل على تهذيب النوع الإنساني من أجل بقائه والمحافظة على استقراره وسعادته، "فالرجل المتعلم يحب النظام والتنسيق في منزله، وله ذوق مهذب، يميل إلى الأشكال اللطيفة والإحساسات الدقيقة والالتفاتات الرقيقة، ويبلغ الاهتمام بها عند بعض الأفراد حداً ينتهي إلى إهمال الأمور العادية. يفهم بكلمة، ويود لو يفهم بالإشارة. يسكت في أوقات، ويتكلم في أخرى، ويضحك في غيرها. له أفكار يحبها، ومذهب يشغله، وجمعية يخدمها، ووطن يعزه له لذائذ وآلام معنوية فيبكي مع الفقير ويحزن مع المظلوم، ويفرح للخير للناس[2]. هذه هي سلوكيات المجتمع، والتي تؤثر سلبا وإيجابا على استمرار حياة المجتمع وبقائه، ومن ثم فقد ذهب قاسم أمين إلى أبعد من ذلك عندما أعلن أن التفاهم: لا يمكن أن يوجد بين رجل وامرأة إذا لم يحب زوجته فهي يمكنها أن تحبه، فإن توهم ذلك يعد من الخطأ الجسيم، لأن الحب الحقيقي، ولا يبقى إلا باحترام، والاحترام يتوقف على المعرفة بمقدار من تحترمه، والمرأة الجاهلة لا تعرف مقدار زوجها "[3]. وهذا يدل على أن حياة الإنسان واستمراره إنما يتوقف على نوع التربية المقدمة له ومدى تحقيقها للأهداف المرجوه.

٣ – التربية وسيلة للتقدم والنمو:

لقد نظر قاسم أمين إلى التربية نظرة المربين، فهو يعدها وسيلة لارتقاء الإنسان والمجتمع معاً، "وحسب التربية شرفاً وفضلاً أنها الوسيلة التي تمكن الأمة من الارتقاء فوق أعلى منصات المدينة والحضارة إذا لازمتها وراعت التحرز والاحتياط وتبعت الجد وابتعدت عن الطيش"[4].

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق،ص ٤٦.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق ، ص ٥٠، ٥١،

(3) المرجع السابق، ص ٥٥، ٦٦.

(4) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٣٧.

فقد رأى قاسم أمين أن التربية تعنى "التحول" والذى دعا إليه عندما اعتنق فكرة التقدم والتطور[1]. وبهذا التحول يستطيع الإنسان أن يدرك ارتقاءه وتقدمه، لأن التعليم أصبح" وسيلة الأمة لمعرفة حاجاتها. وبه تنتبه أذهان أفرادها إلى ما هم فيه وما درجوا عليه من الأخلاق والعوائد والكمالات والنقائص بحيث يكونون على شعور دائم بأحوالهم، وتكون تلك الأمور دائماً موضوع بحثهم"[2].

ولما كانت التربية هي وسيلة الشعب لتحديد مصيره وبناء مستقبله، فإن قاسم أمين كان يرى أن أساس تطور المجتمعات إنما يكون بالتربية، حيث إن "الإنسان لم يزل يتمشى صاعدا مرتقياً متنقلاً من دور إلى دور حتى وصل إلى هذه المدنية الجميلة .. وهذه المرتبة العالية لم ينلها الإنسان إلا بتربية نفسه، فلا غرور إن صارت التربية عند الأمم المقدرة لها حق قدرها، صاحبة المكان الأول فى النفوس معتبرة إياها عماد حياتها"[3].

ولما كانت التربية هي وسيلة التقدم والارتقاء، فإن قاسم أمين يرى أنه يجب أن تحسن أهدافها، لأن حسن التربية واستقلال الإرادة هما العاملان فى تقدم الرجال فى كل زمان ومكان وهما مطمع آمال كل أمة تسعى إلى سعادتها وهما من أشرف الوسائل لإبلاغها من الكمال ما أعدت له"[4].

وجملة القول إن قاسم أمين قد رأى أن التربية هى وسيلة الأمة وأداتها فى التقدم والارتقاء، "ولا سبيل للنجاة من الاضمحلال والفناء إلا طريق واحد لا مندوحة عنها، وهى أن تستعد الأمة لهذا القتال وتأخذ له أهبتها وتستجمع من القوة ما يساوى القوى التى تهاجمها من أى نوع كانت، خصوصاً تلك القوة المعنوية: وهى قوة العقل والعلم التى هى أساس كل قوة سواها"[5]، لأن طريق التقدم هو طريق

---

(1) احمد خاكي: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٨٦.
(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١٨١
(3) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٣٢.
(4) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق ، ص ١٠٩.
(5) المرجع السابق، ص١١٩.

العلم. أو كما قال قاسم أمين" إن مستقبل الأمة تابع لتربيتها"[1]. لأن بالتربية يتحقق كل إصلاح وبالتالى يتحقق التقدم والنمو

٤- التربية حاجة إنسانية واجتماعية:

إذا كانت التربية عملية اجتماعية. فإن قاسم أمين يرى أنها أيضاً تعد "حاجة من حاجات الحياة الإنسانية". بل" من الحاجات الأولى فى كل مجتمع دخلت فى المدنية، وأصبح التعليم هو الغاية الشريفة التى يسعى إليها كل شخص يريد أن يحصل سعادته المادية والروحية"[2]. باعتبار أن التعليم أحد فروع التربية.

فهو يرى أن التربية حاجة إنسانية تهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان، لأن التعليم هو " الوسيلة الوحيدة التى يرتفع بها شأن الإنسان من منازل الضعة والانحطاط إلى مراقى الكرامة والشرف"[3]، فالتعليم هو الذى يكسب الإنسان صفة الإنسانية ويرفعه من منازل الضعة إلى منازل الشرف، إلى جانب تحقيق سعادة الإنسان، لأن "الهدف الحقيقى من التعليم كأى عملية أخلاقية هو إدخال السعادة فى حياة الإنسان"[4].

ومن ثم تصبح التربية بمثابة دافع شخصى إلى جانب أنها حاجة اجتماعية[5]، وهذا ما ذهب إليه قاسم أمين عندما أعلن " أن التربية الحسنة النافعة إنما تظهر فى اختيار المنافع الشخصية وانتخاب ما يكون منها موافقاً لمصلحة الهيئة الاجتماعية فيخدم الإنسان نفسه ويخدم الناس فى آن واحد، ووفى الغالب إذا خدم الإنسان الناس بهذه الطريقة استخدمهم فى تحقيق آماله، لأن العمل إذا كان يحتوى على منفعة عمومية رضى به الناس أجمعون وعضدوا عامله بأقوالهم وأعمالهم"[6].

---

(1) المرجع السابق، ٦٨.

(2) قاسم أمين : تحرير المرأة،مرجع سابق، ص ٤٦.

(3) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(4) هربرت ريد: التربية والتعليم فى خدمة السلام – تعريب محمد الشبينى – مؤسسة المطبوعات الحديثة – (د. ت)، ص ٧١. نقلاً عن وليم جودين من كتاب "الباحث"

(5) John Dewey: Democracy and education N,Y. macmillan, Co, 1957. P, 3.

(6) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٤٨.

وبذلك فإن قاسم أمين قد جمع بين الوظيفة الفردية والوظيفة الاجتماعية للتربية، فالتربية عملية شخصية إلى جانب أنها عملية اجتماعية. وعلى ذلك يرى الدكتور إبراهيم عصمت مطاوع أن كلا المنطقين يجب أن يؤخذ فى الاعتبار فالتربية حق إنسانى فى الوقت الذى هى فيه أداة لخدمة المجتمع وخدمة أغراض الفرد وتحقيق تكامله وسعادته [١]، وبناء على ذلك تصبح" التربية ضرورة اجتماعية وضرورة بنفس المقدار"[٢]، بحيث تحقق التوازن بين الفرد والمجتمع.

وإذا كان قاسم أمين يرى أن التربية "تكون أفراداً أقوياء بأنفسهم يعتمدون على أنفسهم ويسيرون بأنفسهم " كما أن من كملت تربيته استقل بنفسه واستغنى عن غيره ومن نقصت تربيته احتاج إلى الغير فى أموره"[٣]، فإن هذا لا يتعارض مع اجتماعية التربية، لأن الإنسان لا يمكن أن ينعزل عن المجتمع، ولكنه أراد بالاستقلالية الاعتماد على الذات لتحقيق أغراضه وأن يتجنب التواكلية.

وجملة القول: إن قاسم أمين قد رأى أن التربية تقوم بوظائف متعددة، منها ما يخص الإنسان ومنها ما يدور حول المجتمع، وأن الغاية الأخيرة للتربية هى تحقيق سعادة الإنسان من خلال المجتمع، "فكل تربية لا ترعى للإنسانية حقوقها والبشرية مطالبها ولا توفق بينها وبين القومية والفردية هى تربية ممسوخة"(٤)، ومن هنا جاءت رؤية قاسم أمين عن التربية، بحيث جمعت بين الفرد والمجتمع، فردية تحقق جوانب الشخصية المتكاملة، واجتماعية تحقق المحافظة على المجتمع والعمل على استمراريته وارتقائه.

---

(١) ابراهيم عصمت مطاوع: التخطيط للتعليم العالى - القاهرة - مكتبة النهضة الحديثة - ١٩٧٣م ص ٣٦، ٣٧
وأيضاً: ابراهيم عصمت مطاوع: التنمية البشرية بالتعليم (سلسلة إقرأ) - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٣م ص ٣٥.

(٢) أبو الفتوح رضوان وآخرون: فى المدرسة والمجتمع - مرجع سابق، ص ٥، ٦.

(٣) قاسم أمين: تحرير المرأة - مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٤) فاخر عاقل: معالم التربية - (دراسات فى التربية العامة والتربية العربية(- ط٥- دار العلم للملايين - ١٩٨٣م، ص ١٩٠.

* مجالات التربية:

لقد اهتم قاسم أمين بالتربية ومجالاتها. ودعا إلى التربية التى تتناول جوانب الشخصية الإنسانية من جسمية وعقلية ونفسية وأخلاقية. لأن "موضوع التربية هو الإنسان – كل الإنسان – بعقله وجسمه ووجدانه وقيمه ومهاراته واتجاهاته وميوله وأفكاره، فموضوع التربية ليس هو المعرفة أو المواد الدراسية. بل الإنسان أولاً ثم – تأتى بقية الأشياء – ثانياً – فى سبيل تربية هذا الإنسان"[1].

ومجالات التربية عند قاسم أمين تشمل الناحية الجسمية والعقلية والأخلاقية والجمالية ثم الوجدانية

أولاً: التربية الجسمية:

لقد دعا قاسم أمين إلى التربية الجسمية، ورأى أن العناية بسلامة الجسم وتوفير الظروف الصحية الملائمة للنمو السليم من الأمور التى تخلق الشخصية القادرة على مواجهة الحياة وتتحمل أعباء المسئولية تجاه المجتمع، وتلك الأمور كانت محل عناية علماء التربية، وأن الاهتمام بالتربية الجسمية كان موجوداً فى التربية اليونانية. حيث جعل اليونانيون من شعارهم" العقل السليم فى الجسم السليم"[2]. مبدأ تستند إليه الأنشطة والممارسات التربوية.

ومن الأمور التى أهتم بها قاسم أمين ورآها تساهم فى التربية الجسمية، التربية الرياضية والتى تهدف إلى تنمية الجسم السليم" كركوب الخيل والمصارعة ولعب الكرة والسباحة"[3]. كذلك رأى أن "من لوازم الجسم أن يصرف فى كل يوم مقداراً من القوة لتحريك الأعضاء وتمرينها. سواء كان ذلك بالمشى أو الركوب أو اللعب أو الشغل وإلا سقط فى الهزال والضعف المورثين للكسل"[4].

---

(1) إبراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية – ط٣– القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٣م، ص٥٨.

(2) إبراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية – ط٢– – مرجع سابق، ص٣٣.

(3) قاسم أمين : أسباب ونتائج– مرجع سابق، ص ٥٠.

(4) المرجع السابق، ص ٥١.

فالتربية الجسمية فى فكر قاسم أمين تتمثل فى التربية الرياضية. والتى تعتمد على الألعاب وغيرها. والتى تنمى الجسم وتجعله قويماً منزهاً من العيوب. "ذلك لأن النواميس الطبيعية تقضى بضرورة التوازن بين ما يكسبه الجسم وما يفقده. بحيث لو اختل هذا التوازن فسدت الصحة واختل نظامها أو الأمراض التى تصيب الإنسان بسبب إهماله استعمال قواه الجسمية ليست بأقل عدداً ولا بأخف ضرراً من الأمراض التى تصيب من ينفق ولا يعوض بالتغذية ما فقد منها"[1].

وإذا كان قاسم أمين قد اهتم بالتربية الرياضية فإن هذا المبدأ وجدناه، عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما قال "علموا أولاد كم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً"[2]، كما نادى علماء التربية بضرورة الاهتمام بالجسم من خلال الاهتمام بالسباحة وكرة القدم وتسلق الجبال وركوب الخيل وغيرها من الرياضات البدنية التي يتدرب فيها الأطفال على مواجهة الأخطار الطبيعية.

كما ترى المذاهب الحديث فى التربية أنه ينبغى أن ينشأ الطفل صلب العود قوى العزيمة صادق الإرادة على مجابهة الأخطار والوقوف أمام الصعاب حتى نرى الإسلام يمدح المؤمن القوى ويعتبره أفضل عند الله من المؤمن الضعيف[3].

وقد ذهب قاسم أمين إلى أن إهمال التربية الرياضية إنما يعرض الجسم لضعف الأعصاب، "ومتى ضعفت الأعصاب اختل التوازن في القوى الأدبية .. فإن من الحقائق الثابتة أن الجسم إذا كان قوياً وكان القلب يرسل الدم إلى جميع خلايا الجسم تشعر نفس الإنسان بقوتها. فكما لا تنهزم عند ملاقاة المصاعب والمتاعب المادية فهى لا تضعف عند مقاومة الأهواء والنزعات الرديئة، ومن المشاهد أن التعب الشديد والمرض المضعف يعقبهما فتور فى الجسم وانحلال فى القوى يؤثران فى الإدارة وفى العزيمة، فكما إذا حاول الجسم نهوضاً لا يكاد يستطعه فيسترسل مع

---

(1) قاسم أمين: المرأة الجديدة - مرجع سابق، ص ١٥٨.

(2) أحمد فؤاد الأهوانى: التربية فى الإسلام - ط٢ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٧م، ص ٦٢.

(3) محمد جمال الدين محفوظ: التربية العسكرية فى الإسلام - الأزهر - جـ٢ - السنة الستون - صفر سنة ١٤٠٨ هـ - أكتوبر سنة ١٩٨٧م، ص ١٧١.

الميل إلى الراحة كذلك تشعر النفس بعجزها عن ضبط أهوائها ومقاومة كل ميل تقتضي مدافعته جهداً ومشقة"[1]

لأن من فوائد الرياضة البدنية أنها تحفظ الصحة. وتنفي الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكي النفس. وكما قال ابن جماعة عن فوائد اللعب وأهميته للإنسان. إنه "ينعش الحرارة وتزكي النفس. أو كما قال ابن جماعة عن فوائد اللعب وأهميتها للإنسان. إنه "ينعش الحرارة ويذيب فضول الأخلاط وينشط البدن"[2] وقد ذهب قاسم أمين إلى أن الرياضة تعمل على ضبط النفس وتجافي الرذائل. لقوله "فلا شك أن قوة البنية وسلامة الأعصاب هما من أهم أعوان الإنسان على ضبط نفسه وأن ضعف البنية واعتلال الأعصاب هما من أهم الأسباب التي تجعل الإنسان آلة تلعب بها الشهوات والأهواء"[3]. وقد استشهد برأى أحد علماء التربية وهو دكتور فلورى Floury الذى يرى " أن آلة العقل هي المخ. فكل انحراف يعرض في الصحة البدنية يؤثر فيه. فإذا استوفينا شروط صحة الجسم أمكننا أن نحصل على سلامة الإرادة وقوة الحكم وتحسن فى أخلاق المرء وآدابه"[4].

مما سبق يتضح جلياً أن قاسم أمين قد ربط بين التربية الرياضية وبين الصحة النفسية. كما أن سلامة الجسم تحفظ النفس من الأهواء والشهوات فإن الجسم الضعيف يكون سبباً فى ضعف الإرادة والنفس.

كما يرى قاسم أمين أن العلاقة قوية بين التربية الجسمية والتربية الأخلاقية والتربية العقلية، ويتبين الجانب الأخلاقي في التربية الرياضية في التسامح والروح الرياضية والتعاون. "فالإنسان لا يكون خلقاً كاملاً إلا إذا أتم تربيته الجسمية والعقلية" كمان أن "الجسم الضعيف لا يسكنه إلا عقل ضعيف"[5]. فإذا

---

(1) قاسم أمين: المرأة الجديدة - مرجع سابق، ص ٥٤، ٥٥.

(2) حسن إبراهيم عبد العال: فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة (٦٣٩ - ٧٣٣هـ) - الرياض - مكتب التربية العربي لدول الخليج - ١٩٨٥م ص ١٨٧

(3) قاسم أمين: المرأة الجديدة - مرجع سابق،ص ٥٥.

(4) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(5) قاسم أمين تحرير المرأة - مرجع سابق، ص١٢٩

كانت التربية الأخلاقية تتمثل فـي غـرس التسـامح والشـعور بالرضـا والعطـف علـى الآخرين، فإن التربية العقلية تظهر فى الاهتمام بالجسم لأن تربية العقـل لا تثمـر إلا إذا صحبتها تربية الجسم، وأن موازنة العقل لا تتـم إلا بموازنـة وظـائف الجسـم"[1].

وبذلك يتضح أن التربية الجسمية، ترتبط بجميع جوانب الشخصية الإنسانية، من تربيـة أخلاقيـة أو عقليـة حتـى تصبـح التربيـة الجسـمية تربيـة إرادة وفكـر وتـأمل وأخلاق، وهذا ما أوضحه الغزالى عندما دعا إلى تربية الطفـل قـائلاً، أن يلعـب لعبـاً جميلاً ليستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب فى اللعب، فإذن منع الصبى من اللعـب وإرهاقـه إلى التعليـم دائمـاً يميـت قلبـه، ويبطـل ذكـاءه، وينغـص عليـه العيش"[2].

وإذا كانت الوراثة تعلب دوراً واضحـاً فـى النواحـى الجسـمية، فـإن قاسم أمين يؤمن أيضاً بدور التربية وتأثيرها على الجسم وخاصـة إذا كـان الجسـم سـليماً، "فـإن كـانت البنيـة سـليمة أمكنننـا أنْ نحـافظ علـى صحـة الجسم بالتمرينـات والأشغال .. التى تبعد عن الكسل"[3].

كما يرى قاسم أمين أن التربية الجسمية تتأثر بالتربية الصحية والتى تتمثل فى الصحة العامة والوقاية من الأمراض وتنشئة الجسم صحياً، والتى تجعـل الجسـم لائقاً للعمل، بل تعطيه القدرة على المرونة، ومجابهة متطلبات الحياة، وهذا يتطلـب النظافة العامة والوقاية من الأمراض، ولذلك يرى "أن التربية الجسمية للولد وحدهـا تستدعى معارف كثيرة، أغلبـها يتعلـق بقوانـين الصحـة، وأن معرفـة هـذه القوانـين تحتاج إلى مقدرا عظيم من معارف أخرى لابد منـه ليتيسـر فهمـها"[4]، فقاسـم أمـين يؤمن بدور الأم فى تنشئة الطفل تنشئة سـليمة، وهـذا يتطلـب منـها أن تكـون علـى

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة، مرجع سابق، ص١٣٠.

(2) أبو حامد محمد بن محمد الغزالى: إحيـاء علـوم الديـن – المجلـد الثـالث – دار المعرفـة – بيروت – لبنـان – (د.ت)، ص ٧٣.

(3) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٥٢.

(4) قاسم أمين: المرأة الجديدة– مرجع سابق، ص١١٤.

درجة من التعليم، حيث تقع عليها تلك المسئولية. ومن ثم" تعرف كيف تقى جسم ولدها من أعراض الحر والبرد وما هو الماء الذى ينبغى استعماله فى نظافة جسمه من حار أو فاتراً أو بارد وعليها أن تعرف أن للهواء والشمس أثراً حميداً فى الصحة فلا تحرمه من التمتع بها وهكذا يقال فى الأشياء الأخرى كالنوم واللعب وما أشبه ذلك"[1]، وهذا أسلوب علمى ينبغى اتباعه فى تربية الطفل.

وإذا كانت التربية الجسمية تعتمد على التربية الرياضية واتباع التنشئة الصحية السليمة، فإن قاسم أمين قد رأى أن دور التغذية لا يقل أثراً، لما للتغذية من أهمية فى النمو الجسمى، ولذلك رأى أنه"لا يمكن الاستغناء عن الغذاء الذى هو قوام الحياة"[2].

ولما كانت الأم هى المسئولة عن تربية الطفل فإن قاسم أمين يرى أن "على الأم أن تعرف أفضل الطرق فى تغذية الأطفال، لأن الانتظام فى نمو الجسم يرتبط دائماً بانتظام التغذية، وجودة الأنسجة وخصوصاً النسيج المخى تتعلق بجودة التغذية حتى قال بعض علماء الطب" :إن الأمم التى تفضل غيرها فى التغذية تفوق سواها فى القوة وتتغلب على غيرها من الأمم"[3].

وتأسيساً على ما سبق يتضح أن قاسم أمين اهتم بالتربية الجسمية، وقد رأى أن صحة الجسم تؤثر سلباً وإيجاباً فى النواحى الأخرى من الشخصية الإنسانية، فالرياضة البدنية والأمور الصحية والتغذية كلها أمور يجب العناية بها حيث إن "كل ما يصرف فى المحافظة على صحة الجسم ووقايته من العلل أو معالجة، أمراض حاصلة بتحسين التغذية أو اختيار المسكن الأجود أو بالرياضة من الحاجات اللازمة[4]. لسلامة الإنسان، وأن العبء دائماً يكون على الأم على حد تعبير قاسم أمين، "لو كانت أم الطفل تعرف أن كل ما يتعلق بتغذية الطفل ومسكنه

---

(1) المرجع السابق،ص ١١٥.

(2) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٢٧.

(3) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١١٤، ١١٥.

(4) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٢٧.

وملبسه ونومه ولعبه له أثر على جسمه. لأمكنها أن تتخذ له وقاية مـن العلـل بقـدر معارفها الصحية ولو علمت كل أم أن الأمراض التى تنتهك جسم ولدها لا تصبيه من غير سبب وأنها المسئولة عن صحته ومرضه. ولما تساهلت فى وقايته من كل مـا مـن شأنه أن يضر ببدنه"[1].

ثانياً: التربية العقلية:

ارتبطت التربية العقلية عند قاسم أمين بتشكيل الشـخصية المصريـة القـادرة على تغيير الواقع وإصلاح المجتمع. وقد رأى أن "التربية العقليـة.. هـى عبـارة عـن تعلم العلوم والفنون، والغاية التى ترمي إليها هو أن يعرف الإنسان ما فى الكون مـن الموجودات، وفيها نفسه، حتى إذا عرف ذلك على حقيقته أمكنه أن يوجـه أعمالـه إلى ما يعود عليه بالنفع ويتمتع بلذته.. فيعيش سعيداً"[2].

وقد ذهب قاسم أمين إلى أن الإنسان هـو مـادة التربيـة وموضوعـها، ولذلـك وجه دعوته إلى استعمال العقل بأن " نحافظ على نشاط العقل بـالتعود علـى التفكير والتأمل والمطالعة كل يوم"[3]، لأن "العلم يخاطب العقل،والحقائق العلميـة لا تطلـب أن يسلم بها من غير مناقشة بل تحتاج إلى بحث وتعب وشغل"[4]، ولـذا فـهو يتفـق مـع القـول بـأن "قيمـة المصدر الـتربوى يمكـن أن تقـاس بمـدى احترامـه لعقـل الإنسان،حيث إنه هو الإرادة التى بها يفهم ويتأمل ويتعلم"[5].

ومن ثم فإن التربية تنصب على العقل باعتباره قوة مدركة فى الإنسان خلقه الله فيه ليكون مسئولاً عن أعماله، ومن هنا أصبح العقل هو الذى يعطى الإنسان قـوة

---

(1) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ١١٣، ١١٤.

(2) المرجع السابق، ص ١٦٠.

(3) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٥٢.

(4) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ٢٠١.

(5) سعيد إسماعيل على : أصول التربية الإسلامية – القاهرة – دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٦م، ص ٢٨.

التأمل والتفكير والحكم والربط بين الأشياء، وذلك كان العقل" طريق الإنسان إلى الله"[1]، كم أنه "مناط التكليف ومحور الثواب والعقاب"[2].

ولما كانت للتربية وظائف مختلفة. فإن قاسم أمين كان يرى أن أهم وظائفها التربية العقلية والتي تعني "الاهتمام بالنمو العقلي والكشف عن القدرات العقلية وإنمائها سواء في ذلك القدرة على التفكير أو التذكر أو التخيل أو اتباع التعليمات أو القدرة على التفكير الابتكاري، وممارسة القدرة اللغوية وغيرها من القدرات المختلفة التي تكون الجانب العقلي للإنسان"[3].

ومن ثم فإن قاسم أمين قد رأى أن العلم والعقل هما وسيلة المعرفة، و قد دعا إلى ربط سلوك الإنسان تجاه كل حياته من فكر وعمل بالعقل والعلم، فلا يسمح لأفراده أن يكونوا عشوائيين أو مقلدين أو متواكلين، لأن مهمة العقل هي التفكير وليس التقليد، ولذلك نعى على المقلدين ودعاهم إلى اعمال العقل، لأن المقلد في إيمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس، والمفكر مجازف جاوز حد العقل والعلم"[4]. وقد استشهد قاسم أمين بقول الإمام محمد عبده على أهمية العقل وإعماله بقوله "أنحى الإسلام على التقليد وحمل عليه حملة لم يردها عنه القدر، فبددت فيالقه المتغلبة على النفوس واقتلعت أصوله الراسخة في المدارس ونسفت ما كان له من دعائم وأركان في عقائد الأمم، وصاح بالعقل صيحة أزعجته من سباته.. "[5].

ويتبين من ذلك أن قاسم أمين رأى أن الإسلام نهى عن التقليد وحث على إعمال العقل، لأنه جاء "ليعطي صوت العقل وحسن الإدراك"[6]، وهذا ما نلحظه في

---

(1) عبد الغني عبود : الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر – الكتاب الرابع سلسلة الإسلام وتحديات العصر – ط١ – القاهرة – دار الفكر العربي – ١٩٧٨م ص ٦٩.

(2) يوسف القرضاوي: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا – مرجع سابق، ص ٢٤.

(3) إبراهيم عصمت مطاوع : أصول التربية – ط٢– مرجع سابق، ص ٦٦.

(4) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٦.

(5) قاسم أمين: تحرير المرأة، مرجع سابق: ص١٢٦ نقلا عن رسالة التوحيد – ص ١٠٠– ١٠٢.

(6) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق ، ص ٣٠٠.

في آيات القرآن الكريم. لأن " من يقرأ القرآن لأول مرة يدهش لهـذا الاعتبـار الـذى يخص به المنطق الإنسانى، فـهو دائماً يقـول: انظـروا هـذا الشـيء، وادرسـوا هـذه الظاهرة، عللوا هذا المبدأ "[1]. ثم يتساءل قاسم أمين قائلاً: "ماذا يمكن أن يقال عـن قول أجاب به الرسول على عربى سأله عـن تحديـد لمعنـى الديـن، فقـال لـه – (مـا معناه) – (الدين هو العقل). وقد قال يوماً– (ما معناه) – (طلـب العلـم فـرض علـى المسلم اطلبه حتى من فم الوثنى)، كما قال هذه الحكمة (التى معناها) – (اثنان ليس مثلهما أحد: الغنى الذى ينفق ماله فى عمل الخير، والعالم الـذى ينفـق حياتـه فـى نشر العلم)، كما امتدح العلماء قائلاً: ﴿العلماء ورثة الأنبيـاء﴾"[2]، ألا يـدل ذلـك على أن الإسلام حث على إعمال العقل كما يرى قاسـم أمـين، وأن الآيـات القرآنيـة دائماً تحث على ذلك.﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينـا عليه آباءنا أو لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يـهتدون﴾[3]، ثـم قولـه تعـالى ﴿أفلا يتدبرون القرءان أم على قلوب أقفالها﴾[4].

والتربية العقلية عنـد قاسـم أمـين تعنـى تنميـة الطاقـات العقليـة وتدريبـها لتجنب الظن والتخمين واتباع الأسلوب العلمى فى التفكير، ويضرب مثالاً على ذلـك قائلاً: انظر إلى الجاهل تجده دائما يختـار مـن فكريـن أقلـهما صوابـاً ومـن طريقـين أصعبهما، ومن عملين أضرهما، ذلك لأن الحق سواء كان فضيلـة أو مصلحـة يلتبـس بالباطل ويخفى على الناظر فلا يراه إلا بعيد النظر نـافذ البصـيرة فـى مصـائر الأمـور وعواقبها، ثم هو يحتاج فى الوصول إليه إلى عناء يفر منه الجاهل الكسول[5].

ومن هذا المنطلق فإن قاسم أمين قد رأى أن العقل يجب أن يوضع فى مكانه الصحيح، هذا المكان قد نادى به الإسلام، هو الاشتغال بـالعلم والمعرفـة، لأن الـذى

---

(1) المرجع السابق، ص ٣٢٤.
(2) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(3) قرآن كريم: سورة البقرة – أية – ١٧٠.
(4) قرآن كريم سورة محمد – أية – ٢٤.
(5) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق،ص ١٢٤.

يعرف فإنه دائما لديه القدرة على أن يقترب من الحق والصواب ويتجنب كل ما عدا ذلك فالعقل نور القلب الذى يفرق بين الحق والباطل. ولن يتأتى ذلك إلا بعمل العقل، وعمل العقل يقوم دائماً على "الإبداع فى الاختراع والتأليف وما يستلزمه من احتقان المخ وإشغال الذهن وحصر الفكر وتأثير الأعصاب والجهد فى توليد المعانى"[1]، وهذا يدل على أن مهمة العقل ليست من أجل الفكر فحسب وإنما من أجل الوصول إلى المنهجية التى تفكر وتخطط وتدرس، فالعقل له دور إيجابى فعال ومؤثر فى تشكيل الواقع وخاصة إذا توفرت العناية به واستخدم الاستخدام الصحيح.

ويدعو قاسم أمين إلى تعليم المرأة وتربية عقلها، ويوضح ما قاسته من جهل فى عصروها الأولى، "فلو كانت المرأة أدركتها العناية بتربية عقلها وتنمية الملكات الفاضلة فيها، لنمت فيها بذلك قوة الحكم على إحساسها، ولتصرفت فى أعمالها على مقتضى الحكمة وقواعد الأدب "ولكن" أضلت المرأة عقلها فى ظلمات الأجيال الماضية، ففقدت رشدها، وأدركها العجز عن تناول ما تشتهى من الطرق المسنونة فاضطرت إلى استعمال الحيلة"[2]، لأنه من المعروف أن التربية تهذب السلوك وتقضى على الخداع والمكر، وقد شبه قاسم أمين المرأة الجاهلة بالطفل الذى لم يتلق تعليم، ولم يتدرب عقله بعد فيظل قاصراً، "لأن عقله ضعيف ومعارفه قليلة ولم تصل قواه العقلية إلى درجة تتمكن فيها من القياس والموازنة بين الأعمال والرغائب والآمال"[3]، وهكذا تساوت المرأة فى جهلها بالطفل فى عجزه وضعف عقله، ولذلك نجد أن الطفل غير مكلف لنقصان عقله فهو لا يعرف وجوه الواجبات والقبائح[4]، ويمكن رد هذا إلى أهمية العقل للإنسان، فالعقل هو ما يميز الإنسان عن سائر

---

(1) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص ٥٣.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٤٩.

(3) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٧٠.

(4) أحمد محمود صبحى: الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى – ط٢ – القاهرة – دار المعارف – ١٩٨٣م، ص٩٦، ٧٠.

المخلوقات، وتلك ميزة من الله سبحانه وتعالى، لأن الإنسان هو الكائن الوحيد العاقل الذى اختص بالفكر والعقل، وأن إهمال هذا العقل يجعله كالأرض الجرداء على حد تعبير قاسم أمين فى شأن إهمال العقل. فيقول "فقد أهملنا خدمة عقولنا حتى أصبحت كالأرض البائرة التى لا يصلح فيها نبات"[1]، أو كما يقول ابن حزم الأندلسى، "فحلى العقل بالعلم و إلا فهو بور"[2]

وإذا كان العقل "من أجل نعم الله على الإنسان، وأنفع القوى الفطرية التى أودعها الله فيه[3]، فإن قاسم أمين يضع العقل بين الوراثة والبيئة، "فسلامة العقل لا تتم إلا بحس الوراثة وحسن التربية"[4]، كما أن "الولد يرث من أبويه وخصوصاً من أمه الحالة الجسمية والعقلية التى تكون عليها مدة حمله"[5]، ولكن إذا كانت الوراثة تؤثر فى تشكيل العقلية الإنسانية إلا أن قاسم أمين يرى أن البيئة لها دورها الواضح فى تنمية العقل. "فنشاط الجسم والعقل يتعلق ببنية الشخص وتربيته، ونحن لا يكاد لنا سلطان على البنية ولكن لنا سلطان قوى أو ما يقرب من ذلك على التربية"[6]. ومن هنا كانت مسئولية التربية عظيمة وخاصة فى النواحى العقلية.

ومما سبق يتضح أن قاسم أمين قد دعا إلى التربية العقلية والتى تعمل على تنمية الفكر وتدريب المتعلم على استخدام العقل استخداما سليماً بحيث يكون لديه القدرة على حل المشكلات التى تواجهه، ومن ثم يستطيع أن يحيا حياة سعيدة، وإذا كانت وظيفة التربية العقلية هى البحث والتأمل والتفكير والوصول إلى حل المشكلات الحياتية، فإن قاسم أمين يرى أنه "لا يمكننا أن نكتفى .. بأن يكون طلب العلم فى مصر وسيلة لمزاولة صناعة أو الالتحاق بوظيفة، بل نطمع فى أن نرى بين أبناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً للحقيقة وشوقاً إلى اكتشاف المجهول، فئة يكون

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ٣٠.
(2) ابن حزم الاندلسى : الأخلاق والسير فى مداواة النفوس – مرجع سابق. ص ٢٣٩
(3) سعيد إسماعيل على : أصول التربية الإسلامية – مرجع سابق، ص ٢٨
(4) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٦٣.
(5) المرجع السابق، ص ١٣٠.
(6) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٥٢

مبدؤها للتعلم، نود أن نرى من أبناء مصر. كما نرى فى البلاد الأخرى. عالماً يحيط بكل العلم الإنسانى واختصاصياً أتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسه على الإلمام بجميع ما يتعلق به، وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة. كاتباً ذاع صيته فى العالم، وعالماً يرجع إليه فى حل المشكلات ويحتج برأيه"[1].

وبذلك تصبح التربية العقلية لها أكثر من وظيفة، فهى تجمع بين الوظيفة النفعية والوظيفة الاجتماعية، فليس تعلم العلم من أجل تنمية المتعلم وتحقيق مصلحة نفعية، وإنما تجمع بين تربية العقل" وتعلم العلم لذات العلم، لما فى ذلك من متعة عقلية ولذة روحية لا نظير لها"[2].

ثالثاً: التربية الأخلاقية:

الأخلاق من أهم معانى الحياة، وهى ضرورة من ضرورات تنظيم المجتمع وترتبط بعلاقة الإنسان بغيره من بنى الإنسان أفراداً وجماعات، حيث تأتى مرتبتها بعد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[3].

كما أن الأخلاق ليست قاصرة على الفرد وحده، بل تتعدى إلى المجتمع والأمة جمعاء، فكما أن الفرد لا تتم إنسانيته إلا بالأخلاق، كذلك المجتمع لا يستقيم أمره إلا بالأخلاق فالأخلاق الفاضلة هى الدعامة الأولى لحفظ الأمم والشعوب والمجتمعات، ولهذا اعتبر المسلمون الخُلق أفضل من العلم استناداً إلى الآيات القرآنية الشريفة التى أشادت بأهمية الأخلاق، ومنها قوله عليه السلام "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"[4].

---

(1) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ1 – مرجع سابق، ص ٣٤٧.

(2) شوقى عبد السلام جاد ضيف: الأزهر كمؤسسة تربوية(تطوره وأثره التربوى) – رسالة دكتوراه (غير منشورة) – كلية التربية – جامعة المنوفية – ١٩٨٠م، ص ٣٦٣.

(3) عمر محمد التومى الشيبانى: فلسفة التربية الإسلامية – ط1 – ليبيا – طرابلس – الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان – ١٩٧٥م، ص ٢٢١.

(4) أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى (٦٣١ – ٦٧٦هـ) : رياض الصالحين – دار الجيل – بيروت – (د. ت)، ص ٢١٣.

ويرى قاسم أمين أن الإسلام هو مصدر القيم الخلقية، فهو "ينطوى على أنقى خلق عرفه الناس... والقرآن كتاب يجمع أحسن الأخلاق"(1)، كما أنه "كتاب أخلاق وفلسفة عملية ومنطقية، يجد المرء إلى جانب قواعد السلوك الحكيمة والوصايا الإنسانية تنظيمات اجتماعية وتشريعية رائعة"(2). كما أن الإسلام" هو الذى خلق من أكثر الشعوب وحشية أمة قوية منظمة، لقد استطاع كبح جماح غرائزها السيئة، وإصلاح عاداتها وتربية روحها وأعطى العرب ما شاع عنهم من معظمة خلقية وهو الذى رسخ فى العقول فكرة المساواة والأخوة التى تسيطر على فكر كل رجل مسلم وهو كذلك الذى أعطى اجمل الدروس عن حب الحقيقة والكرم والإخلاص والطبيعة والتسامح"(3). ثم يضيف قائلاً" إن الدين الإسلامى هو الذى ألهم النبى تلك الحكم الرائعة التى نجدها فى الأحاديث .. منها قوله (حب لأخيك كما تحب لنفسك)(4). ثم قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾(5)، ويستشهد قاسم أمين برأى بعض العلماء حول الإسلام بقول الشاطبى الفقيه الذى يرى "على المسلم المكلف أن يؤدى كل ما هو مفروض عليه وأن يتجنب كل ما هو محرم عليه ولذلك فمن واجبه مساعدة غيره فى شئون حياتهم بيده ولسانه وقلبه.. ولا يجدر بالمسلم أن يقصر حسن معاملته على الجنس البشرى فواجبه كذلك أن يترفق بالحيوانات ويعاملها بالحنان، كما يستشهد بآخر، حيث يرى "أن الإسلام دين خلقى .. يتضمن أخلاقيات رائعة فسيحة وعميقة"(6).

و ابن رجب: جامع العلوم والحكم – تحقيق محمد الأحمدى أبو النور – جـ ١ – القاهرة – مطبعة نهضة مصر – ١٩٨٦م، ص ١٦٥.

(1) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ ١ – مرجع سابق، ص ٣١٥.

(2) المرجع سابق، ص ٢٩٦.

(3) المرجع سابق، ص ٢٩٧.

(4) قاسم أمين : الأعمال الكاملة،مرجع سابق، ص ٢٨٩.

(5) قرآن كريم : سورة النحل – أية – ١٢٥.

(6) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص ٣١٦.

فالإسلام هو مصدر القيم الخلقية، وقد رد قاسم أمين على أعداء الإسلام الذين هاجموا المسلمين ورموهم بالتخلف، وأن الإسلام هو السبب فى انحطاطهم، فدعا قومه إلى التمسك بدينهم قائلاً" وما أكثر ما يزخر الماضي بالمعارف. حتى أنه ليدهشني أن يذهب الإنسان ليبحث طريق السعادة بعيداً عنه، فكروا إذن فى الإسلام الذى آخى بين العرب الأوائل وساوى بينهم، وتذكروا أن (علياً) رابع خلفاء المسلمين قد استدعى بناء على طلب يهودى للمثول أما القاضى الذى عينه هو، وأنه قدم عن طيب خاطر، ونوقشت أقواله وهو واقف بجانب خصمه. وتذكروا أن الخليفة الثاني (عمر) كان ذاهباً إلى سوريا راكباً جملاً، فما كاد يصل إلى منتصف الطريق حتى نزل عن راحلته، وأركب عبده ومشى خلفه حتى باب المدينة، مقدماً بهذا للكافرين مشهداً فريداً لسلطان يحرس عبده. وقد خطب المسلمين يوماً فى المسجد فقال (من رأى منكم اعوجاجاً فى فليقومني) فقام رجل وقال له: (والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) وأنه حينما أخذ المسلمون الأوائل يمارسون الاقتراع العام فى اختيار حكامهم فقد أن ذلك استلهاماً للمبادىء القرآنية التى أوصت النبى بأن يأخذ رأى أصحابه، وأن يشاورهم فى الأمر"[1]. ألا يدل ذلك كله على أن الإسلام هو مصدر القيم الخلقية، وهذا أكبر دليل على الرد على خصوم الإسلام.

فقاسم أمين يرى أن تربية الإنسان تربية أخلاقية لا تنفصل بأى حال من الأحوال عن الإسلام، فالالتزام الأخلاقى فى الإسلام يعنى أن"نؤدى الصلاة والصيام والزكاة والحج[2]. مع الالتزام بكافة ما أمرت به الشريعة الإسلامية، وهذا يدل على أن التربية الأخلاقية هى فى الواقع روح التربية الإسلامية"[3].

---

(1) المرجع السابق، ص٣٦٢.

(2) قاسم أمين: الأعمال الكاملة، جـ١ – مرجع سابق، ص ٣١٣.

(3) شوقى عبد السلام جاد ضيف: الأزهر كمؤسسة تربوية – مرجع سابق، ص٣٤٢.

ولما كان الخلق يعرف على أنه "تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل"[1]. فإن قاسم أمين قد ذهب إلى أن الأخلاق "تهذيب النفس وتطهيرها من الرذائل والابتعاد بها عن المنكرات والخبائث ونشر الفضيلة بين الناس"[2].

وقد نظر قاسم أمين إلى الأخلاق نظرة واقعية، وهذا يوضح مدى تأثره بالفلسفة الواقعية، والتى ترى أن الأخلاق سلوك وليس قول، ولذلك قال"لا تكمل أخلاق المرء إلا إذا استوى عنده مدح الناس وذمهم إياه"[3]، كما أن "المدنية الصحيحة تعتبر اكبر مكافأة لمن عمل عملاً صالحاً أن يحترمه الناس وأكبر عقوبة لمن يعمل العمل الخبيث أن يحتقروه"[4]، ثم يؤكد على ذلك مرة أخرى قائلاً "لا يمكن أن تصير الفضيلة مطلوبة مرغوباً فيها والرذيلة ممقوته مبغضة إلى النفوس إلا إذا أحس الناس بقوة حكم الرأى العام وسلامته، ولا يوجد شيء يبرهن على فساد أخلاق الأمة أكثر من ضياع احترام الفضيلة فيها، إذ لا شيء للفضيلة من احترام الفضيلة[5].

وهذا يفسر أن قاسم أمين نظر للأخلاق نظرة فلسفية، وأن الأخلاق هى التى ترتبط بالسلوك، وأن "الحياة الخلقية هى التى أفعالها متسقة مطابقة للإنسان"[6]، أى أن الحياة الإنسانية إذا طابقها الفعل كان خلقياً وإذا خالفها لم يكن خلقياً، فالسلوك الأخلاقى هو السلوك الذى يكون مرغوباً فيه والسلوك اللا أخلاقى هو

---

(1) فؤاد البهى السيد: الأسس النفسية للنمو (من الطفولة إلى الشيخوخة) – ط٤– القاهرة – دار الفكر العربى – ١٩٧٥م، ص ٣٤٧.

(2) قاسم أمين : المرأة الجديدة– مرجع سابق، ص ١٩٠، ١٩١.

(3) قاسم أمين : كلمات – مرجع سابق، ص ١٨.

(4) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ٥٩.

(5) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(6) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة – ط٦– القاهرة – دار المعارف – ١٩٧٩م، ص ٣٦٢.

السلوك الذى لا يكون مرغوباً فيه"[1]. ومن هنـا تصبـح الأخـلاق عبـارة عـن مجموعـة قواعد السـلوك بمراعاتها يمكن للإنسان بلوغ غايته"[2].

ولما كانت للتربية وظائف متعددة فإن قاسم أمين يرى أن الوظيفة الأخلاقية هي أساس التربية، فهي التى تعبر عما يختاره المجتمع من قيم، وذلك لأنها تستمد أهدافها من هذه القيم وفي ضوئها تتعين الأنماط السلوكية التى تعمل علـى تكوينـها فى الأطفال والشباب، لذلك رأى قاسم أمين أنه ليس على المرء أن يحكم على أخلاق أمة إلا أن يتتبع سلوك أفرادها"[3].

وقد دعا قاسم أمين إلى التربية الأخلاقية، وقدمها علــى كـل شـيء فيقـول" ولكن أرى همم الناس موجهة إلى التعليم، ولا أرى أحداً يلتفـت إلى تربيـة النفـوس، وأرى أن الحرص على التعليم منحصر فى تعليـم الذكـور، مـع أن تـهذيب الأخـلاق مقدم على التعليم، وتعليم البنات مقدم على تعليم الذكور"[4]، فالتعليم مرتبط بالأخلاق ارتباطاً وثيقاً، لأن "الارتقاء العقلى يصحبه الارتقاء الأدبى دائمـاً، كمـا أن العلـم هـو المادة التى يتغذى منها الأدب "فـالمقصود بـالأدب هـو السـلوك الأخلاقـى – كمـا أن "أدب الجاهل لا يمكن أن يكون ثابتاً فى نفسه مثل ثبات الأدب فى نفـس العـالم"، لأن سلوك الجاهل غير متأثر بالعلم، أما المتعلم فهو مدرك لتصرفاتـه، لأن "الاعتيـاد على الاشتغال بالعلم يكسب الاعتياد على ضبط النفس، الذى هو أهم أركـان الأدب، فإذا هم شخص أشربت نفسه العلم أن يعمل أمراً مخالفاً لـلآداب نـزع منـه نـازع إلى النظر فى ذلك الأمر وآثاره ومزاياه ومضاره ثم رجع إلى نفسه ليعلم هل هو يصـح لهـا أولا يصح، ويندر حينئذ أن يقدم عليه، أما الجاهل فإن كان فاضلاً لم تكـن الفضيلـة فيه إلا عادة مجردة وهو مستعد للإذعان إلى ما يتأثر بـه حسـناً أو قبيحـاً ومـائل إلى قبول ما يرى أغلب النـاس عليـه بـدون بحـث فـإذا انقطعـت العـادة مـرة وذاق لـذة

---

(1) John. S. Brubackar: Modern Philosophies of education, Fourth editiontata megraw, Hill Pubishing. Co Pvt, Ltd. Bombay new Delhi 1969 P. 45.

(2) عبد الرحمن بدوى: الأخلاق النظرية – ط٢ – مرجع سابق١٠.

(3) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص ٣١٥.

(4) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٦٨.

الرذيلة، انفلت قياد نفسه من يده واستحال عليه أن يرجع إلى ما كان عليه من قبل، كما أن العلم يقوى حكم العقل ويهذب النفس .. ويعظم الإحساس الدينى"[1].

ومما سبق يتضح أن التربية الأخلاقية تتأثر بالتعليم. فالتعليم مرتبط بتهذيب السلوك وترقى الجهة الأدبية للإنسان والتى تتمثل فى سلوك وتصرفات الإنسان، ذلك لأن الحالة العقلية والحالة الأدبية متلازمتان تلازماً تاماً، بل هما فى الحقيقة حالة واحدة .. فإن كل معلوم يرد على العقل يفيده معرفة جيدة ثم هو بهذه الإفادة نفسها يدخل فى نظام سلوكنا، ولو كان العلم قاصراً إلى المعرفة فقط وليس له أثر فى العمل لفقد معظم أهميته إن لم نقل كلها[2]، ثم يضيف قاسم أمين أن "تقدم الغربيين فى العلوم ساعد كل المساعدة على ترقيتهم فى الآداب وأن تأخر المعارف عندنا كان سبباً فى انحطاطا آدابنا[3]، لأن التقدم فى العلوم يؤدى إلى التقدم فى الآداب"[4]. هذه الآداب السلوكية والتى تتمثل فى الأخلاق إنما ناتجه عن التربية والتعليم.

ومما سبق يتضح أن قاسم أمين كان يجل الخلاق ويعدها عماد الحياة، ولذلك دعا إلى التمسك بالقيم والفضيلة ويتضح من ذلك قوله "بين من يفشى سراً أوئتمن عليه وبين من يختلس مالاً أودع عنده"[5]، كما يرى أن "فعل الخير حسن وأحسن منه ستره"[6].

وإذا كان ابن مسكويه يعرف الأخلاق على أنها "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها: من غير فكر ولا روية"[7]، فإن هذا لا شك أعلى مرتبة فى النفس، ولذلك دعا قاسم أمين إلى تهذيب النفس بالخصال الحميدة عندما رأى أن "أجمل الفعال

---

(1) قاسم أمين : المرأة الجديدة- مرجع سابق، ص ٢٠١.
(2) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ٢٠٧.
(3) المرجع السابق،ص ٢٠٤.
(4) المرجع السابق، ص٢٠١.
(5) قاسم أمين : كلمات – مرج سابق، ص ٣٦.
(6) المرجع السابق، ص ٢٢.
(7) ابن مسكويه :تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق – حققه وشرح غريبة ابن الخطيب – ط١ – القاهرة – المطبعة المصرية – ١٣٩٨هـ، ص ٤١.

تتغير وتفقد قيمتها إذا وقعت على شكل غير مستحسن يكره الرجل الفاضل ولا تثمر أفكاره مهما بلغت من العلم والحكمة إذا خاطب الناس مظهراً الإعجاب بنفسه والثقة في عصمته من الخطأ. ويبغض الصديق المخلص إذا خالف الذوق السليم وحسن التربية في حديثه ومعاملته مع من يحبهم. ويضيع عمل المحسن إذا اقتصر على بذل مال ولم ينفق معه شيئاً من قبله: فإن الناس لا يسألون كم أعطى وإنما كيف أعطى، وفي الحقيقة أن طريقة العطاء هي في الغالب أحسن مما يعطى"[1].

ومن هنا جاءت دعوة قاسم أمين بالأخلاق، فالتربية الأخلاقية مقدمة على كل شيء، فليس الغرض من التعليم هو حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات وإنما الغرض هو تهذيب الأخلاق وتربية الروح وبث الفضيلة[2]، وبالجملة أن الأخلاق سلوك.

وينظر قاسم أمين إلى التربية الأخلاقية نظرة تتكامل مع جوانب التربية كلها، من جسمية وعقلية وأخلاقية، فيرى "أن المرء لا يكون خلقاً كاملاً إلا إذا أتم تربيته الجسمية والعقلية[3]. لأن التربية يجب أن تستعين بالإدراك والحاجات والانفعالات والعواطف، ثم بالتحليل العقلي، فالغرض من التربية إنما يكون "بتهذيب الأخلاق مع العناية بالصحة والتربية البدنية والعقلية والوجدانية والعملية وإعداد الطفل للحياة الاجتماعية"[4].

كما يرى قاسم أمين أن الأخلاق نسبية، فهي تختلف من شخص لآخر، ومن مجتمع لمجتمع، "فقد يختلف الحس الخلقي عند الأفراد باختلاف تربيتهم

---

(1) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص٥٥.

(2) محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها – ط٢ – القاهرة – مطبعة البابي الحلبي – ١٩٩٦م، ص ٢٢.

(3) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٢٩.

(4) محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية – القاهرة – الدار القومية للطباعة والنشر – ١٩٦٤م، ص ٩٥، ٩٧٦.

ودينهم وتقاليدهم. ولست أومن بوجود قيم خلقية واحدة في جميع بلاد العالم. وتكشف المراقبة. معها كانت سطحية. لأخلاق الناس وضمائرهم في البلاد المختلفة عن وجود تنوع هائل في هذا المجال" وخير مثال على ذلك أن كلا من أكل لحم البشر والنباتي والهوتنتي (بجنوب أفريقيا) والإنجليز واليهودي والبوذي يفهم الأخلاق ويمارسها بطريقة مختلفة عن الآخرين. بل إننا نلتقي في نفس المجتمع الواحد بمفاهيم مختلفة عن الأخلاق عند أفراد هذا المجتمع. حتى لنرى الملكية التي يعدها الرأسمالي حقاً مقدساً هي مجرد سرقة عند رافاكول[*] Ravachol كما "ينادي المسلمون بآراء في الأخلاقيات تختلف أحياناً عن آراء المسيحيين. كما ينظرون إلى الحياة نظرة تخالف نظرتهم "[1].

ويضع قاسم أمين الأخلاق بين الوراثة والبيئة ومدى أثرهما في تشكيل سلوك الإنسان والذى تتعاون في تكوينه عوامل وراثية تتمثل في الذكاء والغرائز والمزاج، وعوامل بيئية تتمثل في التربية والتعليم والتوجيه والتدريب والتمرين"[2]. ويرى قاسم أمين أن العاملين لهما أثر واضح على السلوك، فبالوراثة يكسب الطفل استعداداً لكل ميل كان عليه الوالدان صالحاً كان أو فاسداً"[3]. ولكن متى حسنت التربية .. ضعف الاستعداد الذى كسبه الطفل من والديه إن كان رديئاً ، وتأصل فيه استعداداً جديداً[4].

كما يؤمن قاسم أمين بدور الأسرة في غرس المبادىء والقيم والفضيلة في نفس الطفل، فهي التي تضع البذرة الأولى للطفل. فالتربية الأخلاقية تنبع أساساً

---

[*] رافاكول : من أعلام الاشتراكية الغربية.
[1] قاسم أمين : الأعمال الكاملة – ج١ – مرجع سابق، ص ٣٠٨.
[2] شاكر سالم الدولة : الفكر التربوى عند الأمام محمد عبده – مرجع سابق، ص ٢٠٧
[3] قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٦٢
[4] المرجع السابق، ص ٦٣.

من المنزل. والذى يساعد على تعويد الطفل حسن الفعل وتحلية نفسه بجميع الخصال، والوسيلة إلى ذلك واحدة. هى أن يشاهد الطفل آثار هذه الأخلاق حوله، لأن التقليد فى غريزة الطفل يكتسب به كل ما تلزم معرفته، فإن كانت الأم جاهلة تركت ولدها لنفسه يفعل ما يزينه له عقله الصغير وشهواته الكبيرة، ويرى من الأعمال ما لا ينطبق على محاسن الأدب فيتخلق بالأخلاق القبيحة ويعتاد العوائد الفاسدة ويرى الأسرة السيئة فى بيته وفى الخارج، وكلما تقدم فى السن رسخت فيه هذه الأخلاق وكبرت معه بكبره، فإذا وصل إلى سن الرجولية رأى نفسه أو رآه الناس رجلاً سئ التربية ولا سبيل له بعد ذلك إلا إصلاح نفسه مهما كانت إرادته ومعارفه وعقله ويندر جداً أن يوجد شخص يبتدئ بعد بلوغه سن الرجولية فى إصلاح ما فسد من ملكاته ثم فى ذلك إلا إلى حد محدود[1].

وبذلك تصبح الأسرة هى المسئولة عن تكوين نفس الطفل وتشكيل أخلاقه، فينبغى عليها تشجيع النمو الأخلاقى بأقصى ما يستطيع إدراكه[2]. لأن كل العيوب التى تظهر عند الأطفال إنما مردها إلى سوء تربيته المنزلية، حتى قيل "درب الطفل فى الطريق الذى ينبغى أن يسير فيه فلن يتركه حين يكبر"[3].

رابعاً: التربية الجمالية:

احتلت التربية الجمالية عند قاسم أمين مكانة عظيمة، لما يتميز به من حس جمالى نحو الطبيعة، فكانت روحه روح فنان، مال إلى الحب وتقديس الجمال، وتزاحمت فيه صفات عديدة حتى قيل عنه "فقلب تثقله العواطف الطروبة

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) سهام محمود العراقى: فى التربية الأخلاقية – مكتبة المعارف الحديثة بالإسكندرية ١٩٨٤م، ص ٥٩.

(٣) لورنس كريمين: التعليم والحرية – ترجمة محمد فتحى الشنيطى – مكتبة القاهرة – الحديثة – ١٩٥٧م، ص١٣٠.

وفكر شغف بالعدل والإنصاف والحقيقة، يحب الخير والصلاح، كما يحب اللفتات الحلوة والكلمات اللطيفة، في ثنايا روحه شاعر ينشد وينوح"[1].

والتربية الجمالية قد نادى بها قاسم أمين، فنفسه كانت حساسة للجماليات، فكان يدعو إلى الاستمتاع بالحياة عن طريق الاهتمام بالجانب الجمالي. ولذلك كان يرى أن من أعظم ما يصاب به المرء أن يحرم من الذوق السليم. والذوق السليم هو هذا الإحساس الفطري الذي ينمو ويتهذب بالتربية، وهو الشعاع اللطيف الذي يهدي صاحبه إلى أن يقول ويفعل ما يناسب المقام ويجتنب ما لا يناسبه"[2].

وهذا ما دعت إليه التربية الحديثة بهدف تنمية الإنسان وتنمية القيم الكامنة في الحياة واكتشافها بحيث تجعل منه إنساناً مرهف الحس، يحس بالجمال وينسجم مع الحياة "ولا يعقل أن تكون الحياة خلواً من القيم الجمالية السامية التي تجعل من الإنسان إنساناً فناناً ذو حس جمالي رفيع، إلى جانب مهنته ووظيفته الأساسية فيكون مرهف الحس، رقيق الشعور، لا متبلد ولا جامد بل حسن الذوق والتذوق، يمكن أن يضيف من لمسات الجمال الشيء الكثير، فتعطي لحياته معنى، ولحياة المجتمع كله ذوقاً رفيعاً[3].

وإذا كان الجمال سمة بارزة من سمات هذا الوجود، فإن قاسم أمين قد دعا إلى تكوين شخصية الإنسان التي تحس بهذا الجمال والتي تعمل على تربية الوجدان لتكون موازية لتنمية جوانبه جنباً إلى جنب مع الوظائف العقلية خصوصاً وأن الصلة

---

(1) مي : قاسم أمين وباحثة البادية – المقتطف – مجلد ٥٦ – ١٩٢٠م، ص ١١٥.

(2) قاسم أمين : كلمات – مرجع سابق، ص ٢٩.

(3) إبراهيم عصمت مطاوع : أصول التربية – ط٢ – مرجع سابق، ص٧٠.

وثيقة بين هذين النوعين من الوظائف النفسية. بحيث أن ما يؤثر على الوجدان، لا بد في الوقت نفسه من أن يؤثر على التفكير"[1].

وإذا كانت للتربية وظائف تقوم بها فإن قاسم أمين يرى أن من وظائفها التربية الجمالية، والتي تخلق من الإنسان إنساناً يقدر كل جمال ويتطلع إلى تحقيق آماله وأحلامه، وبفقدان هذا الجانب يفقد الإنسان كل حياته" لعل أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة. التمثيل والتصوير والموسيقى، هذه الفنون ترمي جميعها على اختلاف موضوعها إلى غاية واحدة هي تربية النفس على حب الجمال والكمال، فإهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور"[2].

ومن تحليل هذا القول يتبين أن قاسم أمين يرى أن التربية الجمالية بمجالاتها المختلفة من تمثيل وتصوير وموسيقى إنما يكون هدفها هو تربية النفس وتهذيبها، وبها يسعد الإنسان في حياته وعمله، تلك الفنون لا غنى عنها للإنسان إلى جانب العلوم الأخرى. فإن كانت التربية العقلية هدفها اكتشاف حقائق العالم فإن التربية الجمالية تعمل على تهذيب النفس عن طريق الوجدان والنفس، والتطلع إلى حب الفضائل ومقت الرذائل، والتي تتم عن طريق "تربية الذوق السليم وتقدير الجمال من خلال ما تستشعره النفس من المعاني الجميلة في آداب السلوك الإنساني وآداب الحديث في المناسبات والمواقف المختلفة"[3].

ولما كان الفن من العلوم التي تهتم بالنواحي الجمالية فإن قاسم أمين قد رأى أن فن التصوير والرسم له فائدة لا تقل عن فائدة العلوم، لأن العلم يعرفنا الحقيقة وهذا الفن يحببها إلينا، لأنه يبديها لنا على الشكل الأكمل الذي يتخيله ،

---

(1) علي خليل مصطفى أبو العنين: فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم (رسالة ماجستير غير منشورة)- كلية التربية جامعة طنطا – ١٩٧٨م، ص ١٠٩.

(2) قاسم أمين : كلمات – مرجع سابق، ص ٢٤.

(3) منير المرسي سرحان : في اجتماعيات التربية – مرجع سابق، ص ٢٨، ٢٩.

صاحب الفن، فيبعث فينا بذلك الميل إلى الكمال، والكمال شيء يدركه عقلنا، ولكنه لا يقع تحت حواسناً، فلا يمكننا أن نتصوره إلا إذا صار مجسماً أمامناً في شكل لطيف نحس به، ومتى رأيناه في هذا الشكل تعلقت نفسنا بمحبته، وكلما كان صاحب الفن ماهراً في صناعته كان صنعه أقرب إلى الكمال وكانت النفس أكثر ميلاً وأشد إعجاباً به وأعظم سروراً بالإحساس به"[1]، وهذا يعني أن قاسم أمين قد دعا إلى تذوق الجمال من خلال تذوق الفن، وبذلك يتخلص الإنسان من التبلد الوجداني الذي يعتري الإنسان والذي يمكن أن يشعر به في حياة يغلب عليها روتين واحد لا يتغير ومن ثم يتسرب إليه الملل.

فقاسم أمين يؤمن بأهمية الفن وتذوقه للإنسان وبمدى فائدته للمتعلم، وقد أدرك أهمية الجانب الجمالي وتذوقه في خلق الشخصية المتكاملة والمتوازنة والتي تسمو بالإنسان فوق حيوانيته وتجعله بإنسانيته، فيصير إنساناً فناناً ذو حس جمالي رفيع.

وإذا كان أفلاطون قد أدرك أهمية الموسيقى في تربية وتهذيب الوجدان والسمو بالإنسان فإن قاسم أمين كان متأثراً بآرائه، ولذلك دعا إلى تذوق هذه الموسيقى، حيث يرى أن "لفن الموسيقى مثل هذه المزايا فإنها أفصح لغة تعبر عما في ضمائرنا، وألذ ما يرد على مسامعنا، وما أحسن ما وصفت به قول أفلاطون: إن الموسيقى تبعث الحياة في الجماد ويسمو بها الفكر ويرتقي الخيال وتبث في النفوس الفرح والسرور وترفعها عن الدنايا وتميل بها إلى الجمال والكمال، فهي من عوامل الأدب للإنسان"[2].

---

(1) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٦٢، ١٦٣.
(2) المرجع السابق، ص ١٦٣.

فقاسم أمين يرى أن الموسيقى تبعث الحياة فى الجماد. فما بالنا إذا كان تأثيرها على الإنسان. فهو يرى أنها تجعل من النفس مبعث الفرح والسعادة. كما تعمل على سمو النفس وترفعها عن الدنايا، كما أن للموسيقى فوائد متعددة للإنسان. وخاصة فى النواحى الأخلاقية، "فإنها يمكنها أن تكبح جماح انفعالات النشء وترقى بالنظام فى حجرة الدرس، ويمكنها أن تقوم بمهمة الوسيط المهدىء العظيم للنشء صانعة السلام بين الرجال"[1].

ومما سبق يتضح أن قاسم أمين قد ذهب إلى أهمية الفنون ومدى تأثيرها فى الجانب الجمالى عند الإنسان، فهي تثقل النفس وتهذب الذوق وتجعل من الإنسان إنساناً يحس ويدرك، أو كما يقول أفلاطون "إن غياب الجمال والإيقاع، والانسجام يرتبط عادة بالأسلوب الفاسد والشخصية الشريرة"[2]، لأن التربية الجمالية تهدى الإنسان إلى المحبة والجمال وتجعل من النفس قوة تدرك الحياة.

وإذا كانت الموسيقى والتمثيل والتصوير وجميع فروع الفن تبرز الجانب الجمالى عند الإنسان، فإن قاسم أمين قد أدرك دور الأدب– باعتباره فناً من الفنون – ومدى أهميته وفائدته فى التذوق الجمالى، وقد دعا المصريين "بتغذية وجدانهم بالأدب القديم الذى ما تزال بيننا بعض آثاره الرائعة"[3]، لأن إهمال الأدباء هذا الفن وانصرافهم عن مجال الكتابة قد أدى إلى ركود وتخلف هذا الفن،ولذلك دعا إلى إحياء هذا الفن لأهميته فقال : الأمر فى حاجة إلى عبقرى يستطيع بنشاطه ومواهبه أن يعيد للأدب مكانته التى كانت له قديماً فى المجتمعات الإسلامية"[4].

---

[1] لورنس كريمين : التعليم والحرية – مرجع سابق، ص١٥.

[2] هربرت ريد: التربية والتعليم فى خدمة السلام – مرجع سابق، ص ٩٧.

[3] قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص ٣٣٠.

[4] المرجع السابق : نفس الصفحة.

وخلاصة القول: إن قاسم أمين قد اهتم بالجانب الجمالى ودعا إلى العناية به لأهميته للإنسان "وهذا هو السر فى منـاداة المصلحين وأصحاب الرسالات بضرورة التذوق والكشف عن أسرار الكون والطبيعة وعما فى المخلوقات من جمال وكمال"[1].

خامساً: التربية الوجدانية:

يقول قاسم أمين إن "الوجدان .. هو المحرك الوحيد للعمل"[2]، وبناء على ذلك تصبح التربية الوجدانية هى القوة الحيوية للنفس البشرية والتى تعمل على إعداد الإنسان للحياة.

ولذلك اهتمت التربية الحديثة بالطفل واحترام شخصيته، كما أن النفس فى القرآن الكريم على جانب هام من الاحترام. فهى "أقرب إلى الطبع أو القوة الحيوية التى تشكل الغريزة لما تعمل واعية"[3].

وقاسم أمين قد اهتم بالتربية الوجدانية والتى تهتم بالنفس، وأن الغرض من ذلك هو تكوين الشخصية الصالحة، مثل تنمية المواهب وإعداد الإنسان للحياة الاجتماعية، وكمال الشخصية فى العلم والعمل، وأن السلوك الإنسانى هو الغاية الأخيرة المقصودة من التربية والذى يتم تهذيبه بفضل هذه التربية.

والتربية الوجدانية عند قاسم أمين لا تقف عند مجرد التعليم، بل يدعو إلى تربية العواطف، وبعضها فى المكان الأسمى والدرجة الأولى، فيقول "آن الوقت .. لتربية نفوسنا تربية صحيحة متينة علمية، تربية تنشئ رجالاً أولى علم وأصالة رأى، يجمعون بين المعارف والأخلاق والعلم والعمل، تربية تنقذنا من جميع

---

(1) إبراهيم عصمت مطاوع : أصول التربية – ط٢– مرجع سابق، ص ٧٠.
(2) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٣٨.
(3) عباس محمود العقاد: الإنسان فى القرآن – القاهرة – دار الهلال – ١٩٦١م، ص ٣٣٧.

العيوب"[1]، وهو يفرق بين التربية والتعليم. ولا يؤمن بما يحشى به أذهان التلاميذ من ألوان المعرفة، بل يهتم بالعواطف التى تنشأ فى نفوس الأطفال. والتى تتأصل بالأخلاق والعلم والعمل، والابتعاد عن تلك التربية التقليدية، والتخلص من كل عادة ممقوته ورذيلة موجودة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتربية النفس. فليست أى تربية يقصدها قاسم أمين، و لكنه يطالب بتربية النفس قائلاً: "ولكن أرى همم الناس موجهة إلى التعليم ولا أرى أحداً يلتفت إلى تربية النفوس"[2]، وخاصة أن المصريين قد حرموا من تربية العواطف النبيلة لأنهم لم يعودوها منذ الصغر على التنشئة السليمة، فإذا اتخذت التربية وسائلاً وأساساً لغرس المبدأ الدينى والوطنى عند الطفل لكانت التربية أثمر وأصلح.

والتربية الوجدانية لدى قاسم أمين تعنى تربية الروح، حيث إن "تربية الروح تكون بتعويد الطفل لا على أن يفهم هذا الطيب طيباً وذاك الخبيث خبيثاً، بل على أن يعمل الطيب ما قدر ويجتنب الخبيث ما استطاع، لأن إدراك الحسن حسناً والقبيح قبيحاً أمر سهل، وقد لا يكاد يوجد إنسان يفعل أمراً مذموماً وهو يعتقد أنه ممدوح، فالسارق والقاتل والخائن والبخيل كلهم يفهمون أن ما يرتبكون رذيلة من الرذائل، ولكنهم تعودوا استعمالها كما تعودوا أن يجفوا الفضائل"[3]، وقاسم أمين يرى أن تربية النفس هى تربية الروح، باعتبار أن الروح هى الفعالة والمسئولة عن طبيعة الإنسان[4]، ولذا يجب تربيتها وتهذيبها لتبحث عن الفضيلة وتعتنقها وترى الرذيلة وتتجنبها، وتكون قادرة على الاحتفاظ بالفضيلة حتى تصبح ملكة راسخة لأن "التمييز بين الفضيلة والرذيلة ليس بالشىء المهم فى فن التربية،

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٦٧، ٦٨.
(2) المرجع السابق، ص ٦٨.
(3) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٣٤، ٣٥.
(4) على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – جـ١ – ط٨ – القاهرة – دار المعارف – ١٩٧٧، ص٤٩٩.

ولكن كله ينحصر في اكتشاف وإظهار وتنمية جميع الملكات الطيبة فينا، أو غرسها في نفوسنا، وتقويتها وإحيائها حتى تتمسك فى النفس بجذورها فلا تستطيع قوة خلعها بعد ذلك أبداً، ومتى وجدت التربية بهذا المعنى لازمت النفس الفضائل وتجافت الرذائل بقدر تلك الملازمة"[1].

وبذلك تصبح التربية الوجدانية قادرة على بناء شخصية الإنسان وقادرة على تهذيب سلوكه وغرس قيم المحبة والتسامح فى النفس، وبذلك تصبح النفس قادرة على التمييز بين الحق والباطل فحسب وإنما يصبح الحق ملكة راسخة في النفس، فليس المهم معرفة الحق من الباطل ولكن المهم اعتناق الحق، أو كما يقول ابن حزم الأندلسي "ليس بين الفضائل والرذائل، ولا بين الطاعات والمعاصى إلا نفار النفس أنسها فقط، فالسعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات، ونفرت من الرذائل المعاصى، والشقى من أنست نفسه فى الرذائل والمعاصى، ونفرت من الفضائل والطاعات"[2]، فتربية النفس وتهذيبها أو كما يعبر قاسم أمين "الاهتمام بترقية النفس"[3]، من الأمور الملحة في عصرنا، لأن النفس الضعيفة تحط من قيمة الإنسان وتجعله عرضة لاقتراف الخطايا، وأن النفس القوية قد مدحها القرآن الكريم، فعلى الإنسان أن يكون قوى النفس وقوى الإرادة لأن "ضعف الإرادة أكبر عيب فى نفس الإنسان"[4]، ولا تقوى النفس ولا الإرادة إلا بفضل التربية الوجدانية.

ولما كانت التربية عند قاسم أمين أداة إصلاح المجتمع، فقد أعطى لها أهمية كبيرة، ولا سيما التربية المنزلية والتى تكون مسئولة عن تربية النفس والعواطف فهو يرى "أن عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم ذاته هو عيب عظيم فينا

---

(1) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ٣٥.

(2) ابن حزم الاندلسي: الأخلاق والسير فى مداواة النفوس – مرجع سابق –، ص٩٦.

(3) قاسم أمين: كلمات – مرجع سابق، ص ١٤.

(4) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٨٦.

يجب أن نفكر في إزالته، وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التى غفلت عن تربية إحساسنا وأهملت تربية قلوبنا، فأصبحنا ماديين لا نهتم إلا بالنتائج فى جميع أمورنا"[1]، فهو يرى أن إهمال التربية المنزلية وما كان يتعرض له الأطفال فى البيت وعدم وجود المرشد لهم من الأمهات المتعلمات هو السبب وراء كل نقص وعيب، فإذا شب الطفل عن الطوق وجد هوة سحيقة تفصل بينه وبين أمه، وعاشت الأمهات فى عالم من الأوهام والخرافات وعاش الأبناء فى عالم آخر تشوبه الأوهام والخرافات، فكان لابد من دعوة إلى تعليمهن وتربيتهن، من أجل سعادتهن وسعادة أبنائهن والنهوض بهن إلى مستوى أفضل.

فقاسم أمين يرى أن الأطفال يقضون أوقاتهم "فى تعليم القراءة والكتابة واللغات الأجنبية ومطالعة العلوم سنين، ثم ينتقلون إلى علوم أخرى أعلى وأرفع من تلك فإذا انتهت مدة الدراسة دخلوا فى ميدان الحياة العمومية، انتظرنا منهم أن يكونوا بيننا رجالاً ذوى إحساس شريف وعواطف كريمة وأخلاق حسنة وهمم عالية، رجالاً يشعرون ويعملون، ورجونا منهم أن نجنى ثمار هذا التعليم الذى بذل فى سبيله النفيس من الوقت والمال، ولكن وأسفاه نرى آمالنا فيهم خائبة، نرى لهؤلاء الشبان المتعلمين قلوباً يابسة وهمما صغيرة وعزائم ضئيلة، أما العواطف فهى، بالتقريب فيهم معدومة، فلا يروق لأعينهم نظر جميل، كما لا ينظرهم مشهد قبيح، ولا يعطفهم حنو، ولا تبكيهم مرحمة، ولا يحترمون كبيراً ولا يستصغرون صغيراً، ولا تحركهم منفعة إلى عمل مهما عظم نفعه"[2]، هذا هو وضع التعليم وما آل إليه، ويرجع قاسم أمين هذه العيوب إلى سوء التربية قائلاً"، وليس لذلك من سبب سوى، أن التربية لم تتناول وجدانهم فى أول السن، هذا الوجدان الذى هو المحرك الوحيد

---

(1) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ1 – مرجع سابق، ص ٣٤٧.

(2) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٣٧، ١٣٨.

لعمل لا يظهر ولا يقويه ولا ينميه إلا التربية البيتية. ولا عامل لهـا فـى البيـت إلا الأم، فهى التى تلقن ولدها احترام الدين والوطن والفضائل وتغرس فى نفسه الأخلاق الجميلة وتنفس فيها روح العواطـف الكريمـة، وأشـد مـن هـذا كلـه أثـراً فـى نفسـه ظهورها فى عينيه متحلية بهذه الصفات، فيقلدها من غير فكر ثم يعتـاد علـى ذلـك شيئاً فشيئاً حتى تصير هذه الصفات حاجات لنفسه لا يمكن أن تنسلخ عنها"[1].

ثم يؤكد مرة أخرى على عيوب التربية وإهمالهـا للجـانب الوجدانـى قـائلاً "إن السبب الحقيقى لفقد الشعور إلى هذا الحد هو إهمال تربية العواطـف عندنـا فـى زمنّ الطفولية (الطفولة)، وتبع ذلك أن أعصابنا أصبحـت لا تتـأثر إلا بالإحساسـات المادية التى تقع عليها مباشرة، صارت غـير قابلـة للتـأثر بالمعـانى النفسـية"[2] وقـد ذهب إلى أبعد من ذلك حينما أعلن أن "انحطاط المصرى إنما هو ناشىء مـن حرمانـه من هذه التربية الأولى، ينمو الطفل بيننا كما ينمو النبات ولا يهتم أحد من أهلــه إلا بإعطائه التغذية والملبس، فهم يعتنون به كما يعتنى أى إنسان بحيوان يحبـه، فكـل بناء يقـوم بعـد ذلـك علـى هـذا الأسـاس هـو بنـاء علـى الرمـل لا يلبـث أن ينـهار مهدوماً"[3].

ومن هذا المنطق فإن قاسم أمين قد رأى "أن العائلة هى أول شىء يقع تحت حواس الإنسان فى أول نشأته، وهى الشىء الثابت المستمر الـذى يـراه دائمـاً، فـإذا رأى الطفل فيها مثال الترتيب والعمل ورفعـة النفـس ورقـة العواطـف تعلقـت نفسـه بهذه الخلال، وبهذا التعليق يخطو الخطوة الأولى فى سبيل ارتقائه"[4].

---

(1) المرجع السابق، ص ١٣٨، ١٣٩.

(2) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٤٣.

(3) المرجع السابق، ص ١٤٤.

(4) المرجع السابق، ص١٣٦.

وهو يقسم الارتقاء إلى دورين: الأول"دور إعدادى يقطعه الإنسان فى مدة طفوليته، وفيه يرتسم فى نفس الطفل صفات الترتيب والتنظيم، وينشأ الميل إلى الأفعال الجميلة وتتوجه نفسه إلى حب الكمال وتتعود فيه آلات الجسم على النشاط والحركة. والثانى دور عملي يقطعه الإنسان فى سن الرجولية إلى آخر العمر وفيه تخرج هذه الصفات من حالة الكمون إلى الظهور في العمل. فإن أهمل الإعداد فى الدور الأول استحال صعوده الشخصى فى درجات الارتقاء ومهما حفظ بعد ذلك من العلوم فى المدارس، ومهما كانت التعاليم الأدبية أو الدينية التى تلقى عليه، فهو يعيش كالطائر الذى قص جناحه، كلما هم أن يطير سقط ومتى تحقق بالتجربة من عجزو استسلم إلى حظه ورضى به وانتهى الحال إلى أن يفضله على كل شيء سواء، ثم يرى أن "التعليم سواء كان دينياً أو علمياً لا يمكن أن يكون له أثر نافع إلا إذا وجد من النفس عوناً على النجاح، كما أن البذرة مهما كانت جيدة لا تنبت إلا فى الأرض الصالحة لنموها"[1].

وإذا كانت الأسرة هى "المدرسة التى تولد فيها العواطف"[2]، فإن قاسم أمين قد آمن بدور الأم فى بناء شخصية الطفل، وهذا ما أشار إليه فرويد Freued عندما أعلن "أن الأم تعلب دوراً هاماً .. فى حياة الطفل، وهذه العلاقة أساس الاستقرار النفسى"[3].

وجملة القول إن قاسم أمين قد رأى أن التربية الوجدانية هى المحرك الذى تحركه الأم والتى تعمل على ظهور وتنمية هذا الجانب الحيوى من حياة الطفل، ولذلك قسم التربية إلى قسمين هما:

---

(1) المرجع السابق، ص١٣٦، ١٣٧.

(2) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة – مرجع سابق، ص ٣٢٤.

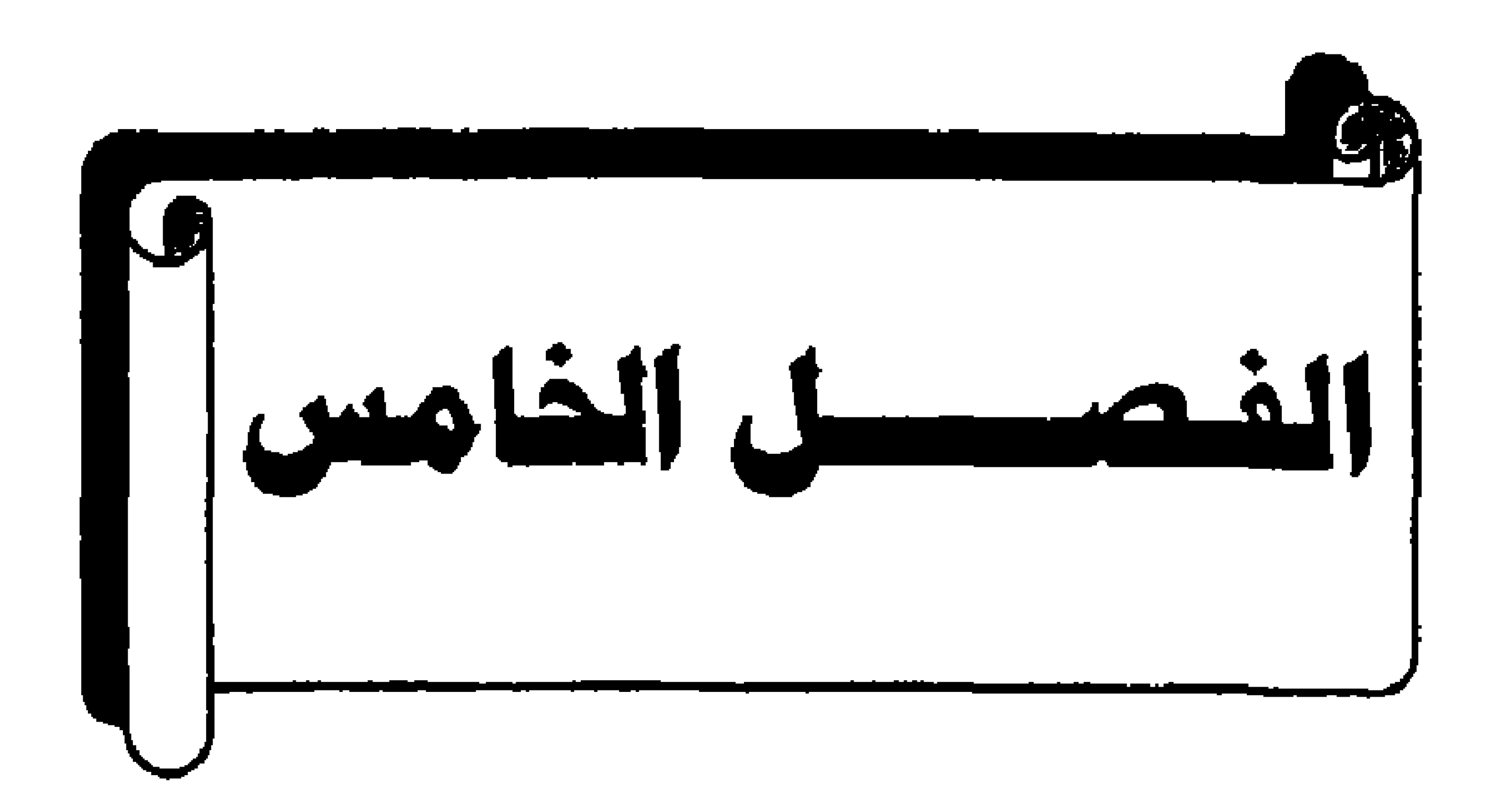
(3) محمد سعيد فرج: الطفولة والثقافة والمجتمع – الإسكندرية – منشأة المعارف – ١٩٨٠م، ص١٨.

* **تربية العقل:** وهى التى توجه مدارك الإنسان إلى اكتشاف حقائق العالم.

* **تربية الروح** :وهى التى توجه إرادته إلى الخير وتميل بإحساسه إلى الجميل.

وكلتاهما لازمتان لسعادة الإنسان"؛ "أما التربية العقلية فمنبعها المكاتب والمدارس، وأما التربية الروحية فلا تكتسب إلا فى العائلة. ولا يمكن اكتسابها فى العائلة إلا إذا كانت الأم هى أول من يديرها ولا يمكن أن تديرها الأم إلا إذا كانت على جانب عظيم من الرقى العقلى والأدبى"[1].

(1) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٤٤، ١٤٥.



التربية والتغير الاجتماعى عند قاسم امين

تمهيد:

إن موضوع التغير الاجتماعي من الموضوعات التي تفرض نفسها للدراسة في وقتنا الحاضر، وخاصة في عصر تعددت فيه العلوم والمعارف وتنوعت فيه وسائل التقدم والتكنولوجيا؛ فأصحبت المجتمعات تعيش في صراع فكري واجتماعي وثقافي وسياسي.

ويعد التغير "سنة من سنن الحياة، والمتتبع لحركة المجتمعات الحديثة يجد أن كل شيء في عالمنا يتغير ويمضي ويتحرك، وهذا ينطبق على الأفراد والجماعات والمجتمعات والأفكار والمبادىء والقيم. وفي النظريات التي تظهر فتقلب الأوضاع وتعيد الحسابات، فكل شيء يسير ويتحرك ويتغير والتغير في كل اتجاه وفي كل زمان ومكان وفي كل شيء"[1].

ولما كان التغير سمة رئيسة تتميز بها الحياة، فإنه يتناول "كل مقومات الحياة الاجتماعية والنظم والعلاقات الاجتماعية، وهذه الظاهرة من الأهمية بمكان حتى أن كثيراً من الباحثين اهتموا بدراستها وخاصة علماء التربية والاجتماع والفلسفة وذلك لكون التغير ضرورة حياتية للمجتمعات البشرية"[2].

ولما كان الأمر كذلك فإن قاسم أمين قد رأى أن الإصلاح الاجتماعي لا يتم إلا بفكرة التغير والتطور، فاعتنقها كمبدأ من مبادىء التقدم، فطالب بإصلاح المجتمع عن طريق التغير، ودور التربية في مواجهة هذا التغير، وخاصة أنه حاول أن يوفق بين دعوته الاجتماعية بين إيمانه الديني، فأدرك أن وراء الدين الإسلامي

---

(1) سيف الإسلام على مطر: التغير الاجتماعي (دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية- ط1 – دار الوفاء للطابعة والنشر والتوزيع – المنصورة، ١٩٨٦، ص٨.

(2) المرجع السابق، ص ٩.

دافعاً نحو التقدم. وأن الله سبحانه وتعالى قد أمر عباده أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يصبحوا صالحين.

*الإصلاح الاجتماعي عند قاسم أمين:

ولما كان قاسم أمين يعد من المصلحين الاجتماعيين في مدرسة الاستنارة واليقظة الفكرية في مصر والشرق العربي الإسلامي والتي نشأت في القرن التاسع عشر والتي كانت تهدف إلى تطوير المجتمع والعمل على إصلاحه وتحريره من استبداد الاحتلال[1]، فإنه قد أدرك أهمية الإصلاح الاجتماعي ووعى المسألة الاجتماعية، وحاجاتها إلى الإصلاح والتغيير، فهو ليس سياسياً يتجه بفكره إلى السياسة، بل يؤمن "بالإصلاح"طريقاً للتقدم والتطور، ويرفض "الثورة" وقد كتب قائلاً" شرعت في هذا العمل باحثاً عن حالتنا الحاضرة، لا من جهة السياسة، فإني لست مشتغلاً بها إلا من حيث كوني مصرياً أحب الوقوف على الحوادث التي تجري في وطني .. بل من الجهات الأخرى كالمعيشة الاقتصادية والتربية والدين"[2]، وهذه المسائل تعد من أهم المسائل الاجتماعية والتي تؤثر سلباً وإيجاباً في بنية المجتمع.

فقد وهب قاسم أمين حياته للإصلاح الاجتماعي، وقد "كان عنده أمل لا يزعزعه شيء في إصلاح أمته، كان عنده اعتقاد متين بأن البذرة الطيبة متى ألقيت في أرض بلادنا الخصبة نبتت وأزهرت وأثمرت كما نبتت وازهرت وأثمرت بذور الفساد فيها، لهذا كان يلقي بملء يديه كل ما جمعه في حياته من الأفكار الصالحة

---

(1) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ1 – مرجع سابق – ، ص45 بقلم محمد عمارة.

(2) المرجع السابق، ص 189.

والعواطف الشريفة والتعاليم المفيدة كأنه كان يشعر أن حياته ليست طويلة فكان يعجل ببذل جميع ما كان عنده"[1].

هذا ويعتقد أن الدعوة إلى تحرير المرأة من رق الجهل ورق الحجاب لم تكن هى كل برنامج قاسم أمين الاجتماعى، وإنما كانت حلقة منه هى أعسر حلقاته وأعقدها، ذلك بأنه لم يقصر عليها كل جهد حياته[2]، وإنما كان برنامجه الإصلاحى أوسع من ذلك بكثير وأن قضية المرأة ما هى إلا بداية هذا الإصلاح.

وقد ظهرت فكرة الإصلاح الاجتماعى عند قاسم أمين بعد عودته من فرنسا متأثراً بالحضارة الغربية والتقدم الذى شهدته أوربا والتى "قد بلغت من التقدم ما لم تبلغه أى بيئة أخرى.. وفى هذا الوسط قرأ لمن تحدث عن الحرية وقرأ لمن تحدث عن التقدم، فاعتنقهما مبدأين هامين من مبادىء الإصلاح"[3]، ولعله لم يؤثر فى حياته العامة مثل ما أثر هذا المبدأ. ولم تكن عقيدته إلا فكرة التطور أو التقدم أو استكمال النقص وتكوين الإرادة العامة، فعقيدته العليا هى "فكرة التقدم" ولم تكن الفكرة نفسها غريبة عن الوسط الذى عاش فيه، ولأمر ما ترجم فتحى زغلول "سر تطور الأمم"و"سر تقدم الإنجليز السكسونيين" و"روح الاجتماع" ولأمر ما أشرب قوم من المصريين ما سموه "الكمال" ولأمر ما يقول محمد عبده (لابد أن ينتهى أمر العالم إلى تآخى العلم والدين على سنة القرآن والذكر الحكيم، وليس بينك وبين ما أعد به إلا الزمان)، ثم الأمر ما ترددت كلمة "الكمال" عشرات المرات فيما كتبه قاسم أمين. أليس هذا دليل على أن روح العصر فى مصر كانت روحاً دفاعة من التفاؤل

---

(1) محمد حسين هيكل: تراجم مصرية وغربية – مرجع سابق، ص١٤٨.

(2) المرجع السابق، ص١٤٩.

(3) أحمد خاكى: قاسم أمين – مرجع سابق، ص ٩٥، ٦٠.

والرجاء؟. وعلى أن الجماعة المصرية كانت تنظر إلى المستقبل وكان ينظر إلى المستقبل قاسم أمين[1].

وثمة عامل رئيس آخر لعب دوراً مهماً فى فكرة الإصلاح عند قاسم أمين ألا وهو هجوم كتاب الغرب على مصر، ومنهم الكتاب الفرنسى "الدوق داركور" Duc D,harcouri الذى كتب كتاباً سنة ١٨٩٣م أجمل فيه آراءه عن مصر والمصريين، وكانت كتاباته سلسلة من المطاعن القاسية والتى تناولت الجماعة المصرية من أحط نواحيها، وكانت صادرة عن تجربة قصيرة، ولم يكن باعثها الإخلاص ولا المروءة ولا حسن النية[2]، ولما قرأه قاسم أمين انفعل غضباً حتى أصابته "الحمى" ولم يجد علاجاً لمرضه سوى الرد على هجوم هذا الكاتب،وقد عكف على دراسة قضايا المجتمع، وبدأ يحلل الواقع الذى يعيشه الشعب المصرى، حتى نجده يقول "لقد اطلت التأمل فى أبناء وطنى، بل لقد بذلت جهداً أكبر مما يبذله الأجنبى فى دراستهم والتعرف عليهم، وأعتقد أننى نجحت فى أن أكتشف أعماق وجدانهم[3].

وقد خرج قاسم أمين من المحنة التى عاناها من هجوم هذا الكاتب الجاحد، الذى كان له عميق الأثر فى حياة قاسم أمين، وقد تفتحت عيناه على كثير من مساوىء البيئة المصرية، وكأنما استيقظت حواسه جميعاً بعد أن رد على الدوق الفرنسى، وتكونت نفس المصلح الاجتماعى منذ ذلك الحين، ففى سنة ١٨٩٤م أتم رده على الدوق فى كتاب سماه "المصريون" بالفرنسية، حيث فند فيه كل نقد، ولعله استنفد كل ما أوتى به من الحجج فى هذا الرد، فقد تطور تفكيره بعد ذلك تطوراً ظاهراً، وإذا كانت حياته وحدة خاصة فقد كانت السنوات الأربع بين سنة

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٣ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص٦١.

(٣) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – ج١ – مرجع سابق، ص٣٤٢.

١٨٩٤ وسنة ١٨٩٨م هى فترة الانقلاب فى هذه الوحدة، وتلك السنوات الأربع هى عصر الثورة أو عصر التحفز للثورة – الثورة الفكرية والثقافية – وبعد أن كان يتخذ خطة الدفاع أمام الدوق الفرنسى إذ هو يتخذ خطة الهجوم أمام البيئة التى عاش فيها، لأنه فى رده على الدوق داركور لمس كثيراً من العيوب والنقائص التى اضطر إلى الرد عليها. أحس أن المصريين فى حاجة إلى الخلق القويم، وأن شعورهم القومى فى حاجة إلى التثبت، وأن أولادهم وبناتهم فى حاجة إلى التربية،وظل أربع سنوات يدرس هذه المظاهر وينقب عن هذه النقائص، وكان خلال ذلك يكتب مقالات فى المؤيد، كما كتب مقالات باسم أسباب ونتائج وأخرى باسم أخلاق ومواعظ، فجاءت هذه المقالات وكأنها دراسة مسلسلة لكل أمراضنا الاجتماعية التى لم نتخلص منها بعد[1].

والتفت قاسم أمين حوله فوجد الميدان الاجتماعى قد أعرض عنه أكثر الرواد، فرأى أن "المسائل.. الدينية والأخلاقية والمتعلقة بالأحوال الشخصية والعادات والأخلاق "تحتاج إلى البحث، ولم يتجه فكر الباحثين إلى انتقادها، فيتساءل " فهل لم ير أحد فيها عيباً ينتقد؟ كلا: وإنما هم يرون العيوب ولا يجرأون على إظهارها"[2]، فأخذ يهاجم المتعلمين والمثقفين عن تكاسلهم ويدعوهم إلى نقد عيوب المجتمع والعمل على إصلاحها، لأن المجتمع فى حاجة بالفعل إلى الإصلاح، وبدأ يوجه دعوته قائلاً" لا أظن أنه لا يوجد واحد من المصريين المتعلمين يشك فى أن أمته فى احتياج شديد إلى إصلاح شأنها، فهؤلاء المتعلمون الذين أخاطبهم اليوم أقول إن عليهم تبعة ما نألم له فى عصرنا هذا ولا يليق بمعارفهم ولا بعزائمهم أن يسجلوا على أنفسهم وعلى أمتهم العجز واليأس والقنوط، فإن ذلك

---

(١) أحمد خاكى : قاسم أمين – مرجع سابق، ص٨٢.

(٢) قاسم أمين : كلمات – مرجع سابق، ص ٤٩.

صورة من صور الكسل. أو مظهر من مظاهر الجبن أو حال من أحوال من لا ثقة له بنفسه ولا بأهله ولا بملته .. وآراهم بهذا يستسلمون إلى تيارات الحوادث تتصرف فيهم كما تتصرف في الجماد والنبات وتقذف بهم إلى حيث يحبون أو لا يحبون"[1].

وقد لمس قاسم أمين ضعف المجتمع المصرى وحاجته إلى الإصلاح، وقد شعر أن الكاتب الفرنسي كان على حق في بعض هجومه، وما وصف من مظاهر الاضمحلال الخلقي والمادى. هذا الكاتب قد بصّر قاسم أمين بعيوب قومه، لأنه لا خلاف في أن الأمة المصرية" في حالة ضعف شديد تستدعى المبادرة إلى علاجها، فيتعين علينا أن نشخص الداء بمعرفة أسبابه أولاً، ثم نبحث عن دوائه"[2]. فقد "عاشت الأمة المصرية أجيالاً من الاستعباد السياسي، فكانت النتيجة انحطاط عام في جميع مظاهر حياتها، انحطاط في العقول، وانحطاط في الأخلاق، وانحطاط في الأعمال، وما زالت تهبط من درجة إلى أسفل منها حتى بها الحال إلى أن تكون جسماً ضعيفاً عليلاً ساكناً يعيش عيشة النبات أكثر من عيشة الحيوان[3].

فقاسم أمين يدعو إلى إصلاح المجتمع عن طريق أبنائه، فكان على من "أراد من يهمهم إصلاح أمتنا من رجال الحكومة وأبنائها الذين يفكرون في الطرق اللازمة لإخراجها من حالها ونقلها إلى حال آخر أن يفعلوا شيئاً نافعاً: فعليهم أن يكشفوا لها الستار عن عيوبها جميعها مهما كانت مرة المذاق أو مخجلة وأن يربوها على التجمل بالعوائد الحسنة إن لم يكن بالتأثير على معاصريهم فعلى ذراريهم من بعدهم"[4].

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٢٦، ٢٧.
(2) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٣٣.
(3) المرجع السابق، ص٧٠.
(4) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٣.

ويتساءل قاسم أمين "ما أسباب الداء في تخلف المصريين؟ ويجيب على ذلك بقوله "إن العلة الأولى التي هي مصدر غيرها من العلل التي حالت بيننا وبين الترقي هي إهمال التربية في الرجال والنساء، فإن استمر ذلك السبب لم يصلح للأمة حال بل يستمر كل أمر على حاله"[1]. فالتعليم أساس كل إصلاح، لأنه "يعين الإصلاح الاجتماعي ويستعين به في آن واحد، فهو يستعين به من حيث إن الإصلاح الاجتماعي منعكس عليه ومؤثر فيه، فهو لا يستطيع منه فكاكاً، وهو يعينه من حيث إنه يعرف الناس به ويبصرهم بالمشكلات التي تصاحبه وبالمطالب التي يقتضيها تحليلاً ونقداً كما يخلق في نفوسهم وعياً واتجاهات لحل هذه المشكلات ومواجهة هذه المطالب ويزودهم بالمهارات والخبرات اللازمة لهذا الحل وتلك المواجهة وبذلك تستمر الخبرات ويحدث التفاعل والنمو والتطور"[2].

وإذا كان الإصلاح مقترن بالتغيير فإن "العلم هو.. العامل الأساسي في عملية التغيير الاجتماعي المتواصلة، فمنهجية عملية التغيير قائمة على منهجية العلم.. فإن ما يترتب على هذه المنهجية العلمية من تغيير دائم ونتائج متجددة ينعكس على الحياة الاجتماعية"[3].

*علاقة الإصلاح الاجتماعي بالتغيير:

ويفرق قاسم أمين بين التغير والتغيير، فيرى أن التغير تلقائي ولا يكون إلا بمرور الزمن، فالحياة تتطور وتتغير دون تدخل الإرادة، أما التغيير فتبرز فيه الإرادة للمغير فهو إرادي يتم بواسطة الناس.

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٢٩.

(٢) شوقي عبد السلام جاد ضيف: فكر إسماعيل محمود القباني التربوي – مرجع سابق، ص٩٤.

(٣) معن زيادة : معالم على طريق تحديث الفكر العربي (عالم المعرفة) مطابع الرسالة – الكويت – يوليو١٩٨٧، ص١٢.

وإذا كان قاسم أمين قد آمن بفكرة الإصلاح الاجتماعي فانه آمن بفكرة التغيير والتطور واعتنقهما كمبدأ من مبادىء التقدم، وقد رأى أنه يجب على المصريين أن يدرسون مساوءهم ومثالبهم حتى يعلموا كيف يتقدمون، فيقول " ليس من العار علينا أننا وجدنا في مثل هذه الحالة، لأن كل عصر لا يسأل إلا عن عمله، وإنما العار أن نظن في أنفسنا الكمال وننكر نقائصنا وندعي أن عوائدنا هي أحسن العوائد في كل زمان ومكان وأن نعاند الحق.. إذ لا يمكن لأمة أن تقوم بإصلاح ما إلا إذا شعرت شعوراً حقيقياً بالحاجة إليه ثم بالوسائل الموصلة له"[1]، وهذه الوسائل هي قانون التغيير الذى آمن به، فيرى "أن الأمم لا تقف في حياتها عند حد، بل هي موضوع للتقلبات والتغيرات، وتتوارد عليها أحوال القوة والضعف والشدة والرخاء، فلا تدوم على حال وإذا عرضت عليها الشدة يوماً لا تلبث أن تخرج منها بجدها واجتهادها، وبديهي أن التوجه إلى الإصلاح والكمال لا يكون إلا بعد الشعور بالنقص، فما لم تستشعر الأمة بتأخرها عن الأمم الأخرى وتقصيرها عن الوصول إلى ما وصل إليه غيرها من غايات الكمال لا تنبعث إلى التقدم ولا تتحرك لإدراك غاية من هذه الغايات، ولذلك كان تنبيه الأمة إلى نقصها وإشعارها بحقيقة منزلتها من بقية الأمم أول فرض يجب القيام به، كما أن شعور الأمة بهذا النقص يعد أول خطوة في سبيل ترقيتها"[2].

فقاسم أمين يرى أن التغير سنن الحياة، وعلى الإنسان أن يساير هذا التغير، فإن الكون يخضع لنظام صارم تحكمه قوانين تطور الإنسان عبر كل العصور، وأن أى ظاهرة يأتي تغييرها عن طريق سبب ونتيجة، لأن "هذه الأمور إنما هي العلل التي أنتجت تلك الحالة، وأن تغييرها لا يكون بالصدفة وإنما هو بتغيير يحدث في تلك

---

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ٣٦.
(2) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٩٥.

العوامل المؤثرة، إذ السبب والمسبب دائماً متلازمان عقلاً وعادة، متى وجد أحدهما وجد الآخر حتماً وهذا نظام المولى سبحانه وتعالى فى العالم كله، فليس فى الكون شىء وجد بلا موجد وسبب واضح أو خفى معروف الآن أو يكشفه المستقبل"[1].

لقد كان يؤمن بأن العالم يتطور من درجة إلى درجة وأن الحياة الإنسانية فى تقدم دائم، كان يرى أن النشؤ والارتقاء يتناول كل مجتمع على ظهر الأرض وأن للحياة غرضاً اسمى هو الذى تتقدم نحوه، وأن الإنسانية تتقدم قليلاً نحو حالة من الكمال،وبعد هذا التأكيد على أن تطور المجتمعات إنما تحكمه قوانين تتطلب تغيير الأسباب والقواعد المحكمة يعود فينبه إلى أن اختفاء قانون التطور فى الظواهر الإنسانية لا يعنى تخلفه فيها لأنه عام، حتى وإن تميزت الظواهر بأسباب لا تجعله واضحاً جلياً كما هو حاله فى ظواهر الطبيعة لأن "هذا القانون الإلهى و إن كان لا يظهر بوضوح تام فى علوم الهيئة الاجتماعية كما هو ظاهر فى العلوم الطبيعية:

أولاً: لأن معارفنا المختصة بالمجتمع الإنسانى هى فى الحقيقة فى أول نشأتها وعلى حداثة عهدها.

ثانياً: لأن الحادثة الاجتماعية لا تتكون من سبب واحد، بل يشترك فى مقدماتها عدة أسباب متنوعة.

ثالثاً : لأنها تظهر دائماً أنها تحت إرادتنا وأن لنا سلطة فى إيجادها وتعديلها.

ولكن من الخطأ الجسيم أن نعتقد أن الجسم الاجتماعى ليس خاضعاً لذلك القانون العام تغيره"[2].

(1) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٢.

(2) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٢.

* ارتباط التغيير بأصول الإسلام:

ويستشهد قاسم أمين على فكرة التغير بآيات من الذكر الحكيم قـائلاً "وآيـة ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسـهم﴾[*]، هـى أساس لذلك القانون، وبها يظهر كيف توافقت شريعتنا مع العلم فى هذه القضية"[1].

ونرى أنه قد حاول أن يوفق بين دعوته الاجتماعيـة وبـين إيمانـه الدينـى، فأدرك أن وراء الروح الإسلامى دافعـاً نحـو التقـدم وأن الله سبحانه وتعـالى قـد أمـر عباده أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يصبحوا صالحين، وهذه الآية التـى استشـهد بـها قاسم أمين تعد شعاراً لفلسفة التقدم، فأراد أن يكون لها إرادة عامة بين أفـراد الأمـة حتى ينتقلوا من حال إلى حال.

وقاسم أمين يدعو إلى التغيـير الـذى يتفـق مـع ديننـا الإسـلامى، ويـرى أن الإسلام نفسه هو الذى يطالبنا بالتغيـير والتقـدم، فيتسـاءل " هـل يلزمنـا أن نعيـش ونحيا، أو نقضى على أنفسنا بأن نموت ونفنى؟ هل علينـا أن نـهتز مكاننـا ونرضـى بما وجدنا عليه آباءنا والناس من حولنا يتسابقون إلى منابع السعادة وموارد الرفاهيـة ومعاهد القوة ويمرون علينا ونحن شـاخصون إليـهم... من الواجـب علينـا أن ننظـر كيف تقدم الناس وتأخرنا؟ كيف تقـووا وضعفنـا؟ كيـف سـعدوا وشـقينا؟ ثـم نرجـع أبصارنا كرة ثانية فى ديننا وما كـان عليـه أسـلافنا الصـالحون ثـم نقتـدى بـهم فـى استماع القول واتباع أحسنه وانتقاد الفعل والأخذ بأفضله ونسـير فـى طريـق السـعادة والارتقاء والقوة مع السائرين ذلك هو الأمر الخطير الذى وجهنا إليه نظرنا"[2].

(*) قرآن كريم : سورة الرعد، آية – ١١.

(١) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٢.

(٢) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٩٣.

ويرد قاسم أمين على الجاحدين الذين رأوا أن الدين سبب الجمود والتخلف، حيث "ذهب جمهور الأوربيين وتبعهم قسم عظيم من نخبة المسلمين إلى أن الدين هو السبب الوحيد في انحطاط المسلمين وتأخرهم عن غيرهم.. فإن كل من عرف هذا الدين من الأجانب فضلاً عن أبنائه المنتسبين إليه، يجل قدره ويحترمه ويعترف أن آثاره الماضية في الأمم التي انتشر بينها برهنت على أنه وسيلة من أفضل الوسائل، وعامل من أقوى العوامل التي تسوق الإنسان في طريق الترقي والتقدم إلى غايات السعادة ولكنهم يرون أن ما يزعمه المسلمون اليوم ديناً وتسميه عامتهم بل وأغلب علمائهم بدين الإسلام قد اشتمل على أمور كثيرة من عقائد وعوائد وآداب موهومة لا علاقة لها بالدين الحقيقي الطاهر وإنما هي بدع ومحدثات ألصقت به، فهذا الخليط الذي سماه الناس ديناً واعتبروه إسلاماً هو المانع من الترقي"[1].

ويؤكد على أن الدين ليس هو سبب تأخر المسلمين قائلاً: وأما نسبة تأخر المسلمين في المدنية إلى الدين الإسلامي فهو خطأ محض. من ذا الذي يقول إن الدين الإسلامي الذي يخاطب العقل ويحث على العمل والسعي يكون هو المانع من ترقي المسلمين؟ وقد برهن المسلمون أن دينهم عامل من أقوى العوامل للترقي في المدنية"[2].

ويقول قاسم أمين أنه" يجب علينا أن نلتفت إلى التمدن الإسلامي القديم ونرجع إليه.. لا لننسخ منه صورة ونحتذي مثال ما كان فيه سواء، بل لكي نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونتدبر في أسباب ارتقاء الأمة الإسلامية وأسباب

---

(1) المرجع السابق، ص١٢١، ١٢٢.

(2) قاسم أمين: المرأة الجديدة- مرجع سابق، ص ١٣٥.

انحطاطها، ونستخلص من ذلك قاعدة يمكننا أن نقيم عليها بناء ننتفع به اليوم وفي ما يستقبل من الزمان"[1].

ومن أجل هذا جاءت دعوة قاسم أمين نابعة من الدين الإسلامي، فالإسلام قد دعا إلى التغيير، ويرى قاسم أمين أنه يجب على كل مسلم أن يدرس التمدن الإسلامي ويقف على ظواهره وخفاياه، لأنه يحتوى على كثير من أصول حالتنا الحاضرة، ويجب عليه أن يعجب به لأنه عمل انتفعت به الإنسانية وكملت ما كان ناقصاً منها في بعض أدوارها ولكن كثيراً من ظواهر هذا التمدن لا يمكن أن يدخل في نظام معيشتنا الاجتماعية الحالية"[2].

*قاسم أمين والتغيير الاجتماعي:

لقد كان طبيعياً أن يؤمن قاسم أمين بالتطور والتقدم كقانون علمي ليس في نطاق الظواهر الطبيعية فقط بل في الظواهر الاجتماعية والخاصة بالحياة الإنسانية ذلك لأن "هذا التغيير والتحول، بل الحركة المستمرة إلى جهة الترقي هي قانون الحياة الإنسانية التي خلقها الله ووهبها أعظم وسائل الارتقاء وبهذا القانون خرج الإنسان من المعيشة البهيمية"[3] ومن ثم أصبح التغيير "شيء حيوى بالنسبة للإنسان .. فالتغير هو الحياة ذاتها"[4].

إن إيمان قاسم أمين بقانون التطور يعد سلاحاً من أسلحة الصراع ضد فكرية الغرب الاستعماري الذي حاول في سبيل السيطرة علينا والاستغلال لنا أن يوهمنا أن قانون التطور والتقدم والارتقاء في المجتمعات إنما مجال صلاحياته وصلاحه هو

---

(1) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٧١.

(2) المرجع السابق، ص١٧٦.

(3) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٣١.

(4) آلفين توفلر : صدمة المستقبل (المتغيرات في عالم الغد)، ترجمة محمد علي ناصف، تقديم أحمد كمال أبو المجد –دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – ١٩٧٤م، ص٥١٣.

المجتمعات الغربية المتقدمة، أما نحن الشرقيين فإننا ومجتمعاتنا خارجون عن ميدان تطبيق هذا القانون، وقد رد قاسم أمين على هذه القضيــة، ورأى "أن تـاريخ تأسـيس الدول فى العالم موضوع تأملات متصلة وهو يؤكـد حقـاً أن النـوع الإنسـانى فـى كـل مكان هو نفسه بأخطائـه ومواطـن ضعفـه وبؤسـه، وأيضـاً بعظمتـه وزهـوه، والقـانون الأبدى الذى يحول أيضاً البشر والأنظمة. ولا تستطيع قوة مقاومة هذا القـانون الـذى لا مهرب منه والذى يحكم حركة التقدم البشرى، والإنسانية تعبر عن نفسها فى كل مكان بنفس الطريقـة وتتبـع نفـس المسـيرة. وقـد بـدأت الشـعوب حياتـها بالحركـة وستنتهى إلى الحرية، غير أنها فيما بـين هـاتين الفـترتين مقضـى عليـها أن تعـانى محنة الاستبداد الذى يبدو أنه ضرورى لاختبارها، ما أسعد الدول التـى يكتـب لهـا بعد هذه المحنة البقاء"(١).

وقاسم أمين لم يكن بذلك يفند ترهات مفكرى الغرب الاستعماريين وحدهم، بل ينقد حجج القوى الوطنية المحلية التـى تعـادى التطـور علـى وهـم أن بالإمكـان إيقاف قانون التغيير عن العمل، والعودة إلى الوراء أو إلى الماضى والحفـاظ علـى بقايـاً آثاره التى تشد المجتمعات الشرقية إلى الوراء وهو فى سبيل الرد على هؤلاء يتسـاءل "إننى بكل حسن نية لا أرى لماذا يقف ماضينـا – كمـا أرى، أو حاضرنـا كمـا يـراه دوق داركور– مهما كان سيئاً، حائلاً بيننـا وبـين التقـدم حسـب قـانون التطـور نحـو الكمال، وهو القانون الذى يسود حركة الكون كله؟"(٢).

فـهو يـرى أن الحيـاة تلزمنـا التغيـير، فالتغيـير أصبـح "ضـرورة للأفـراد والجماعات... وأهم شىء أنهم ينبغى أن يتغيروا من نمط كامل للحياة إلى نمط كـامل،

(١) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص ٢٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٦.

آخر"[1]، علينا أن نسعى نحو التقدم والتطور من خلال هذا القانون" تلك سنة الفطرة. يجوز لنا أن نتخيل أن في إمكاننا الخلاص منها ولا الفرار من قيودها، كذلك لا يكون من الحكمة أن نرجع إلى الوراء أو نوقف تقدمنا إلى الأمام"، "فإذا أردنا أن نصل إلى الغاية التي وجهنا إليها آمالنا فما علينا إلا أن نستسلم إلى حكم السنة الإلهية، ونقبل المتاعب والمشاق التي بدونها لا يمكن الوصول إليها، وإلا كان مثلنا كمثل أب مجنون خاف على ولده إذا مشى أن يسقط على الأرض فمنعه المشي حتى كبر فعاش مقعد مشلول الرجلين"[2].

وقد رأى قاسم أمين أنه لا بديل لهذا القانون، فيتساءل "أليس السير والرغبة الواعية في السير بإخلاص مع معرفة أسباب السير ووجهته هو معيار التقدم"[3]. ولكن "مهما آمنا بأن تطور البشرية نحو الكمال متصل ودائم، فإن هناك حدوداً يجب الوقوف عندها، أو الارتداد إلى الوراء. ومن الصعب أن نسلم بأن لهذه البشرية البائسة مصيراً آخر غير أن تتقدم وتتراجع، إذ يحتمل أن تبقى جميع المشاكل التي ترتبط بمستقبلها فوق قدراتها العملية"[4].

وإذا كان قاسم أمين يرى أن التغيير يكون مصحوباً بالمتاعب، والنقد، فإن "سبب الانتقاد في الحقيقة ليس هو نفس التغيير ولكنه الأحوال التي احتفت به"[5]. "هذه الأحوال تعد ثورة تكون مصحوبة بهزات في المجتمع، وأن لهذه الثورة أنصاراً ودعاة، دعاة القديم والذين يتمسكون بكل قديم وجماعة التجديد والذين يميلون إلى

---

(1) ألفين توفلر: صدمة المستقبل – مرجع سابق،ص٣٨٩.
(2) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق،ص ص ٧٢، ٧٣.
(3) قاسم أمين: الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص٢٤٣.
(4) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(5) قاسم أمين: تحرير المرأة،مرجع سابق،ص٤٠.

كل جديد. ومن هنا ينشأ الصراع بين القديم والجديد[1]. "ولو انتظر المصلحون دائماً إلى رضا الرأى العام لما تغير العالم عما كان عليه من زمن آدم وحواء"[2].

إن إيمان قاسم أمين بضرورة الإصلاح الاجتماعى جعله يرى أن هذا الإصلاح لا يأتى إلا بالتغيير فى الظواهر الاجتماعية فتغيير الواقع الاجتماعى هو الذى يحدث التغيير الحقيقى فى تلك المجتمعات. فالإنسان لا يمكن أن يقدم على هذا التغيير ما لم يتغير هو أولاً، تغيير يشمل تصوراته وعلاقاته وقيمه وغاياته وعاداته. ومن الخطأ ما يتوهمه الكثير منا من أن الترقى يحصل فى بعض شئون الأمة، ولا يؤثر فى سائرها، والصواب أن الترقى لا يكون ترقياً صحيحاً إلا إذا وجد منه روح تظهر فى جميع شئون الأمة، جزئيها وكلياتها، حتى إذا شاء باحث أن يحلل جملته وجدها مركبة من جزئيات من الترقى تظهر فى المسكن والمطعم والملبس والمبانى والطرق والجمعيات والأفراح والمآتم وأساليب التعليم والتربية والتياترات والملاهى، كما تظهر فى الصنائع والتجارة والزراعة والعلوم والفنون، وعلى الجملة يجد أثراً للترقى فى جميع مظاهر حياتها العقلية والأدبية"[3].

والتغيير فى مفهوم قاسم أمين لا يكون عشوائياً أو ارتجالياً ولكنه جزء من الطبيعة حيث إن "حالة الأمة فى السعادة والشقاء أو التقدم والتأخر ليست حالة توجد أو تغيير بحكم الصدفة بل إنها نتيجة لازمة لا تتغير إلا إذا تغير ما بنفس تلك الأمة، فإن كانت أمة نشيطة متربية كان لها الحظ فى الدنيا، وإن كانت كسولة جاهلة ذات أخلاق رديئة كان لها الشقاء فيها"[4].

---

(1) محى الدين صابر: التغير الحضارى وتنمية المجتمع – القاهرة – دار المعارف – ١٩٦٢، ص٨٥.

(2) قاسم أمين: كلمات–مرجع سابق، ص ص٢١٤، ٢١٥

(3) قاسم :المرأة الجديدة– مرجع سابق، ص٢٠٦، ٢٠٧.

(4) قاسم أمين : أسباب ونتائج– مرجع سابق، ص، ٣ .

فقاسم أمين يـرى أن التغيـير غـير مجـد إلا بالتربيـة "ذلـك لأن كـل حـال اجتماعية لا يمكن تغييرها إلا إذا وجهت التربيـة نحـو التغيـير المطلـوب، ولأنـه لا يكفى فى الإصلاح مهما كان موضوعه؛ مجرد الحاجة إليه، ولا أمر تصدره الحكومـة بحمل الناس عليه، ولا خطبة تلقى على مسامعهم لترغيبـهم فيـه، ولا كتـب تؤلـف فى بيان منافعه ولا مقالات تنشر لشرح مزاياه؛ فإن هذه الأمـور كلـها لا أثـر لهـا إلا فى إرشاد الأمة وتنبيها إلى سوء حالها، ولكنها ليست من الوسائل التـى تغير الأمـم وتحولها من حال إلى حال لأن كل تغيير فى الأمم إنما يكون نتيجة لمجموعة فضائل وصفات وأخلاق وعادات لا تتولد فى النفوس ولا تتمكن منها بالتربية"[1].

تلـك كـانت درجـة إيمـان قاسـم أمـين بأهميـة القـاعدة الماديـة للظـاهرة الاجتماعية وكيـف أن تغييرهـا هـو السـبيل الحقيقـى لإحـداث التغـيرات الحقيقيـة والتطورات ذات القيمة التى يسعى الإنسان لإنجازها كى يتطور بمجتمعه وواقعـه إلى الأمام ويحقق مستقبله، ومن ثم تصبح التربية لها دور عظيم فى مواجهة هـذا التغـير والتقدم.

*التغيير التدريجي:

ولما كان قاسم أمين يؤمن بقانون التغيير، فإنه لا يؤمـن بالتغيـير المفـاجىء، والذى يأتى عن طريق الطفرة، وإنما آمن بالتغيير التدريجى رافضاً الطفرة، فـيرى أن قانون التطور .. لا يعمل أبداً عن طريق القفزات"[2] وإنمـا يعمـل عـن طريـق التغيـير التدريجى البطىء حيث إنه "قد جرت سنة الله فى خلقه بأن الانتقـال مـن طـور إلى طور لا يكون دفعة واحدة وإنما يحصل بضروب من التغيـير ربمـا لا يحـس بـها مـن كانوا موضوعاً لها، فكثيراً ما يظن الناس استحالة انتقالهم عـن حالـة مـن الحـالات

---

(1) قاسم :المرأة الجديدة- مرجع سابق، ص٢١٤، ٢١٥.
(2) قاسم أمين : الأعمال الكاملة جـ١ – مرجع سابق، ٣٣٥.

مع أنهم سائرون عنها منتقلون إلى غيرها متحولون إلى أردأ أو أحسن منها. وهم لا يشعرون حتى إذا انتهت الحركة إلى غايتها ظهر لهم أنهم صاروا إلى الطور الذى كانوا من قبل ينكرون"[1].

إن قاسم أمين يرى أن التغيير يكون دائماً أفضل من الطفرة، لأن من المعروف أن التغيير يقتضينا ثمناً... وأنه كلما كان التغيير عميقاً ارتفع الثمن"[2]. ومن ثم كان التغيير التدريجى أفضل. صحيح يكون بطيئاً ولكنه يصل فى نهاية الأمر إلى تحقيق أهدافه. فكلما أن الطفل يحبو قبل أن يمشى، ويتعلم المشي بالتدريج فيمسك الحائط ويستند على يد مرضعته، ثم متى تعلم المشى وحده لا يحسنه إلا بعد تمرين يدوم مدة أشهر يقع فى خلالها مرات كثيرة، كذلك الإنسانية فى سيرها الأدبى لا تنتقل من حال إلى حال أحسن منها إلا بالتدريج وبعد تمرين طويل يعرض لها فيه كثير من التخبط والاختلال والتجارب المؤلمة حتى تستقيم فى سيرها"[3].

فالتغيير له قواعد وقوانين، يجب مراعاتها، ويرى قاسم أمين أن "المتأمل إذا تروى فى الأمور يجد أن لسير الإنسانية قوانين خاصة يجب مراعاة أحامها فى نمو الحياة واستكمال قواها، سواء فى الأمر أو فى الاجتماع، وأن كل مخالفة لهذه القوانين لها أثر سيىء وضرر عظيم يلحق الفرد أو الهيئة الاجتماعية"[4].

---

(1) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص٢١٤، ٢١٥.

(2) آلفين توفلر : صدمة المستقبل – مرجع سابق، ص٣٥٠.

(3) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص٧٢.

(4) المرجع السابق، ص١٥٤.

* تحليل قضايا المجتمع وعلاجها:

وطبقا لمفهوم التغيير فـى فكـر قاسـم أمـين وأهميتـه، فإنـه قـد أولى اهتماماً بتحليل قضايا المجتمع المصرى ونقد الأوضاع السائدة فيه ودعـا إلى تغييرهـا والعمـل على علاجها والتحرر منها، ومن هذه القضايا:

(أ) العادات:

فقد كان يضيق ذرعاً بمن يتقيد بالتقاليد والعادات، فالذين يذهبون إلى فكرة التقدم أو التطور، والذين يعلمون يعملون على إصلاح الجماعة التى هم فيها يحاولون دائماً أن يتحللوا من العادات الخبيثة التى تحول دون التقدم، فيقول "من الغفلة بـل من أسباب الشقاء أن تكون شؤوننا فـى حياتنـا قائمـة بعوائـد لا نفـهم أسـبابها، ولا ندرك آثارها فى أحوالنا بل نتمسك بها لأنها جاءت إلينا ممن سلفنا، وورثناها عمـن تقدمنا، وذلك كل ما فيها من الحس عندنا، مـع أن هـذا وحـده لا يكفـى لأن يكـون سبباً فى الأخذ بها، ولا من الثبات عليها، بل يجب أن نفهم أن لنا مصـالح، ولمـن سبقنا مصالح، ولنا شؤون، ولهم شؤون، ولنـا حاجـات لم تكـن لهـم، وكـانت لهـم حاجات ليست لنا اليوم"فعلينا أن نأخذ من العوائد، وأن نكسب مـن الأخـلاق، مـا يلتئم مع مصالحنا، فنكون مالكين لمصادر أعمالنا كما يطلـب منـا العقـل والشـرع، لا أن نكون عبيداً لعاداتنا التى وجدنا عليها آباءنا، فيكون مثلنا مثل رجل وجد لباسـه ضيقاً فرأى أن يجوع ليهزل ويضعف وينحل حتى يصغر جسمه فيسـعه لباسـه لا أن يصلح لباسه بتوسعته حتى يتفق مع جسمه"[1].

وقاسـم أمين يرى أن العادات والتقاليد من الأمور التى يتمسك بها المجتمع، مع أن أغلبها قديم وبالى، فالعادات والتقاليد ما هى إلا "قيود فرضت على جيل مـن

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٨٢.

جيل سابق له وحتم عليه أن يفعلها وألا يخالفها. ومن هذه التقاليد ما هو محمود قد يواكب الدين أحياناً، ومنها ما هو مخالف الدين"[1]

ولما كان قاسم أمين يؤمن بقانون التغيير. فإنه من المسلم به أن هـذا التغيـير يشمل جميع شؤون الحياة. فلماذا يتمسك الناس بكل ما هـو غـير نـافع وضـار؟ "لم يعتقد المسلم أن عوائده لا تتغير ولا تتبدل. وأنه يلزمه أن يحافظ علها إلى الأبـد؟ ولم يجر على هذا الاعتقاد في عمله مع أنه هو وعوائـده جـزء مـن الكـون الواقـع تحـت حكم التغيير والتبديل في كل آن؟ أيقدر المسلم على مخالفة سـنة الله فـي خلقـه؟ إذ جعل التغيير شرط الحياة والتقدم والوقفة والجمود مقترنيين بالموت والتأخر؟ أليسـت العادة عبارة عن اصطلاح الأمة على سلوك طريـق خاصـة فـي معيشـتهم ومعاملاتـهم حسبما يناسب الزمان والمكان؟ من ذا الذي يمكنه أن يتصور أن العوائد لا تتغير بعـد أن يعلم أنها ثمرة مـن ثمـرات عقـل الإنسـان وأن عقـل الإنسـان يختلـف بـاختلاف الأماكن والأزمان؟"[2]. كما "أن لكل أمة في كل مدة من الزمن عوائد وآداباً خاصة بها موافقة لحالتها العقلية، وأن تلك العوائد والآداب تتغـير دائمـاً تغيراً غـير محسـوس تحت سلطان الإقليم والوراثـة والمخالطـات والاختراعـات العلميـة والمذاهـب الأدبيـة والعقائد الدينية والنظامات السياسية ..وأن كل حركة من حركات العقل نحو التقـدم يتبعها حتماً أثر يناسبها في العادات والآداب؟"[3].

فالعادات والتقاليد كما يراها قاسم أمين تخضع لقانون التغيـير، وخاصـة أن لكل عصر سماته، وأنه لا يمكن أن يتصـور أحـد أن العـادات التـي هـي عبـارة عـن طريق سلوك الإنسان في نفسه ومع عائلتـه ومواطنيـه وأبنـاء جنسـه تكـون فـي أمـة ،

---

(1) عاطف إبراهيم عبد الله: التقاليد والدين – المجلة العربية – العدد ١٣٦ السنة ١٢ – المملكة العربية السعودية – ديسمبر سنة ١٩٨٨م، ص١٢٠.

(2) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٣١، ٣٢.

(3) المرجع السابق، ص٣٢.

جاهلة أو متوحشة مثلما تكون فى أمة متمدنة. لأن سلوك كل فرد منـــها إنمـا يكـون على ما يناسب مداركه ودرجة تربيته"[1].

فالتربية لها دور عظيم فى تغيــير عـادات المجتمـع وتقليـده. ولا سـيما إذا كانت تلك العادات والتقاليد منافية للدين. ومن ثم تصبح التربيـة ضـرورة اجتماعيـة لمواجهة قضايا المجتمع والعمل على إصلاحه وتقدمه. ولا حـول للأمـة عـن طاعتـها إلا إذا تحولت نفوس الأمة وارتفعت أو انحطت عن درجتها فى العقل. ولهـذا نـرى أنها تتغلب دائماً على غيرها من العوامل والمؤثرات حتى على الشرائع، ويؤيـد ذلـك ما نشاهده كل يوم فى بلادنا من أن القوانين واللوائح التى توضع لإصلاح حال الأمـة تنقلب فى الحال إلى آله جديدة للفساد"[2].

وصفوة القول إن قاسم أمين يرى أن التمسك بالعادات القديمة والبعيـدة عـن مصالحنا هو سبب انحطاط المجتمع، فعلى التربية مواجهـة هـذه العـادات السـيئة، صحيح أن بعض العادات قد يكون مفيدا فيجب تنقية هذا التراث من الشوائب التـى تشوبه، ومن ثم فإن " الماضى لا يصـح أن يطـرح جملـة، ولكـن يجـب أن ينظـر فيـه بالتبصر والرؤية لمعرفة ما أظهر من منافع ومضـار"[3]. فيتسـاءل قاسـم أمـين "لا أرى أعجب من حالنا! هل نعيش للماضى أو للمسـتقبل؟ هـل نريـد أن نتقـدم أو نريـد أن نتأخر؟ نرى العالم فى تقلب مستمر وشؤونه فى تغير دائم ونحن ننظر إلى ما يقع فيه من تبدل الأحوال بعين شاخصة وفكرة حائرة ونفس ذاهلة لا ندرى ماذا نصنـع، ثـم ننهزم إلى الماضى نلتمس فيه مخلصاً منه عوناً فنرتد دائماً خائبين"[4].

---

(1) المرجع السابق، ص ص٣٢، ٣٣.
(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٣٣.
(3) المرجع السابق:ص١٨٢.
(4) المرجع السابق:، ص١٨٢، ١٨٣.

ومن هنا كانت دعوة قاسم أمين موجهة إلى إصلاح المجتمع عن طريق التخلص من العادات والتقاليد القديمة البالية. والتى ورثناها منذ القدم، تلك العادات تتمثل فى كل سلوك الإنسان وتصرفاته، فتقف حائلاً بين المجتمع وتقدمه،ولذا يجب على التربية مواجهة ذلك. وخاصة أن قانون التغيير هو قانون الحياة،وأن الإنسان خاضع لهذا التغيير.

(٢) إحساس الاحترام:

وينتقل قاسم أمين إلى قضية أخرى من قضايا المجتمع، فيتناولها بالدراسة والنقد فيكتب فى مقالاته التى نشرها فى المؤيد تحت عنوان أسباب ونتائج عن "إحساس الاحترام" قائلا" إحساس الاحترام هو محل التربية، وكلما كان نامياً فى أمة كانت تربيتها جيدة، وإذا كان فقدانه إنذاراً بانحلال جامعتها وسقوط أبهتها وعظمتها"[١]. كما "إن أهم شيء يحفظ الأمم ويزيد فى رفعة شأنها هو احترام جملة أمورها الجوهرية الأساسية، مثل الدين والوطن والسلطة العمومية والعائلة والعلم والفضيلة، وكل عمل شريف أو جميل أو نافع"[٢].

وقاسم أمين يضع عامل الاحترام موضع الأهمية، فعليه تتوقف رفعة الأمة وتقدمها، ويرى أن المصريين ينقصهم مبدأ الاحترام، فيخاطب فى الناس قائلاً "معاشر المصريين ويا للأسف! لا نحترم وطننا،ولا نعرفه وكثيراً ما نتكلم عنه بالاستخفاف والاحتكار. وفاتنا أن كل عيب منسوب له فى الحقيقة لنا"[٣].

ثم ينتقل من احترام الوطن إلى احترام العائلة ويرى أن "العائلة يلزم أن يكون أساسها الاحترام، ونحن مع الأسف نرى الروابط العائلية عندنا قلما تكون

---

(١) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٥٤، ٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥٥.

(٣) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ٥٥.

محترمة، وكثيرا ما يتغلب عليها هوى النفس. فليس بالنادر أن يتزوج الرجل امرأة وتلد له أولادا ثم يتركها وأولادها ويتزوج سواها"[1].

كما يرى أن انتشار ظاهرة تعدد الزوجات والطلاق من الأمور التى تهدم العائلة[2]. ويرى أن أقبح شيء شائن فى أخلاقنا هو اعتياد الأزواج على الحلف بالطلاق كلما نوقشوا فى شيء، حتى فيما لا علاقة له بالزوجية على الإطلاق.. وهو ما ينبغى أن يستدعى التفاف الحكومة والعائلة معا إلى هذا الأمر المهم الذى له أعظم مساس بالهيئة الاجتماعية"[3].

ثم يوجه قاسم أمين اللوم إلى العائلة، لأنها أساس كل شيء، فالاحترام منبعه البيت، فيجب على "الآباء أن يحترموا أنفسهم أمام أولادهم ليأخذ هؤلاء عنهم مثل المحبة والصفاء حتى تتربى نفوس الناشئين على ملكة الاحترام وتصبح العائلة كما يجب أن تكون لا كما هى الآن: ميدان يتخاصم فيه الأهل ويتشاتمون، وقد يتضاربون ويفترقون"[4].

كما يدعو إلى احترام العلم والعلماء، لأن المصريين مجردون عن هذه الملكة على حد قوله "ونحن كذلك مجردون عن إحساس الاحترام للعلم والفضيلة ولذلك لا نميز فى المعاملات بين صاحب الفضيلة وصاحب الرذيلة، بل فى بعض الأحيان قد يكون احترامنا للثانى أكثر من الأول"[5]، وهذا مما يشاهد الآن احترام البعض لذوى النفوس المادية واحتقارهم أصحاب العلم والفضيلة وهذا ما أكده قاسم أمين، ولكن

---

(1) المرجع السابق،ص٥٧.
(2) انظر البحث : الفصل السادس، ص٢٢٥.
(3) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٥٨.
(4) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(5) المرجع السابق، نفس الصفحة.

"المدنية الصحيحة تعتبر أكبر مكافأة لمن عمل عملاً صالحاً أن يحترمه الناس، وأكبر عقوبة لمن يعمل العمل الخبيث أن يحتقروه"[1].

كما يرى قاسم أمين أن الاحترام يجب أن يسود بين العلم والمتعلم. بين الكبير والصغير. ولكن " لا نريد أن نعترف لأحد منا بالفضل. نرى شيوخنا يحتقرون الشبان ولا يثقون بمعارفهم وأعمالهم. ونرى شبابنا يهزؤون بالشيوخ ولا يثقون بتجاربهم فيرمونهم بالجهل ويحسدونهم على وظائفهم – إن كانوا من أصحابها – ويزاحمونهم بالأقوال والأعمال ولا يتأخرون عن أن يتسوروا أكتافهم ليخرقوا الصفوف بغية الاستيلاء على مراكزهم"[2].

(٣) العامل الاقتصادى:

ومن القضايا التى ناقشها قاسم أمين وكتب عنها "العامل الاقتصادى "حيث أبرز دوره فى تقدم المجتمع والنهوض به والعمل على إصلاحه، فقد رأى أن المجتمع المصرى يعانى من الفقر، حيث "إن مصر بلدة فقيرة جداً، نصف أهلها، وهم الفلاحون، يعيشون بالشيء التافه الذى يقى الحى من الموت جوعاً، والنصف الآخر ينقسم إلى قسمين:

الأول: يشمل التجار والصناع، وهؤلاء ليس فيهم شخص واحد يقال عنه إنه مالى مليّ.

والآخر: يحتوى على الموظفين وأرباب المعاشات،وهم الطبقة المتظاهرة بحالة اليسار نوعاً ما فى معيشتهم، ولكن أغلبهم أن أحيل بينه وبين مرتب المعاش شهراً

---

(١) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٥٩.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

واحداً وقعوا في العسرة والضنك الشديد"[1]. وإذا كـان هـذا هـو حـال المجتمـع فماذا يجب على أبنائه؟.

ويرى قاسم أمين أن كل مجتمع يتأثر بحالتـه الاقتصاديـة وأن "البلـد التـى يكون أهلها فقراء مثلنا لا يمكنها، ما دام فقرها، أن تؤمل خـيراً فـى المسـتقبل. لأن حياة كل مملكة مرتبطة بماليتها، إذ بالمال يتم كل شيء، وبغـير المـال لا يتـم شـيء مطلقاً. كما أن المملكة لا تكـون غنيـة إلا إذا كـان أهلـها أغنيـاء، ولذلـك قـال أحـد السواس المشهورين: اعطني مالية حسنة أعطيك سياسة حسنة"[2].

فقاسم أمين يضع "عامل الاقتصاد" في مقدمة العوامل الاجتماعية، فقد قـدم المعيشة الاقتصادية على عوامل التربية والعادات.. وقد ربط بين الاقتصاد والسياسـة، كما بين علاقة الاقتصاد بالتربية. وبمعنى آخر، فإذا كـان المجتمـع يتمتـع باقتصـاد قوى فإنه يتمتع بمصادر القوة في شتى المجالات، "لأن أهم عامل له أثر فـى حالـة الأمة هي حالتها الاقتصادية"[3].

فإذا انتقل للحديث عن المرأة نجده يبرز دور العـامل الاقتصـادى فـى حيـاة المرأة وأثره على أوضاعها، فالعامل الاقتصادى يؤثر سلبا وإيجابـا علـى سلوك المـرأة "وأننا لو بحثنا عن السبب الذى قد يحمل تلك المرأة المسكينة التـى تبـذل نفسـها، فى ظلام الليل لأول طالب – وما أكبر هذه المذلة على المرأة – لوجدناه فـى الأغلـب شدة الحاجة إلى ذهيد من الذهب والفضة – وقلما كان البـاعث علـى ذلـك الميـل إلى تحصيل اللذة"[4].

---

(1) المرجع السابق، ص٤.

(2) المرجع السابق، ص٥.

(3) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص٩٨.

(4) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٤٥.

وإذا كانت العلاقة بين ظاهرة تعدد الزوجات والوضع الاقتصادى ذات تأثير واضح فإن قاسم أمين يرى أن هـذا التأثير نتيجة لتفشى الجهل، والتخلف بين طبقات الشعب، فيقول عن حالات تعدد الزوجات وعلاقتها بالوضع الاقتصادى فالفلاح متمسك بالزوجة الواحدة، بشكل جذرى، وسبب هذا أنه يكسب ما يكاد ينقذه من الموت جوعا، أما فى المدن فقد بقى بعض رجال النظام القديم المتزوجين بأكثر من واحدة[1]، فالتعدد لا ينتشر فى الأوساط الريفية الفقيرة، وإنما منتشر عادة بين الطبقات الثرية التى ورثت الثروة والجهل والتخلف والبحث عن اللذة. فللتعدد وجودا وعدما، قلة وكثرة، علاقة وثيقة بالوضع الاقتصادى والوضع الثقافى لكل طبقة من الطبقات أو فئة من الفئات، كذلك ظاهرة الطلاق تتأثر بالعامل الاقتصادى وبالتربية.

(٤) الكسل:

ويتطرق قاسم أمين إلى قضية اجتماعية أخرى كانت منتشرة فى المجتمع المصرى، وهى ظاهرة "الكسل" وقد كتب عنها قائلا " وعيبنا الكبير.. هو الكسل، نحن كسالى فى أعمالنا وفى أقوالنا وفى أفكارنا وفى رياضتنا. نحن كسالى فى جميع أطوار الحياة ومظاهرها. نحن كسالى فى الهزل، وكسالى أمام المصائب وأمام الأفراح وتلقاء النافع وإزاء الضار"[2]. ثم يستطرد قائلا "انظر فى تاريخ حياة كل فرد تجده مملوا بالأكل والشرب والنوم وورواية القصص القديمة والنوادر المضحكة والتنكيت والضحك الصناعى والأقوال الفارغة"[3].

---

(١) قاسم أمين : الأعمال الكاملة ـ جـ١ ـ مرجع سابق، ص٢٨٨.

(٢) قاسم أمين: أسباب ونتائج ـ مرجع سابق، ص٥٠، ٥١.

(٣) قاسم أمين : أسباب ونتائج ـ مرجع سابق، ص٥١.

ويهاجم قاسم أمين ظاهرة الكسل والزهد والتوكل التى تسود المجتمع، ويعلل انتشار هذه القيم المناهضة بسيادة الاستبداد السياسى الذى قهر ملكات الناس وكرّه إليهم انتشار استثمار طاقاتهم عندما أيقنوا أن المستبدين هم الذين يجنون ثمار الطموح والاجتهاد وساعد الاستبداد فى ذلك أيضاً سوء التربية عند المصريين، وانتشار الفكر الضار والمعوق لتطور المجتمعات المصرية ولذلك يرجع سوء حالة المصرى إلى أمرين الأول: سوء معاملة الحكومات السابقة له، فإنها بغدرها وظلمها أضاعت الأمانة والثقة اللتين بدونهما لا تظهر الابتكارات الشخصية ففقد المصريون بذلك ملكة الإقدام على العمل، والمخاطرة فى الشغل. والثانى: تربيته، فإن عدم تشغيل الجسم وتحريك الأعضاء والجلوس ساعات، بل وأياماً، على المقاعد والمراتب والمصاطب، وعدم التعود على استعمال وظفيه المخ، وترك النظر فى الأشياء، مع شدة التمسك بالأقوال والأمثال المثبطة للهمم المميتة للعزائم، وتكرار سماع القصص والأحاديث التى وضعت فى الأصل لتسلية الفقير وإزالة الأحزان عن الضعفاء قليلى الحلول والحيلة، ولكن غشيتنا جهالتنا وألفيناها قد اتفقت مع كسلنا وخمولنا فنشرناها وروجناها.. حتى تشربت أرواحنا وعقولنا"[1].

ومن أجل ذلك دعا قاسم أمين إلى العمل وهاجم ظاهرة التواكل والتطفل المنتشرة فى المجتمع المصرى، وقد رأى أنه "يجب على كل فرد من أفراد أى أمة أن يكد فى طريقة تضمن له معيشته، وإن لم يكن بعمل يعود نفعه على الهيئة الاجتماعية فعلى الأقل لا يعود منه ضرر عليها، لأن معيشة الإنسان هو فى مقدمة

---

(١) المرجع السابق،ص١٣، ١٤.

كل احتياجاته"[1]. ومن ثم "فعلى كل نفس بعملها، ولا يباح لها مطلقاً أن تكون عالة على غيرها"[2].

وقاسم أمين يفرق بين الإحسان والتطفل (التسول)، يفرق بين الصدقة ومساعدة ذوى القربى والمساكين وبين تفشى ظاهرة التواكل، ولذلك يقول "أنا لا أجهل أن الإنسان، وخصوصاً على القريب. حقوقاً مقدسة، وأن مساعدة ذوى القربى واجب ديني واجتماعي، ولكن ليس من الواجب بل ولا من البر مساعدة الكسلان والتشجيع على البطالة، إنما البر عند الاحتياج الحقيقى، وهو يكون إذا وجد المانع من الاحتراف والتكسب"كما أن " مساعدة الشخص القادر على العمل فيجوز أن تكون وقتية لعذر طارىء، ويجوز أن تكون لتحسين حالة شخص يكسب قليلاً، ولكن من العبث أن يقوم شخص بجميع حاجات شخص آخر، ومن العار على هذا أن يقبل مثل هذه المعيشة وأن لا يرضى بحال كل حرفة مهما كانت منحطة فى أعين الناس فلا يمكن أن تكون أحق منها.. ولهذا أتمنى قبل كل شيء أن أرى يوماً جميع أهل بلادى مستقلين فى معيشتهم يعيش كل فرد منهم بنفسه"[3].

فهو ينعى على المصريين كسلهم وتبطلهم ويرى أن "أجزل وصية نطق بها الإنسان للإنسان (**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**) ونحن نقتصر على الوصية الذهبية الأولى، لأن المصريين أصبحوا فى خمود أشبه بالموت، فهم الآن أعوز إلى التذكير بالحياة منهم بالموت"[4].

---

(1) المرجع السابق، ص٧.

(2) المرجع السابق، ص٧، ٨.

(3) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص١٠.

(4) المرجع السابق، ص ١١،١٠.

ويدعو قاسم أمين إلى العمل المثمر، لتحسين مستوى معيشة الأفراد قائلاً "من البديهى أن الإنسان لا يشتغل ليعيش فقط عيشة الكفاف، لأنه لو كان هذا داعى الفطرة البشرية لما كان التنافس فى المزيد، فعلى الإنسان أن يسعى لتحسين حالته المادية والأدبية، فإن كان يكسب فى اليوم قرشين فعليه أن يجتهد فى توصيلهما إلى خمسة ثم إلى عشرة وهكذا، أما المحافظة على حالة معيشة دنيئة فذلك أمر لا يرضاه إلا قليل العقل قليل الشعور بمزية الحياة الطيبة، إن لم يكن عديمه بالمرة" "ومن الأسف أننا قد وصلنا بالخمول الذى حافظنا عليه فى المعيشة إلى حدود السكون فالموت"[1].

وإذا كان قاسم أمين يدعو إلى العمل والكسب وجمع المال، فإنه لا يدعو إلى جمع المال حبا فيه، "فليس الغرض من تحسين الحال، على هذه الطريقة، أن يجمع الإنسان المال حبا فى المال، بل المراد أن يكون عند كل واحد طموح شريف إلى العلاء ولا يكون له ذلك إلا إذا سعى فى استزادة موارد كسبه، ليتسنى له أن يحسن غذاءه وملبسه ومسكنه، وأن يستعمل ما يزيد بعد ذلك عن حاجاته المادية فى ترقية عقله وتربية أولاده بالرياضة والتعليم والسباحة وأن يأتى من الأفعال النافعة لهيئة المجتمع ما يغبط غيره على فعله"[2].

وإذا كانت دعوة قاسم أمين هادفة لتحسين الأوضاع الاجتماعية فى المجتمع المصرى، فإنه كان على حق فيما ذهب إليه، وخاصة أن المجتمع المصرى آنذاك – فى فترة الاحتلال الإنجليزى – يعانى من الفاقة والجوع، وقد صور قاسم أمين حالة المصريين فى تلك الفترة وما حل بهم من سوء حالتهم الاقتصادية والاجتماعية، حيث كانت توجد فئة عظيمة من المصريين بين شاك ومشكو من هذا

---

(1) المرجع السابق، ص١١.

(2) المرجع السابق، ص١٢.

الحال، فليس عندهم طموح. فالمصرى يحب أن تمطره السماء ذهباً وأن تنبته الأرض فضة، يجب أن يكون أغنى الناس على شرط أن لا يتعب جسمه ولا يجهد فكره[1].

(٥) الوظيفة:

ويناقش قاسم أمين العمل الحكومى "الوظيفة" ويعيب على الناس تمسكهم بالوظائف ويدعوهم إلى العمل الحر، فيقول" ونحن لا نزال .. متعلقين بأهداب خدمة الحكومة معتبرين أنها أشرف مطمح .. قد صار من المستحيل اليوم أن يصل الإنسان من طريق الحكومة لا إلى الثروة حيث الأمر واضح جلى لا يحتاج إلى دليل، بل إلى درجة من اليسر الذى بدونه لا يمكن لإنسان فى وقتنا الحاضر أن يقوم بجميع حاجاته"[2].

ففى مواجهة القيم التى تمجد التبطل والكسل والراحة يبشر قاسم أمين بالعمل المنتج وذلك من خلال فقده للعمل الحكومى وتمسك الناس بالوظائف وخاصة بعد أن رأى أن "الشرف والمجد لا يصادفان فى طائفة الموظفين إلا بنسبة قليلة جداً، وأن كل إنسان قادر على أن يرقى نفسه وأن يعلو أكبر ملك فى الدنيا بفضيلته وعمله"[3].

وقاسم أمين يوجه نقده إلى المجتمع، ويعيب عليه ضعف طبقة البورجوازية التجارية والصناعية فيه، ويسفه من الهالات التى يحيط بها هذا المجتمع فئة الموظفين، وخاصة بعد أن رأى هذه الفئة وما أصابها من الدسائس والتزييف الوطنى لدى الأسرة الحاكمة، كما أنهم بلا سند اقتصادى يضمن لهم لقمة العيش إذا

---

(١) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٦.

(٣) المرجع السابق، ص٨.

تأخرت عنهم المرتبات، ويتساءل "لو أن الحكومة قررت أن لا تأخذ من الآن موظفاً مصرياً فهل يموت المصريون جوعاً"[1].

وكأن قاسم أمين تنبأ بمستقبل الأمة وما سوف تعانيه الحكومة من تكدس الموظفين داخل المصالح الحكومية وانتشار البطالة المقنعة داخل أجهزة الدولة، فجاءت دعوته وكأنها دعوة مستقبلية توافق مصالحنا وتدعو إلى عدم التهافت على العمل الحكومي والالتفات إلى الأعمال الحرة مثل التجارة، لأنه" لو قارن بين أى إنسان لم يعمه الجهل بين هؤلاء التجار الذين دخلوا فى ميدان الحياة وألقوا بأنفسهم فى معامع الكفاح والتنازع حتى خرجوا منها فائزين، وبين أولئك الذين منبع ثروتهم فى الأغلب العطايا والمنح التى كانت تمطر عليهم بسبب كلمة وافقت المزاج أو لسبب خدمة خصوصية"[2]. لوجد أن الفرق واضح بين الفئتين، فالحياة تحتاج إلى العمل الحر فى عصر تكدست المصالح الحكومية بالموظفين، كما يرى قاسم أمين أنه "قد صار من المستحيل اليوم أن يصل الإنسان من طريق الحكومة إلى درجة من اليسر الذى بدونه لا يمكن الإنسان فى وقتنا الحاضر أن يقوم بجميع حاجاته"[3]، ويوضح ذلك بمثال قائلاً "خرج الشاب من مدرسة الطب وفى يده شهادته، فإذا أراد أن يستخدم فى الحكومة عينته حكيماً لأحد المراكز، ولكن بعد انتظار سنة على الأقل، بمرتب متوسطه سبعة جنيهات، ثم إن كان له حظ بعد ذلك .. ترقى كل ثلاث سنوات مرة بإضافة جنيه أو جنيهين على مرتبه، فإذا وصل مرتبة بعد عشرين سنة إلى عشرين جنيهاً مثلاً كان محسوداً من جميع أقرانه،ولا يختلف مستقبله عن مثل ذلك إن كان مهندساً أو متشرعا أو كاتباً أو معاوناً...وهذا

---

(1) المرجع السابق،ص٩.

(2) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص١٥.

(3) المرجع السابق، ص١٦.

إذا استمر فى وظيفته كل هذه المدة ولم يرفت بالاستغناء أو مجلس التأديب. أما إذا رفت. ولم يكن له معاش. أو كان له معاش قليل. فحسبك أن تراه بعد ذلك تعيس الحظ فى حيرة لا يدرى معها ماذا يصنع بعد أن نشأ وشب مطبوعاً .. على الحكومة، وبعد أن قضى أحسن وقت فى عمره بدون مجاهدة نفس وتفكر وبلا شغل يذكر، "ثم يضيف توضيحاً لما ذكره" لو فرضنا الآن أن الشاب اعتاد من أول نشأته على أن يتوكل على الله ثم على اشتغاله وكده، وسارت معه وظائف فكره وأعضائه تنمو بدوام الشغل والعمل، وطار بأجنحة آماله فى الدنيا، ذاق حلاوة الكسب من عرق جبينه، فلا تراه بعد تعب عشرين سنة، كالتى قضاها ذلك الموظف، إلا ذا ثروة عظيمة ما لم يكن خلقه الله مجرداً من كل استعداد طبيعى"[1].

ولم يشر قاسم أمين إلى العمل فحسب وإنما يخاطب فى الناس أن يبتعدوا عن الوظائف البراقة، فيقول "وأنا أخاطب اليوم كل أب لابن وأسأله: ماذا يقصد من تعليم ابنه؟ فإذا قال: إنه يريد أن يهيئه لخدمة الحكومة فقط، لينال الشرف والرتب والوسامات مثله، فليس لى معه كلام! وأما إذا كان ممن يحسبون أن خدمة الحكومة هى الطريق الذى يضمن مستقبل ولده فليعلم انه مخطىء خطأ فاحشاً"[2]، وهذا يبين أن الوظائف الأميرية ما هى إلا خدمة لجهاز الدولة ومناصب له، ولكن بعيدة عن الكسب والربح، "فعلى الآباء أن يعدوا أبناءهم إلى غاية الوصول إلى السعادة، وأن يفتحوا أمامهم أبواب الآمال، لأنها أبواب الثروة الحقيقة، وأن يعطوهم الوسائل للحصول عليها، وأول شىء يجب أن يلتفتوا إليه اليوم هو التجارة"[3].

---

(1) المرجع السابق،ص١٦، ١٧.

(2) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص١٥، ١٦.

(3) المرجع السابق، ص١٧.

وينبه قاسم أمين إلى أهمية التجارة. فـي تحسـين مستوى المعيشـة. ويـرى أنها أفضل مهنة للإنسان. ولا ينالها إلا كل مجتهد. حتى نجـده متـأثراً بـالأوربيين لاهتمامهم بها " لأنهم فهموا أن التجارة هي علم الثروة: وهـي علـم حقيقـي لا يقـل في الفضل عن أشرف العلوم"[1] فالأوربيون أصبحوا أغنياء لسببين:

الأول: احتقار الاستخدام في وظائف الحكومة وعدم الالتجاء إليها إلا عند الحاجة.

الثاني: احترام التجارة والإقبال عليها أكثر من إقبـالهم علـى بقيـة العلـوم الأخـرى"

ونحن على عكس ذلـك: نحـترم الوظـائف الأميريـة ونعـهدها منتـهى الفخـار والشرف، ونحتقر التجارة، ولا نقبل عليها حتى عند الحاجة المطلقـة — فكـان نصيبنا الفقر الأسود"[2].

وبذلك يسخر قاسم أمين من كـل خدمـة أميريـة ويطـالب المصريـين بـالعمل الحر ويتساءل قائلاً: ماذا تصنع إذا أنت أصغيت لنداء ضمـيرك فـاصنع كـل شـيء؟ كن تاجراً، كن مزارعاً، كن صـانعاً، كن خادماً، كن كيفما تستطيع أن تكـون، فإنـه أحسن لك وللناس مما أنت فيه "[3] وهي خدمة الحكومة "الوظيفة".

وإذا كانت دعوة قاسم أمين موجهة للمصريين حرصاً علـى مسـتقبل الأمـة، فإن قيم المجتمع الإقطاعي كـانت تعلـي مـن قـدر كبـار المـلاك المتعطلـين بالوراثـة، والأثرياء بالوراثة، وترفع شأنهم الأدبي والاجتماعي فوق شأن التجـارة والبورجوازيـة التجارية التي يعمل أهلها بأيديهم وينمون ثرواتهم وثـروة المجتمـع[4] ولذلـك يسـخر قاسم أمين من كبار الملاك ويعلي من قدر الطبقة البورجوازيـة التجاريـة التـي كـانت

(1) المرجع السابق، ص١٧، ١٨.
(2) المرجع السابق، ص١٨.
(3) المرجع السابق، ص٩.
(4) قاسم أمين: تحرير المرأة والتمدن الإسلامي — تحقيق محمد عمارة — بيروت — دار الوحدة للطباعة والنشر — ١٩٨٥م، ص٥٨.

فى دور النشأة والتكوين. فيقول "كان المصريون إلى عهد غير بعيد. ينظرون إلى التجارة بعين الاحتقار. ويحسبون أنها مهنة لا تتفق مع الشرف والاعتبار. وإلى الآن لا يزال هذا الزعم منبسطاً على عقول بعض الأمراء والذوات الذين متى توشحوا الكساوى الموشاة بالذهب. ووضعوا النشانات على صدورهم.. تخيلوا أنهم من إنسانية أخرى أعلى من إنسانية هؤلاء التجار الذين يشتغلون بأيديهم .. وهم يرون كل خدمة غير (أميرية) وكل حرفة حرة وكل عمل لا يتعلق بالحكومة هى أشياء لا يليق الاشتغال بها، ولهذا كله لم يشتغل منا حتى الآن بالتجارة إلا فئة قليلة، برهنت على إرادة وإقدام وأصالة رأى تستحق عليها ثناء الأمة المصرية بأسرها"[1].

كما يلمس قاسم أمين دور المصالح الاقتصادية والتجارية منها خاصة، فى الصراع العالمى بين الدول الاستعمارية المتنافسة. ويرى أن البلاد الضعيفة المستعمرة، ومنها مصر، وهى موضوع التنافس والصراع المحتدم بين هذه القوى الاستعمارية، وأن النهضة هى سبيل إفلاتها من مصيرها الأليم، فيقول "إننا نحن المصريين لا شغل لنا إلا التفرج على المتنافسين.. والحقيقة أننا نحن موضوع تنازعهم، وسبب مشاكلهم، نحن اللقمة الدسمة التى يريد كل منهما أن يبتلعها فى جوفه!"[2].

إن قاسم أمين يدعو إلى مجتمع يكثر فيه الأثرياء الذين يحصلون على ثرواتهم بعمل ليل نهار، ويتمنى لمجتمعه أن يكون مثل تلك المجتمعات التى توصلت أممها إلى" اقتناء الثروة، وكثر فيها الأغنياء الماليون الذين أصبحوا يتعاملون بالملايين، كما نحن نتعامل بالعشرات والمئات!"[3].

---

(1) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص١٥.

(2) المرجع السابق، ص٥، ٦.

(3) المرجع السابق، ص٦.

وجملة القول إن قاسم أمين يـرى أن ضعـف الطبقـة البورجوازيـة فـى مصـر تـرك المجـال فسـيحاً وسـهلاً أمـام النشـاط التجـارى الـذى تمتـع بـه الاحتـلال الإنجليزى، فأخذ يعمل على تنبيه الشعب إلى قيمة التجارة وأهميتها لأننـا أولى بـها من الاستعمار، وبذلك أصبح قاسم أمين داعية للتطور الرأسمالى. حيث إنه عمل على إزالـة العوائـق والصعوبـات الإقطاعيـة عـن طريـق التطـور والتبشـير بقيـم المجتمـع البورجوازى، وهذا ما ساعد المجتمع على التطور والتقدم.

(٦) الاستبداد:

وإذا كانت دعوة قاسم أمين التى بشر بها فيما يتعلق بالإصلاح الاجتمـاعى، فإنه ينتقل إلى قضية تكاد تكون هى أصل كل فساد، انتشرت فى المجتمـع المصـرى نتيجة وجود الاحتلال، هذه القضية هى "الاستبداد" والذى كان سمة للحكم الشرقى الإقطاعى والذى تمثل فى الأسـرة الحاكمـة والاحتـلال الإنجـليزى، ولذلـك دعـا إلى الحرية، وخاصة بعد أن رأى الحرية فى المجتمعات الأوربية المتقدمـة حتـى تصبح هذه الحرية مكفولة للشـعب المصـرى، ولا سـيما أنـه رأى "أن الاسـتبداد أصـل كـل فساد"[1]. وعليه يصبح المجتمع فى حاجة إلى توفير حريته واستقلاله، فيتساءل "كم من الزمن يمر على مصر قبل أن تبلغ هذه الدرجة من الحرية"[2].

فدعـوة قاسـم أمـين كـان أساسـها الحريـة، الحريـة السياسـية، الحريـة الاجتماعية، الحرية الاقتصادية، حرية القول وحرية التعبير، حتى نجده يقول "لأن الحرية الحقيقة تحتمل إبداء كل رأى.." [3].

---

(١) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٤٩.

(٢) قاسم أمين : كلمات – مرجع السابق، ص٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص٣.

وإذا كانت دعوة قاسم أمين متأثرة بالحرية الغربية التى شاهدها عن قرب إلا أنه عاب على الحرية المطلقة الممنوحة للإنسان. فهو يرى أن الحرية هي ما تناسب قيم وعقائد المجتمع. ففي البلاد الغربية" قد يجاهر الإنسان بأن لا وطن له، ويكفر بالله ...، ويطعن في شرائع قومه وآدابهم وعاداتهم ويهزأ بالمبادىء التى تقوم عليها حياتهم العائلية والاجتماعية، ويقول ويكتب ما شاء في ذلك، ولا يفكر أحد، ولو كان من ألد خصومه في الرأى. وأن ينقص شيئاً من احترامه لشخصه، متى كان قوله صادراً عن نية حسنة واعتقاد صحيح"[1]، ولكن هذا بعيد كل البعد عن مجتمعنا الشرقي، فالحرية ليست مطلقة، وإنما تحكمها ضوابط وأحكام.

ثم ينبه إلى أمر هام عندنا يربط بين احترام المجتمع للفضيلة ومقته للرذيلة، فيقول "لا يمكن أن تصير الفضيلة مطلوبة مرغوباً فيها والرذيلة ممقوتة مبغضة إلى النفوس إلا إذا أحس الناس بقوة حكم الرأى العام وسلامته"[2]، ولا يستطيع الرأى العام أن يحكم إلا بتوفير قدر مناسب من الحرية.

ثم يتوج قاسم أمين فكره الديمقراطى بالدعوة إلى الارتقاء من المجلس التشريعى الذى أقامه الاحتلال الإنجليزى بديلاً عن المجلس النيابى الذى حلته بعد هزيمة الثورة العرابية فيدعو إلى الارتقاء إلى نظام المجلس التشريعى البرلمانى غير الاستشارى قائلاً" لقد اكتسب اليوم المجلس التشريعى ثقة كبيرة لا يمكن نكرانها، حتى إن قادتنا يستلهمونه أفكارهم كما باتت كثرة من المصريين المعتدلين – وأنا واحد منهم – ترى أن هذه السنوات العشرة تمثل تدريباً كافياً، وأن مصر بعد ألفتها للتمثيل القومى قد أصبحت جديرة بأن يكون لها مجلس نواب لا يكون استشارياً

---

(١) المرجع السابق، ص٤٣.

(٢) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٩٥.

فقط. لقد نضجت مصر بما يتيح لها عمل هذا الإصلاح غير أننا نود بالطبع نظاماً تكون فيه الغلبة للمعرفة الواعية. ولا للكم العددى"[1].

(٧) الوقف:

ويعرف قاسم أمين الوقف على أنه "تجرد الشخص من أملاكه وتخصيصها فى حياته أو بعد موته لعمل خيرى" ولا شك أن العمل فى أغلب الأحوال قد لا يصدر إلا عن نفس طيبة وعواطف شريفة وأميال بارة وفكر عال"[2].

وعندما يتناول قاسم أمين موضوع الوقف إنما يتناول معالجة قضايا المجتمع عن طريق الدين الإسلامى، وبذلك دعا إلى نشر الخير والمودة من خلال دعوة الإسلام، لأن "مقصد شرعنا الشريف من تشريع الوقف أن لا تكون حوائل بين نية الخير وعمله، فسوغ لكلا إنسان عنده نزعة إلى الخير أن ينفذ قصده مهما كان وبأى طريقة شاء وفى أى وقت أراد"[3]، وبذلك تتشعب طرق الخير فى ملتنا، فيعود النفع على المجتمع.

وقاسم أمين أراد من وراء الوقف إصلاح المجتمع عن طريق أعمال البر التى على أساسها يمكن إنشاء المدارس لنشر ومعالجة المرضى ومساعدة الفقراء والبائسين وما يشابه ذلك من الأعمال النافعة العمومية التى تحفظ حياة الأمم وتزيد فى قوتها"[4].

ولكن قاسم أمين يسخر من الذين اتخذوا من الموقف حصناً لأولادهم وبذلك تحول الوقف عن مقصده إلى مقصد آخر. لأنه قد صار الوقف من الأعمال الاحتياطية التى يتخذها الأغنياء ضد أولادهم، فالواقف صار أول مقصد له أن يحبس المال لا

---

(١) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص ٣٤٥، ٣٤٦ – نقلاً عن المصريين.

(٢) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٢٢.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

بفعل الخير، بل ليحول بين ورثته وبين تبديده "ثم يتساءل" هل منع الوقف شيئاً مما كان يتوقعه الواقف؟ هل أدى الوقف الوظيفة الحقيرة التى أراد الأغنياء أن يستخدموه فيها"[1].

ومن أجل ذلك كانت دعوة قاسم أمين إلى تحويل الوقف إلى اتجاهه ومساره الصحيح، وعدم تلاعب الأغنياء به واستخدامه حسب أهوائهم وأغراضهم وأغراض أولادهم، فيدعو إلى المحافظة على الأوقاف متألماً لما آلت إليه "ألسنا نشاهد الأملاك الموقوفة فى جميع القطر شرقاً وغرباً وكيف آلت إلى الخراب بسبب تنازع المستحقين وسوء إدارة النظار؟ ألم يصل إلى علم الجميع أن الأملاك الموقوفة تعامل الآن كمنا تعامل الأموال المباحة، وهى مطمع الكل، وكل يريد أن يختطف منها نصيباً؟"[2].

ومن الملاحظ أن قاسم أمين اتخذ من الوقف سلاحاً للفقراء ومساعدة المحتاجين وهذا يعد من أكبر مصادر إصلاح المجتمع والمحافظة على البنية الاجتماعية، ويدعو قاسم أمين متمنياً أن يستمر الوقف فى مصر دوماً قائلاً "ولو كان لمصر نصيب من الحظ لكانت هذه المصلحة اليوم كشجرة عالية منبسطة أغصانها الباسقة حيث يلتجىء إليها ويستظل بها فقراء الأمة كلهم أو كقلب الأمة الذى يخفق إذا هى حزنت أو فرحت، ويمد عروقها وشرايينها بالدم الذى يهبها الحياة الطيبة"[3].

ويقترح قاسم أمين أمرين لرد الوقف إلى اعتباره الشرعى هما :

الأول:أن يخصص الواقف منذ الآن جزءاً قليلاً أو كثيراً ليصرف من اليوم الذى يبتدىء فيه تنفيذاً لوقف على مصلحة عمومية يعود نفعها على البلاد، كمدرسة

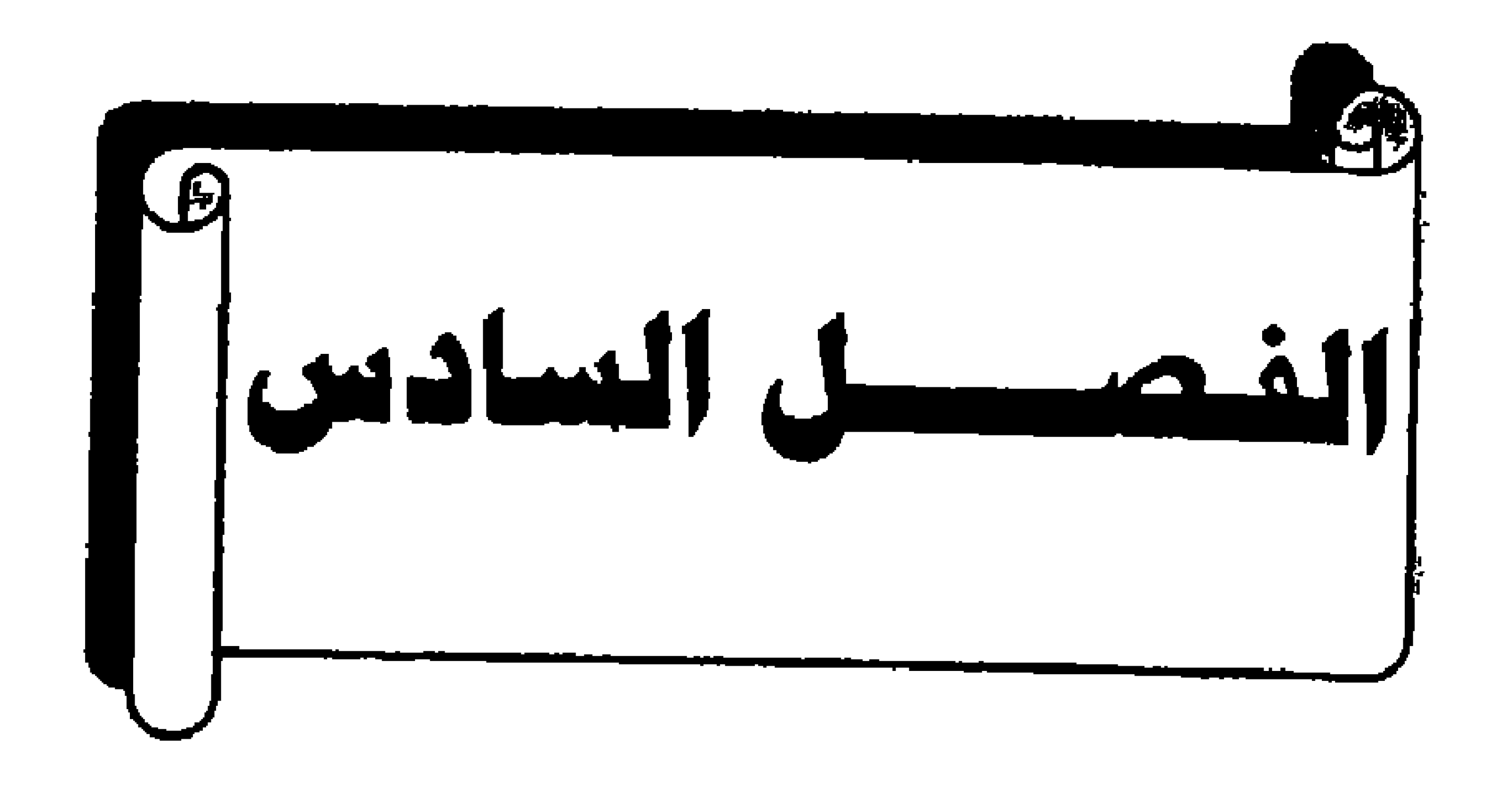
(1) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٢٣.
(2) المرجع السابق، ص ص٢٣، ٢٤.
(3) المرجع السابق، ص٢٤.

أو كتاب أو مستشفى أو أجزخانة أو مساعدة الفقراء الذين يشتغلون أو الذين لا يستطيعون الشغل بحال . فيمكن مثلاً تخصيص الصرف على تربية الأطفال اللقطاء أو العائلات التى تفقد عائلها. أو بصفة مكافأة سنوية لمن يؤلف أحسن كتاب فى تاريخ الإسلام أو يترجم عدداً من الكتب الأجنبية التى يجب نشرها فى بلادنا.

الثانى: أن يعين الواقف الأشخاص الذين ينيط بهم إدارة الوقف من أهله أو أصحابه أو غيرهم ممن يرى فيهم الاستعداد والضمانة لتنفيذ إرادته، ولكن على شرط أن لا تؤول النظارة إلى ديوان الأوقاف أو غيره من مصالح الحكومة بأى حجة كانت ولأى سبب كان، لأنى أعتقد أن كل وقف تمسه يد الحكومة ليس للأمة منه نصيب"[1].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٥، ٣٦.



المرأة في فكر

قاسم أمين

تمهيد:

من أبرز الظواهر الاجتماعية التى يحفل بـها المجتمع المصرى فـى الوقـت الحاضر ظاهرة التغيير الاجتماعى الذى يشمل كافة النظم الاجتماعية، ومن الحقـائق المعروفة أن التغير سمة أساسية من سمات أى مجتمع، غير أن هـذا التغـير وأسبابه يختلف من مرحلة تاريخية لمرحلة أخرى.

وقضية المرأة بما كان عليه وضعها المتدنى فى مصر – والعالم العربـى كلـه– فى طريقه الآن إلى الاندثار، وإن كان قد ترك فى نفسية المـرأة أثـاراً سيئة، تتطلـب الكثير من الجهود لإزالتها، فنظام الحريم الذى سـاد فترة طويلـة مـن الزمـن سلب المرأة إنسانيتها وأحالها إلى متاع، وقد تمثلت خطورته فى أنه استمر بحيث جعـل المرأة تتقبل السجن المادى والمعنوى المفروض عليها، ولمدة قرون ظلت المرأة تـدور فـى دائرة مفرغة، وكل قدراتها الإنسانية تنصرف فى محاولة دائمـة لنيـل مكانتـها عنـد الرجل والمجتمع، ولتوكيد وجودها لا كمجرد للتسلية[١].

وقد بدأ نظام الحريم ينهار فى مصر منذ أواخر القـرن التاسـع عشـر وأوائـل القرن العشرين، نتيجة لتغير البناء الاقتصادى للمجتمـع، و نتيجـة لظـهور الطبقـة المتوسطة، وتبلور الشخصية القومية المصريـة المثقفـة مـن خـلال الانتفاضـات الثوريـة المتتالية ضد قوى الاستغلال والاستعمار الذى منى به المجتمع[٢].

وهذا التخلف من جانب المرأة يرتبط أشد الارتبـاط بنظـرة المجتمـع إليـها، فالتربية التى يتلقاها الطفل فى الأسـرة تختلـف عـن تربيـة الطفلـة، ويـترتب علـى أسلوب التربية وعلى نظرة المجتمع نتائج مهمة، بينما ينمو الطفـل وهـو يؤمـن بأنـه قيمة مطلقة، تنمو الطفلة وهى تؤمن بأنها قيمـة نسـبية، تسـتمد أهميتـها مـن مـدى حاجة الرجل إليها[٣].

---

(١) محمد كمال يحيى: الجذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية فى العصر الحديث – القاهرة– الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٣م، ص٧.

(٢) المرجع السابق، ص٨،٧.

(٣) المرجع السابق، ص٨.

وعلى الرغم من أن قضية المرأة لاقت الاهتمام الكبير فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلا أن هذا الاهتمام كان محدوداً لأن الشجاعة الأدبية كانت غير متوفرة. فقاسم أمين لم يكن أول داعية إلى تحرير المرأة المصرية، فقد سبقه الكثير من رواد الإصلاح فى هذا الميدان، تمثل فى رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وبالفعل وضعت الأسس لحركة تحرير المرأة وتعليمها، ولكن شاب الخطر هذا الطريقة حيث سيطر الاعتقاد بأن تحرير المرأة وتعليمها مرتبط بخروجها للعمل. وهذا يعد من الخروج عن المألوف، وخاصة بعد أن أدرك الشعب أن المرأة يتوقف عليها كل إصلاح، فإصلاحها هو إصلاح المجتمع، وإهمالها هو إهمال للمجتمع.

وإذا كانت قضية المرأة تفكير رواد الإصلاح فى مصر، إلا أن قاسم أمين يعد رائد تحرير المرأة في مصر والشرق العربي الإسلامي، فإليه يرجع العمل الفكرى الكامل فى قضية المرأة، وخاصة كتابه "تحرير المرأة" الذى أصدره سنة ١٨٩٩م، والذى كان بمثابة ثورة على أوضاع المجتمع وخاصة المرأة، تلك الثورة هزت كل المفاهيم القديمة فى المجتمع، لما أحدثه قاسم أمين فى البيئة المصرية، ولما طالب به من تعليم المرأة وتحريرها وخروجها للعمل.

وليس صدفة أن ترتبط الدعوة إلى تحرير المرأة بالدعوة إلى تحرير الوطن، وذلك من خلال دعوة قاسم أمين والذى أراد تحرير المجتمع المتمثل فى المرأة.

* مدخل تاريخي لوضع المرأة قديماً:

إذا كانت المرأة العربية قد احتلت مقاماً ومكانة عالية وتبوأت المراكز وحصلت على السلطة وتمتعت بالمساواة مع الرجل فى العصور القديمة[1], فإن وضعها قد اختلف فى العصر الجاهلى, حيث كانت معاملة الرجل للمرأة معاملة الاحتقار, وكانت" تعد متاعاً خسيساً يستخدمه الرجل

---

(١) لطيفة محمد سالم : المرأة المصرية والتغير الاجتماعي – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م، ص١٤.

ويسيء استخدامه, غالباً ما كانت الأنثى تدفن حية ساعة ميلادها"[1], وعندما جاء القرآن الكريم صور هذا الجرم بقوله تعالى ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾[2].

وفي العصر الإسلامي ظهرت المرأة أكثر وضوحاً وأعظم مقاماً، وقد قرر الإسلام مساواتها مع الرجل، فأعلن حريتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط .. وخولها كل حقوق الإنسان واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية من بيع وشاء وهبة ووصية من غير ان يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها"[3].

وظلت المرأة متمتعة بمكانتها حتى أفضت الدولة الإسلامية إلى بني أمية من أواسط القرن الأول الهجرى، حتى أصابها الضعف والانحلال الذى أدى إلى زيادة الجوارى والرقيق وخاصة في العصر العباسي، فأهملت واستعبدت وذهبت حريتها، فاحتقرها الرجل وساء الظن بها وصار يعاشرها على غل وكراهية[4].

وبخضوع مصر للدولة العثمانية بلغت المرأة غاية الانحطاط حتى دخلت دائرة القيود والانحلال، وعاشت في ظل نظام الحريم. وعندما جاء الاحتكاك بالغرب عن طريق الحملة الفرنسية ثم تولية محمد على حكم البلاد تغيرت صورة المرأة، حيث نالت بعض الاهتمام بالتعليم، فقد أراد والى مصر أن يتمم نجاح مشروعاته من ناحية ويعمل على إعادة بلورة الوضع الاجتماعي من ناحية أخرى، فأنشئت مدرسة الولادة لتكون النواة التي يرتكز عليها، ليس في تعليم المرأة فقط، وإنما في عملها، حيث خدمت الخريجات في الميدان الطبى مما عاد بالنفع على البيئة[5].

---

(1) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص٣٠١.

(2) قرآن كريم: سورة النحل – آية، ٥٨–٥٩.

(3) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٣٥.

(4) عزت قرنى : الفلسفة الاجتماعية عند قاسم أمين – مكتبة سعيد رأفت – عين شمس ١٩٨٠، ص٤.

(5) لطيفة محمد سالم : المرأة المصرية والتغير الاجتماعي – مرجع سابق، ص١٥.

ومن نافلة القول إن حظ المرأة من التعليم كان محدوداً للغاية فى بداية القرن التاسع عشر، وكان هذا التعليم محصوراً فى بنات الأسرة الحاكمة[1]. فلم تكن المرأة من الطبقة العليا إذ ذاك سوى أداة ترف عند الرجال، أما دونها مرتبة من النساء فكانت تحيا فى خمول حياة تافهة ليس وراءها مطمح ولا هدف، ولم ينتصف القرن التاسع عشر حتى ظهرت بوادر رغبة المرأة فى التحرر من قيودها: إذا أخذت تشعر أن فى وسعها أن تحيا حياة أقرب إلى الكرامة من حياتها القديمة، حيث ظهرت الثورة النسوية وكانت فى بدايتها تتخذ مظهراً من القلق العام"[2]، كما أن الخديو إسماعيل حاكم مصر كان له الفضل فى الاهتمام بتعليم المرأة، وقد حظى تعليم البنات منه بنصيب كبير، وأصبح التغيير الذى عاشه المجتمع المصرى واضحاً وخاصة بعد عودة المبعوثين من الخارج - رجال الفكر - فقد غذوا الحركة الوطنية فى مصر ورفعوا لواء تحرير المرأة.

وقاسم أمين لم يكن أول داعية إلى تحرير المرأة المصرية، فقد سبقه الكثير من رواد الإصلاح، فهناك رفاعة الطهطاوى والكواكبى والأفغانى ومحمد عبده، فكل هؤلاء قد اهتموا بتعليم المرأة وعملوا على إصلاحها.

وبذلك وضعت الأسس لحركة تحرير المرأة وتعليمها، ولكن شاب الخطر هذا الطريق حيث سيطر الاعتقاد بأن تعليم المرأة مرتبط بخروجها للعمل، وهذا يعد من الخروج عن المألوف، ويكون فيه إهدار على رسالتها التى خلقت من أجلها وهو البيت، فكان من الصعب أن يتقبل الناس تلك الآراء، والتى تطالب بتعليم المرأة وتحريرها.

وإذا كانت المرأة قد حظيت بالاهتمام من قبل رواد الإصلاح، إلا أن العمل الفكرى الكامل والذى تناول القضية من كل جوانبها كان ذلك الكتاب الذى أصدره

---

(١) سعيد إسماعيل على: الفكر التربوى العربى الحديث (سلسلة عالم المعرفة) - مطابع الرسالة - الكويت - مايو ١٩٨٧م، ص٢٠٥.

(٢) إبراهيم عبده، درية شفيق: تطور النهضة النسائية فى مصر من عهد محمد على إلى عهد الفاروق - مكتبة الآداب - القاهرة - ١٩٤٥م - ص٨.

قاسم أمين سنة ١٨٩٩ وهو تحرير المرأة والذى كان بمثابة ثورة على أوضاع المرأة، فى حين ذهب البعض إلى أن قاسم أمين لم يأت بما يزيد عما أتى به الطهطاوى إلا أن قاسم أمين ظهر فى جيل متأخر وكان الرأى قد بدأ بالتجاوب مع أفكار ودعوات من قبيل دعوة تحرير المرأة"[١].

*دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة:

كانت قضية "تحرير المرأة فى البيئة المصرية والعربية بوجه عام تمثل معاناة صعبة ودعوة إصلاحية هامة تناولت الحياة الاجتماعية فى مصر بكل المقاييس، فعندما نشر كتاب " تحرير المرأة" اضطربت له آراء الهيئات الدينية والسياسية فى مصر، وأثار ضجة كبرى،لأن صاحبه - قاسم أمين طلب فيه تعليم المرأة ورفع الحجاب عنها، ويروى الدكتور هيكل ما أحدثه هذا الكتاب من ثورة فكرية فيقول "اقتنعت بأن الرجل على حق، وبأن ما يقوله من البديهات، وعجبت لموقف الذين ناوؤه، ووقفوا فى وجهه ولموقف جريدة (اللواء) التى اتهمته بمخالفة الدين تأييداً منها لموقف الخديو الذى حرم على قاسم أمين دخول عابدين"[٢].

ثم تتناول (المنار) نشر كتاب تحرير المرأة فى جريدتها، وتصفه بأنه "غاية الغايات فى فن التربية الذى نحن فى أشد الحاجة إليه "ويروى الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده عن هذا الكتاب قائلاً "أنه أحداث أثراً فى الأمة التى كدنا نحسبها ميتة لا تشعر بمؤلم ولا ملائم"[٣]، ثم يستطرد قائلاً ولقد كتب أحد أفاضل أهل العلم العقلاء فى سوريا ما نصه (اطلعنا على بضعة عشر عدداً من المؤيد ولقد دهشنا مما قرأناه من تحرير المرأة، حيا الله مؤلفه وجزاه عن الإسلام والمسلمات خيراً، ولعمرى إنه تصدى لأمر عظيم وبقدر عظم الأمر سيكون أثره عظيماً فى نفع الأمة)[٤].

---

(١) معن زيادة : معالم على طريق تحديث الفكر العربى – مرجع سابق، ص٢٠١.

(٢) محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة الأسبوعية –جـ١ – دار المعارف– ١٩٥١م، ص٢٤.

(٣) محمد رشيد رضا: تربية المرأة – المنار – المجلد ٢ – عدد ١٥ يوليو سنة ١٨٩٩م ، ص٢٨٣.

(٤) المرجع السابق، ص٢٨٤.

فدعوة قاسم أمين لتحرير المرأة تعد طفرة تغيير فى المجتمع المصرى، لما أحدثه من معركة هزت هذه المجتمعات من الأعماق، تلك المعركة التى كانت أكثر شمولاً وأوسع مدى وذلك لارتباطها بحياة الأسرة لبنة المجتمع الأولى، ولتناولها المباشر للشئون الخاصة بكل بيت فى المجتمع المصرى والمجتمعات الشرقية الإسلامية. ويمكن القول إن المرأة ليست هى القضية فى حد ذاتها، فإنه من الظلم أن يقال إن معركة قاسم أمين كانت الحجاب أو المرأة فقط، وإذا كان الحجاب هو الساحة المباشرة التى دار فيها معظم القتال، فإن ما تصدى له قاسم أمين كاف فى مداه وفى مغزاه أوسع كثيراً من ذلك"[1]، ولكن القضية التى تصدى لها قاسم أمين هى قضية مجتمع، فليس تحرير المرأة ما أراده قاسم أمين، وإنما أراد تحرير المجتمع المتمثل فى المرأة، أراد أن يحرر المجتمع من الاستعباد الذى عاناه إبان فترة الاحتلال الإنجليزى، وبذلك "أخذ قاسم أمين على عهدته حمل هذا العبء الثقيل، عبء السعى بالمرأة المصرية إلى نظام العائلة، وبنظام العائلة إلى الرقى الاجتماعى المنشود، وبهذا الأخير إلى استقلال البلاد"[2].

وقبل أن تكون قضية تحرير المرأة قضية اجتماعية، فإنها تعد بمثابة قضية تغير اجتماعى أحدثها قاسم أمين فى البيئة المصرية، وهذا ما عبر عنه الشيخ على يوسف زعيم الإصلاح الاجتماعى فى مصر "إننا نظن أن يكون ظهور هذا الكتاب مصدر تغير عظيم فى أفكار الأمة ينشأ عنه فيما بعد تغير أعظم فى أخلاقها[3].

إن قاسم أمين قد رأى أن المرأة بداية كل إصلاح، فإذا "أراد المصريون أن يصلحوا أحوالهم فعليهم أن يبتدأوا فى الإصلاح من أوله، يجب عليهم أن يعتقدوا بأن لا رجاء فى أن يكونوا أمة حية ذات شأن بين الأمم الراقية، ومقام فى عالم التمدن الإنسانى قبل أن تكون بيوتهم وعائلتهم وسطاً صالحاً لإعداد رجال متصفين بتلك الصفات التى يتوقف عليها النجاح، ولا رجاء فى أن البيوت والعائلات تصير

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، المقدمة بقلم أحمد بهاء الدين.

(2) أحمد لطفى السيد: المنتخبات – مرجع سابق، ص٥٠.

(3) المؤيد: ١٥ مايو سنة ١٨٩٩م.

ذلك الوسط الصالح إلا إذا تربت النساء وشاركن الرجال فى أفكارهم وآمالهم وآلامهم إن لم يشاركوهم فى جميع أعمالهم"[1].

وإذا كان قاسم أمين رأى أن المرأة هى بداية الإصلاح. وأنه لا سبيل إلا الإصلاح من شأنها، فإنه قد طرح تلك القضية وهو متحفظاً خشية الرأى العام. فيقول" قد طرقت باباً من أبواب الإصلاح فى أمتنا، والتمست وجهاً من وجوهه فى قسم من أفراد الأمة له الأثر العظيم فى مجموعها، وأتيت فى ذلك بما أظنه صواباً، فإن أخطأت فلى من حسن النية ما أرجو معه غفران سيئة خطىء وإن أصبت - كما أظن - وجب على أولئك المتعلمين أن يعملوا على نشر ما أودعته فى هذه الوريقات وتأييده بالقول والعمل"[2].

ولم تأت دعوة قاسم أمين من فراغ، وإنما جاءت بعد تفكير طويل تمثل فى رده على الكاتب الفرنس داركور D`harcouri سنة ١٨٩٤م، وخاصة إنه وجه فكر قاسم أمين إلى عيوب قومه،فدرس المرأة ومركزها فى الشريعة الإسلامية، فوجدها تستحق البحث، وهو يعلم تمام العلم من هجوم الرأى العام ضده، إلا أنه جاهر بدعوته قائلاً هذه الحقيقة التى أنشرها اليوم شغلت فكرى مدة طويلة فكنت فى خلالها أقلبها وأمتحنها، أحللها حتى إذا تجردت من كل ما كان يختلط بها من الخطأ استولت على مكان عظيم من موضع الفكر منى وزاحمت غيرها وتغلبت عليه وصارت تشغلنى بورودها وتنبهنى إلى مزاياها وتذكرنى بالحاجة إليها، فرأيت أن لا مناص من إبرازها من مكان الفكر إلى فضاء الدعوة والذكر"[3].

لقد كان تفكير قاسم أمين متصل بحياة الشعب والمجتمع، فأراد لهما تحرراً من أسباب التخلف والانحطاط، وما أصاب هذا المجتمع من اضطراب، فقد قرأ تاريخ الثورات التحريرية، ووقف على أسبابها فى الشرق والغرب،وعاش فى

---

(١) قاسم أمين ، المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص٢١٥.

(٢) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٢٧.

(٣) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٢٩.

فرنسا[1]. يتلقى ثقافة حقوقية وفكرية. وتعرف على وسائل الوعى والنهضة. ورأى المرأة فى تلك البلاد وما وصلت إليه من تقدم. فعاد إلى مصر ليبحث الأسباب التى أدت إلى ضعف الشعب وتخلفه واضطراب معيشته، فيقول "إنى أدعو كل محب للحقيقة أن يبحث معى فى حالة النساء المصريات وأنا على يقين من أنه يصل وحده إلى النتيجة التى وصلت إليها وهى ضرورة الإصلاح فيها"[2].

فقد بحث الحياة فى مصر من جميع جوانبها، فوجد أن جهل المرأة وغيابها عن المجتمع مستكينة للتعسف والهوان، غافلة عن حقوقها وتكاليفها من أفظع العلل التى أضعفت التربية القومية والوعى الاجتماعى فى البلاد، وأن مقومات الحياة فى المجتمع المصرى تقتضى الحفاظ على قوام الأسرة والبيت الممثل فى المرأة، فيكف ينبغي لها أن تبقى سادرة في جعلها وتخلفها بعيدة عن كل حركة تؤدى إلى إصلاح الحياة والمجتمع؟[3].

*المرأة كما رآها قاسم أمين:

لقد رأى قاسم أمين المرأة فى صورة منحطة، فهى غارقة فى جهلها بشئون الحياة، فكانت فى زمانه محجوبة فى بيتها لا يراها الناس، ولم يكن لها أن تمد عينيها إلى ما وراء. الحرملك[*]، فهى اجتماعياً لا وجود لها لعزلتها عن المجتمع وقبوعها خلف جدران الحريم، و"ليس بين الأمهات إلا عدد قليل جداً يعرف القراءة والكتابة ، وليس واحدة لها إلمام ولو سطحياً بمقدمات أى علم.. وهى فوق ذلك جاهلة بكل أحوال الدنيا، ولا تدرى شيئاً من المعاملات والتجارة، ولا من نظامات وقوانين البلاد التى تسكنها ... وهى مع رفيقاتها من النساء عالم مستقل بذاته لا

---

(1) أنظر الفصل الثانى من هذه الدراسة، ص٥١ وما بعدها.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٢٩.

(3) المرجع السابق، ص٤٩ وما بعدها

(*) الحرملك : مكان الحريم عكس السلاملك مكان الرجال

يجمعه بعالم الرجال فكر أو عمل. وأمة داخل الأمة لها أخلاقها وعوائدها ومعتقداتها. وفي الحقيقة أنهن آثار عتيقة لأجيال مضت وبقايا أزمنة بعيدة"[١].

ولم يكن حال المرأة داخل المنزل بالخير كله، فلم تكن ملكة لملكة المنزل. وإنما كانت مخلوقا قد أعد ويعد للاستمتاع أولا وقبل كل شيء، فكل غايتها "أن تسلي الرجل وتمتعه من اللذة بجسمها بما شاء، وجهت جميع قواها إلى التفنن في طرق استمالته إليها والاستيلاء على أهوائه وخواطر نفسه"[٢]. إلى جانب ذلك أنها "مخلوق متكاسل ذات طبيعة تأملية. وبعيدة عن الفاعلية، تكثر الحديث والضحك، تحب دينها ولا تمارسه"[٣]، فهي مخلوق ذبلت مواهبه وإمكاناته من طول تعطلها وحرمانها من التدريب على ممارسة حقوقها التي شرعت لها، ومن ثم فقد "أضلت المرأة عقلها في ظلمات الأجيال الماضية ففقدت رشدها وأدركها العجز عن تناول ما تشتهي من الطرق المسنونة فاضطرت إلى استعمال الحيلة وأخذت تعامل الرجل - وهو سيدها وولي أمرها - كما يعامل المسجون حارس سجنه والحفيظ عليه، ونمت فيها ملكة المكر إلى غاية ليس وراءها منزع .. ذلك لاعن عقل وحكمة وإنما هي حيل الثعالبة"[٤]. ولذلك سلب الرجال ثقتهم من النساء واعتقدوا أنهن أعوان إبليس فلا تسمع إلا ذما لخصالهم وتنقيصا لعقلهن وتحذيرا من مكرهن"[٥].

تلك هي صورة المرأة التي وجدها قاسم أمين، أما عن وضعها فقد رآها لا تختلف عن حالة الرقيق في شيء، فهي في نظر الشرع إنسان حر له حقوق وعليه واجبات ولكنها في نظر رئيس العائلة وفي معاملته لها ليست بحرة بل محرومة من التمتع بحقوقها الشرعية"[٦].

---

(١) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٦١. ٦٢.
(٢) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٤٨.
(٣) قاسم امين : الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص١٧٩.
(٤) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٤٩.
(٥) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص٢١.
(٦) قاسم أمين :المرأة الجديد – مرجع سابق، ص٦،٧.

ويرى قاسم أمين أن تخلف المرأة وعبوديتها مرتبط بالحكم الاستبدادى الذى منى به المجتمع، فالاستبداد هو الذى أدى بالمرأة إلى الانحطاط، فكبلها بالقيود والأغلال، ومن ثم فإن تحررها مرتبط بتحرر الرجل أولاً، ثم المجتمع ثانياً، ويعبر عن هذه العلاقة قائلاً" إن مبدأ تشكيل الحكومة كان على صورة العائلة، والحكومة التى تؤسس على السلطة الاستبدادية لا ينتظر منها أن تعمل على اكتساب المرأة حقوقها وحريتها.. فهناك تلازم بين الحالة السياسية والحالة العائلية فى كل بلد، ففى كل مكان حط الرجل من منزلة المرأة وعاملها معاملة الرقيق، حط بنفسه وأفقدها وجدان الحرية، بالعكس فى البلاد التى تتمتع فيها النساء بحريتهن الشخصية يتمتع الرجال بحريتهن السياسية، فالحالتان مرتبطتان ارتباطاً كلياً.. إن شكل الحكومة يؤثر فى الآداب المنزلية، والآداب المنزلية تؤثر فى الهيئة الاجتماعية"[1].

وعلى سبيل المثال "فى البلاد الشرقية تجد أن المرأة فى رق الرجل والرجل فى رق الحاكم، فهو ظالم فى بيته مظلوم إذا خرج منه"[2].

ويرى قاسم أمين أن الاستبداد أصل كل فساد، ولما كان هذا الاستبداد سمة من سمات الحكم فى المجتمع، فإن الحاكم أساء التصرف نحو الرعية، كما أن الرجل فى قوته أخذ يحتقر المرأة فى ضعفها، ولما كانت المرأة ضعيفة اهتضم الرجل حقوقها وأخذ يعاملها بالاحتقار والامتهان، وداس بأرجله على شخصيتها، عاشت المرأة فى انحطاط شديد أيا كان عنوانها فى العائلة زوجة أو أما أو بنتا، وليس لها شأن ولا اعتبار ولا رأى، خاضعة للرجل لأنه رجل ولأنها امرأة، فنى شخصها فى شخص الرجل ولم يبق لها من الكون ما يسعها إلا ما استتر من زوايا المنازل واختصت بالجهل والتحجب بأستار الظلمات واستعملها الرجل متاعا للذة يلهو بها متى أراد ويقذف بها فى الطرق متى شاء، له الحرية ولها الظلمة والسجن.. له الأمر

---

(1) قاسم أمين : المرأة – الجديدة – مرجع سابق، ص ٦، ٧.

(2) المرجع السابق، ص٧.

والنهى ولها الطاعة والصبر، له كل شيء في الوجود وهي بعض ذلك الكل الذى استولى عليه"[1].

ثم يعدد قاسم أمين المظاهر التى تحتقر فيها التى فيها المرأة، فيرى أنها محقرة حين يملأ الرجل بيته بالجوارى بين بيض وسود. وهي محتقرة حين يطلقها الرجل بغير سبب، وهي محتقرة حين يأكل وحده ويخلف بقايا الطعام لأخته وزوجته وأمه، وهي محتقرة حين يعين لها محافظاً على عرضها يراقبها ويصحبها أنى ذهبت، وهي محتقرة حين يسجنها في المنزل وحين يعلم أن زوجته ليست أهلاً للثقة والآمان، ثم هى محتقرة حين يحال بينها وبين الحياة العامة،فليس لها رأى فى الأعمال ولا فكر في المشارب ولا ذوق في الفنون ولا قدم في المنافع العامة ولا مقام في الاعتقادات الدينية وليس لها فضيلة ولا مبدأ[2].

ولما كان الأمر كذلك فإن قاسم أمين يرى أن هذا الانحطاط وهذا التخلف الذى تعيشه المرأة لا يتناسب مع حياتنا وظروف مجتمعنا، فالاستبداد زال واستبداد الرجل بالمرأة مازال مستمر،حيث إن قوانيننا السياسية قد ارتقت قبل أن نرتقي، وسبقتنا إلى مالم نصل إليه بعد، فهي تقرر أن كل فرد منا له أن يتمتع بحريته وحقوقه الشرعية، لا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى، ونحن معاشر الرجال لم يزل راسخاً في طبعنا حب الاستئثار بمزايا الحياة، وعدم احترام حقوق النساء"[3]. وهذا مما لا شك فيه يعد من إهمال لشئون الدين، فالإسلام أعطى للمرأة حقها وحريتها، فقد سبق الشرع الإسلامي كل شريعة سواه في تقرير مساواة المرأة بالرجل، فأعلن حريتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، وخولها كل حقوق الإنسان واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل"[4]، كما أنه لا يوجد "في أحكام الديانة الإسلامية ولا فيما ترمي إليه من مقاصدها ما يمكن أن

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٣٨.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة ، مرجع سابق، ص ص٣٨، ٣٩.

(3) قاسم أمين: المرأة الجديدة – المرجع السابق، ص٢١، ٢٢.

(4) قاسم أمين: تحرير المرأة – المرجع السابق، ص٣٥.

ينسب إليه انحطاط المرأة المسلمة. بل الأمر بالعكس فإنها أكسبتها مقاماً فـى الهيئـة الاجتماعية"[1].

فالإسلام كما يراه قاسم أمين قد أعطى للمرأة حقوقها. وسـوى بينـها وبـين الرجل، ولكننا مازلنا "لا ننظر إلى المرأة نظرتنا إلى الرجل... فجردناها عـن اسـتعمال جميع حقوق الإنسان وحرمناها من جميع مزايا الحياة الخاصة والعامة"[2].

وحقيقة أخرى على جانب كبير من الأهمية والعمق وعاها قاسم أمين عندمـا أدرك أن افتقار المرأة إلى الاستقلال الاقتصادى، وبعدها عن ميادين العمل المنتـج فـى المجتمـع جعلـها تابعـة وخاضعـة لمـن يسـد رمقـها ويضمـن لهـا مقومـات الحيـاة وضرورياتها، فهو يعبر عنها عندما يتحدث عن عمل المرأة ودورها فـى المجتمـع، إذ "لو تبصر المسلمون لعلموا أن إعفاء المرأة من أول واجب وهو التأهل لكسب ضروريات الحياة بنفسها، هو السبب الذى جر ضياع حقوقها، فإن الرجل لما كان مسـئولاً عـن كل شيء استأثر بالحق فى التمتع بكل حق، ولم يبق للمرأة حـظ فـى نظـره إلا كمـا يكون لحيوان لطيف يوفيه صاحبه ما يكفيه من لوازمه تفضـلاً منـه علـى أن يتسلى به"[3].

هذا هو الميراث الفكرى المعبر عن الواقـع العملـى، أى هـو الوضـع المجسـد لوضع المرأة فى المجتمـع الشـرقى رآه قاسـم أمـين، عندمـا نـادى بتحررهـا وطـالب بتعليمها، وقد تناول قضايا اجتماعية متعددة فى هذا الموضوع، كـانت هـذه المطـالب تمثل حقيقة وتغيراً جذرياً فى فكر المجتمع المصرية وتقاليده.

*تعليم المرأة:

إذا كان موضوع "تحرير المرأة" هو القضية التى دار حولها الجدل والنقاش - فى عصر قاسم أمين - إلا أن تعليم المرأة جاء متوجاً لدعوة قاسم أمين حيث أنه رأى

---

(1) المرجع السابق: المرأة الجديدة – المرجع السـابق، ص٢٦.
(2) قاسم أمين : المرأة الجديدة – المرجع السابق، ص٢٦.
(3) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٤٧، ٤٨.

أن المرأة فى حاجة إلى التعليم والتربية. والجدير بالذكر أن تعليم المرأة قد حظى بالاهتمام من قبل رواد الإصلاح فى القرن التاسع عشر وخاصة النصف الثانى منه. حتى نجد أن الذين عارضوا دعوة قاسم أمين قد طالبوا بتعليم المرأة، فكان على رأسهم محمد طلعت حرب والذى دعا إلى تعليمها قائلاً: "كثر حديث أهل مصر فى مسألة المرأة وحقوقها وما يجب أن تكون عليه فى الهيئة الاجتماعية وبحثوا فى الحرية وإطلاقها وأهملوا أمر التربية الحقيقية، ولم نسمع أن أحداً من فضلائنا قام بتأسيس مدرسة لتربية البنات"[1].

وقد لاقى تعليم المرأة الاهتمام العظيم فى فكر قاسم أمين، وأن موجز دعوته هى تعليم المرأة وتربيتها، حيث طالب بتعليمها من خلال المنظور الإسلامى، فيتساءل "هل صنعنا شيئا لتحسين حال المرأة وهل قمنا بما فرضه علينا العقل والشرع من تربية نفسها وتهذيب أخلاقها وتثقيف عقلها؟ أيجوز أن نترك نساءنا فى حالة لا تمتاز عن حالة الأنعام؟ أيصح أن يعيش النصف من أمتنا فى ظلمات من الجهل بعضها فوق بعض لا يعرفون فيها شيئاً مما يمر حولهن ما فى الكتاب ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾[*]؟ أليس بينهن أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا، وهن زينة حياتنا الدنيا، والجزء الذى لا يمكن فصله منا، دمنا من دمهن، ولحمنا من لحمهن؟ أليس الرجال من النساء؟ والنساء من الرجال، وهن نحن ونحن هن؟ أيتم كمال الرجال إذا كانت المرأة ناقصة؟ وهل يسعد الرجال إلا بالنساء؟"[2].

وإذا كانت دعوة قاسم أمين فى تعليم المرأة أقل هجوماً من قضية الحجاب إلا أنها وجدت خصومها الذين عارضوا تعليمها، فإنه "لا يزال الناس عندنا يعتقدون أن تربية المرأة وتعليمها غير واجبين بل إنهم يتساءلون هل تعليم المرأة القراءة والكتابة مما يجوز شرعاً أو هو محرم بمقتضى الشريعة"[3]؟ فهو يرى أن البعض ,

---

(1) محمد طلعت حرب "فصل فى الخطاب فى المرأة والحجاب – مطبعة الترقى – القاهرة – ١٩٠١م، ص٤٨.

(*) قرآن كريم: سورة البقرة – آية ١٧١.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٧٠، ٧١.

(3) المرجع السابق، ص٤١.

يعتقد أن تعليم المرأة محرم ويتعارض مع الإسلام. وخاصة في وقت خشي الناس فيه من خروج المرأة، وعدوا تعليمها خروجاً على الدين. ومن هنا ظهر خصوم تعليم المرأة، وظهر فريق يعارض تعليمها وتثقيفها في الوقت الذى يشكون فيه من جهالتها. لقد رسخ في أذهانهم أن تعليم المرأة وعفتها لا يجتمعان واستدلوا على أن تعليمها يزيدها براعة في الاحتيال ويعطيها سلاحاً تتقوى به على تنفيذ شهواتها. فالتعليم يزيد تفننها في المكر ويؤدى إلى ارتكاب المفاسد والرذائل. كما يجعلها تهمل بيتها وشئون أسرتها[1].

إن قاسم أمين يرى أن خصوم تعليم المرأة يعتقدون أن الإسلام لا يقتضى تعليم المرأة بل ربما ينهى عنه، وأن تعليمها مشكوك في قيمته الأخلاقية بل ربما يكون مضراً بالأخلاق،كما يرون أن تعليمها يفسد صلاحيتها للقيام بعملها الضرورى في البيت، كما أنه يبث فيها روح العصيان والتمرد على الزوج: هذه هي حججهم الثلاث.

ويبرهن قاسم أمين على هذه الحجج الثلاث، مقدماً أدلة قوية من الإسلام، فهو يرى أن الإسلام لم يسمح بتعليم المرأة فحسب بل يوجبه إيجاباً صريحاً، فالإسلام لم يقف حجر عثرة في طريق تعليم المرأة، كما لا ينطوى الإسلام على عنصر يتنافر مع التعليم، ولا توجد وصية واحدة في الإسلام تعادى أو تحرم تعليم المرأة[2]، ويستشهد قاسم أمين بآيات من الذكر الحكيم على دعوة الإسلام إلى التعليم، يقول تعالى﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (*). وقوله تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (**)، كما يستشهد بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، منها "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" و"العلماء

---

(1) المرجع السابق، ص٧٢.

(2) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص٣٢٤.

(*) قرآن كريم: سورة فاطر – آية، ٢٨.

(**) قرآن كريم: سورة المجادلة – آية، ١١.

ورثة الأنبياء[1] ثم يضيف قاسم أمين قائلاً "وقد نجد فى هدى نبينا صلى الله عليه وسلم ما يشير إلى ذلك، بل ما كان يجب أن يعد أصلاً من الأصول التى نركن إليها فى بناء أمورنا الملية، حيث قال فى شأن عائشة رضى الله عنها: (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) وعائشة امرأة لم تؤيد بوحى ولا بمعجزة وإنما سمعت فوعت، وعلمت فتعلمت" [2]، كما أنه "قد وجد فى مبدأ الإسلام عدد غير قليل من النساء كان لهن أثر فى مصالح المسلمين العامة. فجميع المسلمين يعلمون أن طائفة عظيمة من الأحاديث النبوية على اختلاف مواضيعها قد رويت عن عائشة وأم سلمة وغيرهما من أمهات المؤمنين ونساء الصحابة، وأن عدداً غير قليل من النساء اشتهر بخدمة العلم وجودة الشعر" [3].

وهكذا يرى قاسم أمين أن الإسلام أوجب تعليم المرأة، وطالب به كل مسلم ومسلمة، وخاصة بعد أن رأينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكثرة اهتمامه بالعلم والتعليم يجعل مهر المرأة أن يعلمها المتزوج لها بعض القرآن الكريم، كما كان يجعل فداء بعض الأسرى أن يعلموا بعض أبناء المسلمين القراءة والكتابة" [4].

ويرد قاسم أمين على خصوم تعليم المرأة مبرراً حقها فى التعليم، ويعارض القائلين بأن التعليم يفسد أخلاقها" [5]. فيقول "هكذا ننكره ونشدد النكير عليه، فإن التعليم - خصوصاً إذا كان مصحوباً بتهذيب الأخلاق - يرفع المرأة ويرد إليها مرتبتها واعتبارها ويكمل عقلها ويسمح لها أن تتفكر وتتأمل وتتبصر فى أعمالها.. والحقيقة أن طهارة القلب فى الغرائز والطبائع. فإن كانت المرأة صالحة زادها علمها صلاحاً وتقوى، وإن كانت فاجرة لم يزدها العلم فجوراً، وهكذا الحال فى الرجال. وضلال فريق من الناس بضرب من ضروب التعليم لا يمنع من تعاطيه، فقد قال الله

---

(1) قاسم أمين : الأعمال الكاملة - جـ1 - مرجع سابق، ص324 راجع صحيح البخارى - جـ-، ص 36، 38.

(2) قاسم أمين : تحرير المرأة - مرجع سابق، ص67.

(3) المرجع السابق، ص135.

(4) أحمد زكى تفاحة : المرأة فى الإسلام دار الكتاب اللبنانى ودار الكتاب المصرى - بيروت - 1979م - 38.

(5) قاسم أمين: تحرير المرأة - مرجع سابق، ص72.

فى شأن كتابه ﴿يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً، وما يضل به إلا الفاسقين﴾(*) فأثر التعليم لا يمكن أن يكون ضرراً محضاً، ولا يمكن أن يكون منشأ حقيقياً لضرر: والمرأة المتعلمة تخشى عواقب الأمور أكثر مما تخشاه الجاهلة،ولا تقدم بسهولة على ما يضر بحسن سمعتها، بخلاف الجاهلة فإن من أخلاقها الطيش والخفة"[1].

ويذهب قاسم أمين إلى أن المرأة إذا اعتادت أن تشغل أوقاتها بالمطالعة ومزاولة الأعمال المنزلية" وترتبت بين أهل وعشيرة رأت فيهم إسوة الجد والاستقامة، وغاب من بينهم كل ما يؤثر فى مشاعرهم أثراً غير صالح،أو يهيج حسها إلى أمر غير لائق، وتعودت أن تقيم من عقلها حاكماً على قواها الحسية - كان من النادر أن تحيد عن الطريق المستقيم-[2].

فهو يرى أن المرأة المتعلمة أكثر تقديراً لكرامتها وشرفها وأعظم قدرة على مقاومة الإغراء، أما الجاهلة فهى أسهل كثيراً انخداعاً بإغراء ذئاب الرجال، ومن ثم فإن "تربية العقل والأخلاق تصون المرأة ولا يصونها الجهل، بل هى الوسيلة العظمى لأن يكون فى الأمة نساء يعرفن قيمة الشرف وطرق المحافظة عليه" كما أن من يعتمد على جهل امرأته مثله كمثل أعمى يقود أعمى مصيرهما أن يترديا فى أول حفرة تصادفهما فى الطريق"[3].

ثم يبرهن قاسم أمين على أهمية تعليم المرأة وأثره فى شئون البيت، فيرى أن "إدارة المنزل صارت فناً واسعاً يحتاج إلى معارف كثيرة مختلفة، فعلى الزوجة وضع ميزانية الإيراد والتصرف بقدر ما يمكن التدبير حتى لا يوجد خلل فى مالية العائلة[4]، والى جانب هذه المسؤلية فإنها لا تقوم بواجبها تجاه زوجها ولا تستطيع الوفاء بحقوقها الزوجية إلا إذا كانت على درجة من التعليم، لأنها إذا نجحت فى

(*) قرآن كريم : سورة البقرة، آية، ٢٦.

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق: ص٧٢.

(2) المرجع السابق، ص٧٢، ٧٣.

(3) المرجع السابق، ص٧٦.

(4) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٦٠.

توفير السعادة الزوجية. فإنها لا شك قد نجحت فى رسالتها الزوجية، ولذلك يجب عليها "أن تجعل بيتها محبوباً إلى زوجها فيجد فيه راحته ومسرته إذا آوى إليه فتحلو له الإقامة فيه ويلذ له المطعم المشرب والنام. فلا يطلب المفر منه ليمضى أوقاته عند الجيران أو فى المحلات العمومية"[1].

وبذلك أدرك قاسم أمين أهمية تعليم المرأة وقيمته فى الحياة الزوجية. وهذا ما نادى به الطهاوى من قبل عندما طالب بتعليم المرأة "لحسن معاشرة الأزواج... ويصلحن لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن"[2]، لأن المرأة المتعلمة هى اجدر بالاحترام والتقدير من المرأة الجاهلة، ومتى رأى الرجل امرأته بهذه المنزلة من الجهل بادر إلى نفسه احتقارها وعدها عدماً لا أثر لها فى شئونه، هى متى رأته أهمل وأغضى صدرها، ظنت أنه يظلمها، وبكت سوء حظها الذى ساقها إلى رجل لا يقدرها قدرها، ونبتت البغضاء فى قلبها، ومن ثم تبتدىء - عيشة لا أظن أن الجحيم أشد نكالاً منها- عيشة يرى كل منهما فيها أن صاحبه هو العدو الذى يحول بينه وبين السعادة"[3].

فعلاقة الرجل بزوجته تحددها التربية والتعليم المقدمة لكل منهما، فإذا لم تتناسب التربية بينهما،فإن الحياة تصبح غير ممكنة، ولا ينشأ الحب بين أى شخصين إن لم يكن هناك تناسب فى التربية، فالحب لا يمكن أن يوجد بين رجل وامرأة إذا لم يوجد بينهما تناسب فى التربية والتعليم، ويجب ألا يفهم أن الرجل المتعلم إذا لم يحب زوجته فهى يمكنها أن تحبه، فإن توهم ذلك يعد من الخطأ الجسيم، لأن الحب الحقيقى الذى عرفت عنصريه المادى والمعنوى لا يبقى إلا

---

(1) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(2) رفاعة الطهطاوى : الأعمال الكاملة – جـ١ – دراسة وتحقيق محمد عمارة – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ١٩٧٣م ص ٢٠٨.

(3) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٥١.

بالاحترام، والاحترام يتوقف على المعرفة بمقدار من تحترمه والمرأة الجاهلة لا تعرف مقدار زوجها"[1].

وقد ذهب قاسم أمين إلى أبعد من ذلك عندما أعلن أن المرأة الجاهلة تكون أحكامها خاطئة على الرجل عادة، فكثير من نسائنا يمدحن رجالاً لا يقبل رجل شريف أن يمد لهم يده ليصافحهم. ويكرهن آخرين ممن نعتبر وجودهم شرفاً لنا. ذلك لأن المرأة الجاهلة تحكم على الرجل بقدر عقلها. فأحسن رجل عندها هو من يلاعبها طول النهار وطول الليل، ويكون عنده مال لا يفنى لقضاء ما تشتهيه من الملابس والحلى والحلوى، وأبغض الرجال عندها من يقضى أوقاته فى الاشتغال فى مكتبه، كلما رأته جالساً منحنى الظهر مشغولاً بمطالعة كتاب غضبت منه، ولعنت الكتب والعلوم التى تسلب منها هذه الساعات .. ومن هنا يتولد على الدوام نزاع لا ينتهى إلا بنزاع جديد، و لا يدرى الزوج المسكين ماذا يصنع إذا أراد أن يجمع بين هذين العدوين: الزوجة والعلم[2]، فعلاقة الرجل بزوجته، أو بمعنى آخر سعادة الرجل ومستقبله تتوقف على التربية المقدمة لزوجته، حتى تتمكن من أن تساعده على حاجات الحياة، وليتم له بعض السعادة، هذا يمكن أن يكون، ولكن كيف الوصول إليه .. مع جهل المرأة"[3]؟

وإلى جانب الأدلة والبراهين السابقة التى ساقها قاسم أمين على حق المرأة فى التعليم، فإنه يبرز دور المرأة فى تربية الأطفال، وما تحتاجه هذه المرأة من معارف وعلوم لكى تحسن وظيفتها، وخاصة أن الطبيعة قد اختارت المرأة وندبتها إلى المحافظة على آداب النوع فسلمتها زمام الأخلاق وائتمنتها عليها، فهى التى تصنع النفوس وهى ساذجة لا شكل لها. فتصوغها فى أشكال الأخلاق، وتنشر تلك

---

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق ص ص٥٥، ٥٦.

(2) المرجع السابق، ص ص٥٨، ٥٩.

(3) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٥٩.

الأخلاق بين أولادها فينتقلوها إلى من يتصل بهم فتصبح أخلاقاً للأمة بعد أن كانت أخلاقاً للعائلة"[1].

وقاسم أمين يوضح دور الأم المتعلمة المثقفة في تربية الطفل، تلك الوظيفة الأساسية التي لا يمكن للمرأة القيام بها وهي جاهلة، فتربية الطفل تستدعي تعليم الأم أولاً، أو كما يقول" سيمور Semour أحد الحكماء " إن تربية الطفل يجب أن تبدأ قبل ولادته بعشرين عاماً .. بتربية أمه"[2]، فإذا كانت صحة أولادنا ومرضهم وحياتهم وموتهم متعلقاً بالطريقة التي يتبعها النساء في تربيتهم أفلا يكون من ضعف العقل وسخافة الرأى أن لكل أولئك الأولاد إلى ما يقترحه الجهال ونتركهم إلى خرافات المراضع ونصائح العجائز تتصرف فيهم كيف تشاء "كما أن " الأمهات الجاهلات يقتلن في كل سنة من الأطفال ما يربو على عدد القتلى في أعظم الحروب! وكثير منهم يجلبن على أولادهن أمراضاً وعاهات مزمنة تصير بها الحياة حملاً ثقيلاً عليهم طول عمرهم، وليس لهذا البلاء سبب في الأغلب سوى جهل الأمهات بقوانين الصحة"[3].

وقاسم أمين بذلك قد أدرك دور التعليم في إصلاح النشيء وتثقيف عقولهم، وهذا التعليم - كما يراه قاسم أمين - يجب تقديمه للمرأة قبل الرجل، لما لها من مسئولية تربية الطفل، فإذا كانت الأم جاهلة فتصل به إلى طريق مسدود، فيضرب مثالاً على جهل المرأة بأصول تربية الطفل قائلاً انظر إلى ما تعمله امرأة مصرية مع ولدها تجده مما لا يصدر عن إنسان عاقل يقدر لعمله نتيجة، مثال ذلك تمنعه من اللعب كي لا يشوش عليها، وهي لا تدري أنها بمنعها له من اللعب تقف في سبيل نموه[4]، في حين "اتفق الاجتماعيون والمربون في العالم على أن الطفل يحتاج للعب كما يحتاج للأكل والحماية والرعاية سواء بسواء، ولا يظن أن قوة في الأرض

---

(1) قاسم أمين : الأعمال الكاملة - جـ2- مرجع سابق، ص198.

(2) زيدان عبد الباقي: المرأة بين الدين والمجتمع - النهضة المصرية - القاهرة - 1977م، ص219.

(3) قاسم أمين : المرأة الجديدة - مرجع سابق، ص113.

(4) المرجع السابق، ص115.

تستطيع أن تحرم الصغار منه وتنجح في ذلك. فالصغير لا بد أن يلعب سواء برضاء الكبار أو بغير رضاهم"[1]. ومن الأمثلة السيئة أيضاً - التي كانت شائعة آنذاك - التي ذكرها قاسم أمين عن جهل المرأة بأصول التربية هي إذا "أرادت أن تؤدبه هددته بما لا تستطيع أو بما تريد أن تنفذه أو خوفته بموهمات تثير في ذهنه خيالات ربما لازمته مدة حياته، وإذا أرادت أن تكافئه وعدته بوعود لا تفي بها. فتكون له بذلك قدوة في الكذب، وتحدث في نفسه ضعف الثقة بالقول وهي في أغلب حالاتها تظهر الغضب عليه وتنهره بالصوت الشديد وترعجه بحركات التهديد، كأنها تريد أن تثبت له بأقوى الدلائل أنها عاجزة عن ضبط نفسها وسياسة قواها، وربما كان السبب الذى أثار غضبها لا يستحق من ذلك كله شيئاً، فإذا رأت منه انفعالاً مما صدر منها لم تلبث أن تضمه وتقبله له غاية الندم على ما صدر منها، و الولد المسكين لا يدرى كيف استحق غضبها أولاً ثم رضاها ثانياً"[2].

ثم يتساءل "أليس من جهل الأم بقوانين الصحة أن تهمل ولدها من النظافة فيعلوه الوسخ وتتركه متشرداً في الطرق والأزقة يتمرغ في الأتربة كما تتمرغ صغار الحيوانات؟ أليس من جهلها أن تدعه كسلان يفر من العمل ويضيع وقته الذى هو رأس ماله مضطجعاً أو نائماً أو لاهياً من أن سن الطفولة لا تعرف الكسل وهي سن النشاط والعمل والحركة؟... أليس من جهلها أن تسلك في تأديب ولدها طريق الإخافة بالجن والعفاريت وأن تأخذ من وسائل صيانته ووقايته من المضرات تعليق التعاويذ والطواف به حول القبور في زوايا الأضرحة وغير ذلك مما لا يبالى به الجاهلون بأصول الدين وفضائل الأعمال وله من الأثر السيء في أنفس الناشئين، بل في أرواح الرجال، ما يجر إلى كل شر ويبعد عن كل خير؟"[3]. أليس ذلك من الأساليب التى تحاربها التربية الحديثة في تربية الطفل، وأن هذه التربية تقع على الأم قبل الأب،لأنه "من المعلوم أن الطفل لا يعيش من طفولته إلى سن التمييز إلا بين

---

(1) يعقوب فام : أطفالنا كيف نسوسهم – مطبعة وديع أبو فاضل – مصر – (د.ت)، ص ٢٥، ٢٦.

(2) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١١٦.

(3) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ص٦٥، ٦٦.

النساء. فهو دائماً محاط بأمه وأخواته وعماته وخالاته وخادماتهن وصواحبهن ويرى أباه فى أوقات قليلة، فإذا كل هذا الوسط الذى ينشأ فيه طيباً كانت تربيته طيبه. وإن كان سيئاً ساءت تربيته، والأم الجاهلة ليس فى استطاعتها أن تصبغ نفس ولدها بصبغة الصفات الجميلة؛ لأنها لا تعرفها. وغاية ما تستطيع هو أنها تدعه يلتقط الخلال الرديئة بما يعرض له أنه لم تبذر بيدها حبوبها فى نفسه وتغرس فيها الملكات السيئة"[1].

ولما كان الأمر كذلك فإن قاسم أمين قد طالب بتعليم المرأة من أجل أن تحسن دورها فى الوظيفة العائلية والتى تتمثل فى تربية الأطفال والتى تحتاج إلى معلومات وفيرة، ومعارف مختلفة حتى تعرف دائماً كيف تجيب دون أن تخطىء على تساؤلات الطفولة التى لا تنقطع"[2] فتعطى لهم إجابات صحيحة دون أن تتطرق إلى الوهم والخيال، تلك هى دعوة النظريات الحديثة فى التربية وكما رآها قاسم أمين فى تعليم المرأة من أجل تعليم الرجل، ومن هنا قيل: إذا علمت رجلاً فقد علمت فرداً واحداً، أما إذا علمت امرأة فقد علمت أسرة بأكملها.

ويستشهد قاسم أمين برأى بعض العلماء والفلاسفة والمربيين على أهمية تعليم المرأة ودوره فى تهذيب النوع الإنسانى. فقد قال سيملس Semles للمرأة فى تهذيب النوع الإنسانى أكثر مما لأى أستاذ فيه، وعندى منزلة الرجل فى النوع منزلة المخ من البدن ومنزلة المرأة منه منزلة اللب، وقال شيلر Sheller كلما وجد رجل وصل بعمله إلى غايات المجد وجدت بجانبه امرأة محبوبة" وقال روسو Rousseau "يكون الرجال كما تريد النساء، فإذا أردت أن تجعل الرجال من ذوى الهمة والفضيلة فعلم النساء الهمة والفضيلة"[3]. وقال مارتين Martin "إذا قرأت المرأة كتاباً فكأنما قرأ زوجها وأولادها"[4].

---

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة –مرجع سابق، ص٦٥.

(2) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص٢٨١، ٢٨٢.

(3) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٢٣.

(4) المرجع السابق، ص١٢٤.

ومن أجل ذلك طالب قاسم أمين كل أب أن يعلم بنته بقدر ما يستطيع، وأن يهتم بتعليمها وتربيتها مثلما يهتم بتعليم الولد، فالتعليم للبنت مفيد في جميع مراحل حياتها "فإذا تزوجت بعد ذلك فلا يضرها علمها بل تستفيد منه كثيراً وتفيد عائلتها، وإن لم تتزوج أو تزوجت ثم انفصلت عن زوجها لسبب من الأسباب الكثيرة الوقوع أمكنها أن تستخدم معارفها في تحصيل معاشها بطريقة ترضيها وتكفل راحتها واستقلالها وكرامتها"[1].

وإذا كان التعليم ضرورة من ضروريات الحياة فإن قاسم أمين يعده من أهم الضرورات لحياة المرأة، فهو سبيلها في الحياة، وسلاحها وقت الضرورة، وخاصة أن الوقائع أظهرت لنا أن كثيراً من النساء لا يجدن من الرجال من يعولهن، فالبنت التي فقدت أقرباءها ولم تتزوج، والمرأة المطلقة، والأرملة التي توفي زوجها، والوالدة التي ليس لها أولاد .. كل هؤلاء المذكورات يحتجن إلى التعليم ليمكنهن القيام بما يسد حاجاتهم وحاجات أولادهن إن كان لهن أولاد، أما تجردهن عن العلم فيلجئن إلى طلب الرزق بالوسائل المخالفة للآداب أو إلى التطفل على بعض العائلات"[2] أو لو فرض أن المرأة لا تخلو من زوج أو ولي ينفق عليها أفلا تكون التربية ضرورية لمساعدة ذلك العائل إن كان فقيراً، أو تخفيف شيء من أثقال إدارة المال داخل البيت إن كان غنياً؟ فإن كانت المرأة غنية بنفسها - هو نادر - بأن كان لها إيراد من عقارات ونحوها، أفلا يفيد التعليم في تدبير ثرواتها وإدارة شئونها"[3]؟

وإلى جانب المبررات والبراهين التي ساقها قاسم أمين في حق المرأة في التعليم فإنه يبرز أهمية هذا التعليم وأثره في تكوين شخصية المرأة، وبناء فكرها وإرادتها، فالتعليم يعين المرأة على مواجهة الحياة ومشاكلها، فكثير من النساء "كل يوم في اضطرار إلى تسليم أموالهن إلى قريب أو أجنبي، ونرى وكلاءهن يشتغلون بشئون أنفسهم أكثر مما يشتغلون بشئون موكلاتهم، فلا يمضي زمن قليل حتى

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٢.

(٢) قاسم أمين: تحرير المرأة - مرجع سابق، ص٤٤.

(٣) قاسم أمين : تحرير المرأة - مرجع سابق، ص ص٤٥، ٤٦.

يغتنى الوكيل ويفتقر الأصيل"كما أن كثيراً من النساء يضعن أختامهن على حساب مستند أو عقد يجهلن موضوعه أو قيمته وأهميته لعدم إدراكهن كل ما يحتوى عليه أو عدم كفاءتهن لفهم ما أودعه. فتجرد الواحدة منهن عن حقوقها الثابتة بتزوير أو غش أو اختلاس يرتكبه زوجها أو أحد أقاربها أو وكيلها. فهل كان يقع ذلك لو كانت المرأة متعلمة؟"[1]

فهو يرى أن التعليم ينير للمرأة طريقها ويبصرها لحقوقها، سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة، وإذا كانت متزوجة فالتعليم ضرورى لمعرفة حقوقها الزوجية وخصوصاً أن المرأة والرجل دائماً لا يتفقان إذا لم يوجد تناسب بينهما فى التربية والتعليم.

ومن ثم فالتعليم حق طبيعى لكل نفس بشرية - سواء أكان رجلاً أم امرأة - تتطلع إلى الكمال والسعادة، فالتعليم مطلب شخصى إلى جانب أنه مطلب اجتماعى، ولذلك يجب أن تربى المرأة على أن تكون لنفسها.. على أن تدخل فى المجتمع الإنسانى وهى ذات كاملة لا مادة يشكلها الرجل كيف ما شاء، يجب أن تربى المرأة على أن تجد أسباب سعادتها وشقائها فى نفسها لا فى غيرها[2].

كما يرى قاسم أمين أن تعليم المرأة يجب أن يوجه إلى الاهتمام بترقية شخصيتها وأن يتناول "العناية بصحة المرأة لوقايتها من الهلاك والأمراض، وكذلك يلزم العناية بصحة المرأة لوقايتها من الهلاك والأمراض، وكذلك يلزم العناية بصحتها حرصاً على صحة أولادها ووقايتها من العلل، لأن ما يعرض على مزاج الأم ما يكون فيه من الاستعداد للمرض ينتقل بالوراثة إلى الأولاد"[3].

ولما كانت المرأة ميزان العائلة فإن قاسم أمين قد ذهب إلى أن تعليم المرأة له تأثير قوى على نجاح هذه العائلة، فالمرأة محتاجة إلى التعليم لكى تصبح "رفيقة للرجل، وعشيرة عارفة بإرادة بيتها وصديقة تغذى زوجها بأعز ما لديها، وأماً

---

(1) المرجع السابق، ص٤٦.

(2) قاسم أمين : المرأة الجديدة - مرجع سابق، ص١٠٨.

(3) قاسم أمين: الأعمال الكاملة - جـ٢- مرجع سابق، ص١٩١.

محيطة بما يجب عليها لأولادها عارفة بطرق تربيتهم فكل ما فعلناه إلى الآن وكل ما نفعله في المستقبل لترقية شأن أمتنا يضيع هباء منثورا"[1] إذا أهملنا تعليم المرأة وحرمناها من التربية.

ومن هنا كانت دعوة قاسم أمين إلى الإصلاح الاجتماعي - المتمثل في المرأة- لأن المرأة إذا كانت "منحطة احتقرها زوجها وأهلها وأولادها وعاشوا جميعا منحلين لا يرتبط بعضهم ببعض ولا يعرفون نظاما ولا ترتيبا في معيشتهم فتفسد آدابهم وعوائدهم، وإن كانت على جانب من العقل والأدب هذبت جميع العائلة، واحترمها أفرادها، واحترموا أنفسهم، وعاش الجميع في نظام تام تحت لواء محبتها متضامنين أقوياء باتحادهما، وهذه الصفات التي تشاهد في العائلة هي الصفات التي تشاهد في الأمة، إذ كل هنا يسلك في أمته مسلكه في عائلته، ومن المحال أن يكون للإنسان من الصفات والأخلاق في أمته ما ليس له نموذج في منزله، وأن يعامل مواطنيه بأخلاق غير التي يعامل بها أفراد عائلته، وإن كان حسن الأخلاق في عائلته كان كذلك في أمته، وإن كان سيء الأخلاق في عائلته ساءت أخلاقه في أمته أيضا، وهي هذا يتبين مقدار وعمل المجتمعات في تقدم الأمم وتأخرها"[2].

وإذا كانت العلاقة وثيقة بين تقدم المجتمع وتعليم المرأة كما يرى قاسم أمين، فإنه يرى أن تربيتها ليست من الكماليات "وإنما هي من الحاجيات، بل من الضروريات التي يجب سهل بها والعناية بتوفير ما يلزم لها من المعدات، وهي الواجب الخطير الذي إن قمنا به سهل علينا كل إصلاح سواه وأن أهملناه أفسد علينا كل إصلاح سواه "[3].

وخلاصة القول: إن قاسم أمين قد برهن على أهمية تعليم المرأة، وقد ساق حججا قوية حتى يثبت حق المرأة في التعليم، وأنه عالج مركزها كزوجة وتأثر العلاقة بينها وبين زوجها، ثم عالج مركزها كأم وقدر فضلها في تربية أولادها

---

(1) المرجع السابق، ص١٨٥.
(2) قاسم أمين: تحرير المرأة سابق، ص ص١٣١، ١٣٢.
(3) المرجع السابق، ص ص١٣٢، ١٣٣.

تقديراً عظيماً. ثم عالج مركزها من الأمة والمجتمع فرأى أنها هى التى تحمل أثقل الأعباء فى خلق الجيل الناشىء. ثم عالج مركزها كإنسان له حقوق وواجبات. وهى حجج ومبررات قد قدمها قاسم أمين ليبرهن بها على حق المرأة فى التربية والتعليم؛ مع أن الكثير من رواد الإصلاح تناول هذا الجانب إلا أن قاسم أمين قد عرضه عرضاً منطقياً. وحسبنا أن نقول أن البذور الأولى كانت بذرت فى منتصف القرن التاسع عشر لكنها أينعت على يدى قاسم أمين فى السنين الأخيرة من القرن الماضى.

*كيفية تعليم المرأة:

ولما كان تعليم المرأة من الضرورات. فإن قاسم أمين يتساءل "ما هى التربية التى تناسبها؟ هل يناسبها تربية كتربية الرجل؟ أو تخص بتربية أخرى؟ وهل يمكن تربيتها مع الحجاب؟ أو لابد فيها من إبطاله؟ وهل يعمل فيها على قواعد تأخذ من العلوم الغربية الحديثة؟ أو يرجع فيها إلى أصول الدينة الإسلامية القديمة"[1].

ويجيب قاسم أمين على ذلك مطالباً بأن تتعلم المرأة وما يتفق مع طبيعتها وطبيعة عملها؟ فهو لا يطالب المساواه بينها وبين الرجل فى التعليم، فيقول "ولست ممن يطلب المساواه بين المرأة والرجل فى التعليم، فذلك غير ضرورى، وإنما أطلب الآن، ولا أتردد فى الطلب، أن توجد هذه المساواه فى التعليم الابتدائى على الأقل، وأن يعتنى بتعليمهن إلى هذا الحد مثل ما يعتنى بتعليم البنين"[2]، "فيجب أن تتعلم كل ما ينبغى أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائى على الأقل، حتى يكون لها إلمام بمبادىء العلوم يسمح لها بعد ذلك باختيار ما يوافق ذوقها منها وإتقانه بالاشتغال به متى شاءت"[3].

---

(1) قاسم أمين : المرأة الجديدة، مرجع سابق، ص١٥٦، ١٥٧.

(2) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٦٨.

(3) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٤٢.

وإذا كـان قاسـم أمـين قـد رأى أن المـرأة تتسـاوى مـع الرجـل فـى التعليـم الابتدائى فإنه قد طالب باختلاف نوعيـة التعليم ومحتـواه. "لأن مـا يتعلمـه بعـض البنات... غير كاف، لأنهن يتعلمن القراءة والكتابة بالعربية وبلغة أجنبية وشيئاً مـن الخياطة والتطريز والموسيقى، ولا يتعلمن مـن العلـوم مـا يسـتفدن منـه فـائدة يلتفـت إليها"[1].

إن قاسم أمين يرى أن المناهج التى تعطى للمرأة - آنذاك - غير مناسبة، ولا تتفق معها كأنثى، فطـالب بتقديـم نوعيـة مختلفـة مـن المنـاهج حتـى تتناسـب مـع طبيعتها، فهو ينعى تعليم المرأة يومئذ قائلاً: "أكثر ما تعرفـه المـرأة التـى يقـال الآن أنها متعلمة هو القراءة والكتابة، وهذه واسطة من وسـائط التعليم وليست غاية ينتـهى إليها، وما بقى من معارفها قشور تجمعها الحافظة فى ريعان العمر ثـم تنفلـت منـها واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى شيء. أين هــذه القشـور مـن الحقـائق العلميـة التـى يتغذى منها العقل ويتقوى بها على مطاردة الوهم"[2].

فهو لا ينسى فى حديثه عن تعليم المرأة أن يمـيز بـين التعليـم الجـاد الـذى يطلبه للمرأة وبين ذلك التعليم الذى ليس له من التعليم سوى المظهر والقشور. ولذلك ينتقد ما كان موجوداً يومها من تعليم تتلقاه المـرأة، ولا يؤمـن بـالعلوم التـى لا فـائدة فيها للمرأة، وإنما "المهم فـى هـذه التربيـة هـو تشـويق عقـل المـرأة إلى البحـث عـن الحقيقة، وليس حشو ذهنها بالمواد حتى إذا انتهت مدة تعليمها فى المـدارس اسـتمر شوقها إلى الحق فتتحرك دائماً إليه وتعتبر به"[3].

ومن العلوم التـى يراهـا قاسـم أمـين لتعليـم المـرأة "أصـول العلـوم الطبيعيـة والاجتماعية والتاريخية لكى تعرف القوانين الصحيحة التـى ترجـع إليـها حركـات الكائنات وأحوال الإنسان، كما أنها تحتاج لتعلم مبـادىء قـانون الصحـة ووظـائف

---

(1) المرجع السابق، ص٦٨.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة - مرجع سابق، ص٦٩.

(3) قاسم أمين: المرأة الجديدة - مرجع سابق، ص١٦١.

الأعضاء حتى يمكنها أن تقوم بتربية أولادها"[1]: ثم يضيف قائلاً: فإذا تعلمت المرأة القراءة والكتابة واطلعت على أصول الحقائق العلمية. وعرفت مواقع البلاد. وأجالت النظر في تاريخ الأمم. ووقفت على شيء من علم الهيئة والعلوم الطبيعية: وكانت حياة ذلك كله في نفسها عرفانها العقائد والآداب الدينية، استعد عقلها لقبول الآراء السليمة وطرح الخرافات والأباطيل التي تفتك الآن بعقول النساء"[2].

وقاسم أمين يرى أن التربية على هذا الأساس لا تقف عند إحسان القراءة والكتابة لأن هذه وسيلة من وسائل التعليم فحسب وإنما التربية الصحيحة هي التي تنشيء في المرأة عقلاً عملياً يصل السبب بالنتيجة والعلة بالمعلول، فإذا كسبت المرأة هذا العقل حل عندها محل الخيال وأصبح عندها جملة من المعارف والحقائق تنير لها الطريق وتتبصر أمورها، فكلما تجردت المرأة من الأوهام والخيالات قربت من السعادة وتخلصت من العادات المرذولة التي تقيد المرأة والمجتمع.

كذلك دعا قاسم أمين إلى التربية الجسمية اللازمة للمرأة قائلاً "فلأن المرأة محتاجة إلى الصحة كالرجل فيجب أن تتعود على الرياضة .. ويلزم أن تعتاد على ذلك من أول نشأتها وتستمر عليها من غير انقطاع وإلا ضعفت صحتها وصارت عرضة للأمراض"[3]، كما طالب "بوجوب الاعتناء بتربية الذوق عند المرأة وتنمية الميل في نفسها إلى الفنون الجميلة"[4]، صحيح أن الإحساس الجمالي فطري، ولكنه بحاجة إلى صقل شأنه شأن أية غريزة مفطورة بالطبيعة الإنسانية فالجانب الجمالي عند المرأة له علاقة وثيقة بالجانب الإبداعي الإيجابي"[5].

ولما كانت وظيفة المرأة ترتبط بالأعمال المنزلية فإن قاسم أمين دعا إلى "أن تتعلم صناعة الطعام وترتيب البيت"[6]، وكل ما يتعلق بالحياة الأسرية سواء أكان

---

(1) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق،ص٤٢.

(3) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٥٧، ١٥٨.

(4) المرجع السابق، ص١٦٢.

(5) يوسف ميخائيل أسعد : المرأة والحرية – مطبعة نهضة مصر – ١٩٧٧م، ص ١٣٧، ١٣٨.

(6) قاسم أمين :المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٦١.

لخدمة العمل العائلى أم العمل الاجتماعى. كذلك يقترح على المرأة أن تتعلم صناعة الطب وتربية الأولاد[1]، لأن كل هذه الأعمال تناسب طبيعة المرأة، فتخدم العائلة وتخدم المجتمع فى آن واحد، ويدعو قاسم أمين إلى كل من "يتولى تربية المرأة أن يبادرها من بداية صباها بتعويد حب الفضائل التى تكمل بها النفس فى ذاتها والفضائل التى لها أثر فى معاملة الأهل وحفظ نظام القرابة والفضائل التى يظهر أثرها فى نظام الأمة حتى تكون تلك الفضائل جميعها ملكات راسخة فى نفسها ولا يتم له ذلك إلا بالإرشاد القولى والقدوة الصالحة، هذه هى التربية التى أتمنى أن تحصل عليها المرأة المصرية ... إن المرأة بدون هذه التربية لا يمكنها أن تقوم بوظيفتها فى الهيئة الاجتماعية وفى العائلة"[2]، هذه "هى التربية الكاملة التى تيسر للمرأة الجمع بين واجباتها المختلفة المتعددة، فتعدها لأن تكون إنساناً يكسب عيشه وزوجة قادرة على أن تحصل لعائلتها أسباب الراحة والهناء وأماً صالحة لتربية أولادها"[3].

ثم يرى قاسم أمين أن المرأة لا تتعلم مع الحجاب - سواء أكان الحجاب أم التحجب - لأنه يرى أن "الحجاب مانع للمرأة من ورود هذا المنبع النفيس"[4]. وهو العلم، لأن "المرأة والتى تعيش مسجونة فى بيتها ولا تبصر العالم إلا من نوافذ الجدران أو من بين أستار العربة، ولا تمشى إلا وهى كما قال الأمير على القاضى "(ملتفة بكفن) لا يمكن أن تكون إنساناً حياً شاعراً خبير بأحوال الناس، قادراً على أن يعيش بينهم"[5].

---

(1) أنظر نفس الفصل ص ٢٣٣ من هذه الدراسة.

(2) قاسم أمين : تحرير المرأة - مرجع سابق، ص٤٢، ٤٣.

(3) قاسم أمين : المرأة الجديدة - مرجع سابق، ص١٦٣.

(4) قاسم أمين :المرأة الجديدة - مرجع سابق، ص١٦٩.

(5) المرجع السابق، نفس الصفحة.

فهو يطلب تعليم المرأة من خلال مؤسسات تعليمية، فالبيت غير كاف لتعليمها لأن التعليم عملية منظمة وموجهة - تعليم مقصود - فالحجاب يجبس المرأة فى دائرة ضيقة فلا ترى ولا تسمع إلا القشور.

ومما سبق يتضح أن قاسم أمين قد طالب بتعليم المرأة حسب ما يتفق مع طبيعتها كأنثى، كما دعا إلى استمرار تربيتها وتعليمها من خلال المدارس إلى جانب تأثرها بتجارب الحياة، ويرى أن خروج المرأة لتلقى العلم ليس فيه ما يخل بالعفة، "فسوء التربية هو علة الخفة والطيش، وهو الذى يسهل على امرأة ذات مكانة فى بيتها وقومها أن تطيل نظرها إلى شباب يمر فى طريقها ..وسؤ التربية هو الذى يخرق كل حجاب، ويفتح على المرأة من الفساد كل باب"(١).

*قضايا المرأة:

من القضايا الهامة التى تناولها قاسم أمين، والتى أثير حولها الجدل والنقاش:

١- ما أثاره قاسم أمين عن الحجاب الذى كان يسود عالم المرأة فى ذلك الحين.

٢- نقد قاسم أمين لنظام تعدد الزوجات والدعوة إلى ضبطه وتقييده.

٣- ما دعا إليه قاسم أمين من ضرورة تقييد الحق المطلق الممنوح للرجل مع إنهاء رابطة الزوجية بالطلاق.

ومع أن القضايا دينية إلا إن قاسم أمين قد عدها من أهم القضايا الاجتماعية التى تمس حياة المجتمع، وقد عالجها بالبحث والدراسة من خلال الإسلام، مقدماً أدلته من القرآن والسنة ورأى الفقهاء.

أولاً الحجاب:

ويناقش قاسم أمين الحجاب من ناحيتين:

الأول: الحجـاب: وهو كشف الوجه واليدين للمرأة، أى "ضرب الخمر على الجيوب"(٢).

---

(١) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٠٦.

(٢) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٨٩.

الثانى: التحجب: وهو ما يتعلق بـ "قصر المرأة فى بيتها والحظر عليها أن تخالط الرجال"[1].

وقد تناول مسألة الحجاب على مرحلتين, ففى المرحلة الأولى :

تناول بالبحث مسألة الحجاب من خلال كتابه "المصريون " الذين صدر سنة ١٨٩٤م حيث إنه دافع فيه عن الحجاب، وامتدح النظام الصارم والذى جعل من المجتمع الشرقى مجتمعاً انفصالياً يحرم فيه اختلاط الرجال بالنساء "لأن ديننا.. قد أوصى بأن يكون للرجال مجتمعهم الذى لا تدخله امرأة واحدة وأن يجتمع النساء دون أن يقبل بينهن رجل واحد. لقد أراد بذلك حماية الرجل والمرأة مما ينطوى على صدرهما من ضعف والقضاء الجذرى على مصدر الشر"[2].

كما هاجم المرأة الأوربية وغالى فى تصوير مساوىء الاختلاط، ورأى أن ديننا الحنيف هو الذى يلهمنا الفضيلة، فإنه "على نقيض العادات الأوربية التى تبدو أنها خلقت لنشر المتعة على الأرض.. تبدو عاداتنا نحن مستلهمة من الفضيلة"[3].

ويتبين من ذلك :

١-أنه أيد الحجاب للمرأة ودافع عن المجتمع الشرقى من خلال تعاليم الإسلام.

٢-أنه نقض الاختلاط والتبرج فى أوربا.

٣- توصل إلى أن المرأة الشرقية ليست فى حاجة إلى الإصلاح (تحريرها - تعليمها) وليست هناك أى مشكلة أو قضية تستحق البحث والدراسة.

وتأتى المرحلة الثانية فى فكر قاسم أمين ويظهر بوضوح التطور الفكرى عنده من خلال كتاب "تحرير المرأة" الذى صدر سنة ١٨٩٩م، ويتحول عن موقفه الأول ويقرر أن الحجاب ميزة للمرأة الشرقية ولكن يجب النظر فيه واتباع الحجاب الشرعى، هو يرى أن الحجاب عادة قديمة، فطالب بالحجاب الشرعى وتمسك به، ولذلك يقول" فإننى لا أزال أدفع عن الحجاب واعتبره أصلاً من أصول الأدب التى

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق،ص٢٩٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩٤.

يلزم التمسك بـها، غير أنـى أطلب أن يكـون منطبقاً علـى مـا جـاء فـى الشريعة الإسلامية - على ما فى تلك الشريعة – يخالف ما تعارفه الناس عندنا"[1].

وعن الحجاب (الخُمار)، يرى قاسم أمين أنـه "دور مـن الأدوار التاريخيـة لحياة المرأة في العالم "وقد استشهد بـ "لاروس" Loroos حيث قال "كـانت نسـاء اليونان يستعملن الخمار إذا خرجن ويخفين وجههن بطـرف منـه كمـا هـو الآن عنـد الأمم الشرقية"وقال "ترك الدين المسيحي للنساء خمارهن وحـافظ عليـه عندمـا دخـل في البلاد فكن يغطين رؤوسهن إذا خرجن في الطريق وقـت الصـلاة وكـانت النسـاء تستعمل الخمار في القرون الوسطى، خصوصاً في القرن التاسع، فكان الخمار يحيـط بأكتاف المرأة ويجر على الأرض تقريباً واستمر كذلـك إلى القـرن الثـالث عشـر حيـث صارت النساء تخفف منه إلى أن صار كمـا هـو الآن نسـيجاً خفيفـاً يسـتعمل لحمايـة الوجه من التراب والبرد"[2].

فهو يرى أن الخُمار عادة قديمة، وليست مستحدثة، وهـذا مـا ذهـب إليـه العقاد حينما قال "جاء الإسلام والحجاب فـى كـل مكـان وجـد فيـه تقليـد سـخيف وبقية من بقايا العادات الموروثة"[3].

فقد ذهب قاسم أمين إلى أن الإسلام لا يعرف الحجاب كمـا كـان موجـوداً، "ولو أن فى الشريعة الإسلامية نصوصاً تقضى بالحجاب على ما هو معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب عليّ اجتنـاب البحـث فيـه، ولـا كتبـت حرفـاً يخـالف تلـك النصوص مهما كانت مضرة فى ظاهر الأمـر لأن الأوامـر الإلهيـة يجـب الإذعـان لهـا بدون بحث ولا مناقشة لكننا لا نجد نصاً فى الشـريعة يوجـب الحجـاب علـى هـذه

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٧٧.

(2) المرجع السابق، ص٧٩.

(3) عباس محمود العقاد: المرأة فى القرآن – دار نهضة مصر – ١٩٧٦م، ص٦١.

الطريقة المعهودة"[1]، ومن المعروف أن الطريقة التى كانت معهودة على عهد قاسم أمين هى أن تكون "المرأة مغلقة من رأسها إلى قدميها"[2]. ولا يظهر حتى وجهها.

فيدعو قاسم أمين إلى اتباع الحجاب الشرعى والذى يخالف التبرج الغربى وأيضاً التزمت الشرقى، لأن "الغربيين قد غلوا فى إباحة التكشف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لثارات الشهوة وما لا ترضاه عاطفة الحياء، وقد تغالينا نحن في طلب التحجب والتحرج من ظهور النساء لأعين الرجال حتى صيرنا المرأة أداة من الأدوات أو متاعاً من المقتنيات .. وبين هذه الطرفين وسط - الحجاب الشرعى - وهو الذى أدعو إليه"[3].

فالحجاب الشرعي لا ينطبق على الانتقاب والتبرقع كما يرى قاسم أمين، "لأن الانتقاب والتبرقع ليسا من المشروعات الإسلامية، لا للتعبد ولا للآداب، بل هما من العادات القديمة السابقة على الإسلام والباقية بعده.. إنما من مشروعات الإسلام ضرب الخُمر على الجيوب كما هو صريح الآية"[4]،قال تعالى "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخُمرهن على جيوبهن"[5].

وعن تفسير الآية السابقة يقول قاسم أمين "أباحت الشريعة فى هذه الآية للمرأة أن تظهر بعض أعضاء من جسمها أمام الأجنبى عنها غير أنها لم تسم تلك المواضع. وقد قال العلماء إنها وكلت فهمها وتعيينها إلى ما كان معروفاً فى العادة وقت الخطاب، واتفق الأئمة على أن الوجه والكفين مما شمله الاستثناء فى الآية ووقع الخلاف بينهم فى أعضاء أخر كالذراعيين والقدمين "ويستشهد بابن عابدين

---

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق،ص٨٠.

(2) المرجع السابق، ص٨٣.

(3) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٧٧. ٧٨.

(4) المرجع السابق،ص٨٩.

(5) قرآن كريم : سورة النور – آية، ٣٠ وما بعدها.

الذى يرى" وعورة الحرة جميع بدنها حتى شعرها النازل فى الأصح خلال الكفين والقدمين على المعتمد، وصوتها على الراجح وذراعيها على المرجوح. وتمنع المرأة الشابه من كشف الوجه لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة كمسه وإن آمن الشهوة لأنه أغلظ ولذلك ثبتت به حرمة المصاهرة"[1]، كما يستشهد بكتاب "الروض" فى المذهب الشافعي: نظر الوجه والكفين عن آمن الفتنة من المرأة للرجل وعكسه جائز، ويجوز نظر وجه المرأة عند المعاملة وعند تحمل الشهادة تكلف كشفه عند الأداء"[2]، كما يستشهد بكتاب تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق "لعثمان بن على الزيلعى والذى يرى أن بدن الحرة عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها لقوله تعالى **﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾**[*] والمراد محل زينتهن وما ظهر منها الوجه والكفين. قال ابن عباس وابن عمر واستثنى فى المختصر الأعضاء الثلاثة للابتلاء بإبدائها، ولأنه عليه الصلاة والسلام نهى المحرمة عن لبس القفازين والنقاب، ولو كان الوجه والكفان من العورة لما حرم سترهما بالمخيط وفى القدم روايتان والأصح أنها ليست بعورة" [3].

كما يرى قاسم أمين أن حكم الوجه والكفين وأنها ليست بعورة معروف كذلك عند المالكية والحنابلة" [4]، كما أنه يروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: **"إن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق. فقال لها يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه"**[5] كما يستشهد بحديث آخر روى عن النبى صلى الله عليه وسلم عندما قال لأحد الأنصار فى شأن المرأة التى خطبها "أنظرت إليها؟ قال: لا قال: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما" [6].

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٨١.

(2) المرجع السابق، ص٨٢ نقلا عن كتاب "الروض فى المذهب الشافعي" – جـ٢ – ص ١٠٩ – ١١٠.

(*) قرآن كريم: سورة النور – آية ٣١.

(3) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٨٢ نقلا عن كتاب تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لعثمان ابن على الزيلعى جـ٣، ص٩٦.

(4) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(5) المرجع السابق، ص٨٢، ٨٣.

(6) المرجع السابق، ص٨٦، راجع الجامع الصحيح (سنن الترمذى) جـ٣، ط٢، ص٢٨٨.

وقد جمع قاسم أمين كل الأدلة على هذه القضية قائلا: "هـذه هـى نصوص القرآن وروايات الأحاديث وأقول أئمة الفقه كلها واضحة جلية فـى أن الله تعـالى قـد أباح للمرأة كشف وجهها وكفيها وذلك للحكم التى لا يصعب على كل من عقل" [1].

ومما سبق يتضح أن قاسم أمين قد أثبت بـالقرآن والسنة والفقة فـى جـواز كشف المرأة وجهها وكفيها، وهذا ما طالب به من خـلال دعـوة الإسـلام، وإذا كـان استشهد برأى الفقهاء حول تفسير الآية – سورة النور – فإن ابن كثير قـد ذهـب إلى أن المقصود بقوله تعالى ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ أى لا يظهرن شيئا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفائه، أو المقصود وجهـها وكفيـها والخـاتم، وقيـل الخاتم والخلخال، والصواب هو الوجه والكفان وهذا هو المشهور عند الجمهور، ومما يؤيد ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فـى شـأن أسمـاء بنـت أبـى بكـر [2].

ويسوق قاسم أمين أدلـة أخـرى ليثبـت حـق المـرأة فـى كشـف وجهـها وكفيـها مـن الشريعة التى خولت للمرأة ما للرجل من الحقـوق، وألقـت عليـها مسـئولية أعمالهـا المدنية والجنائية، فلها الحق فى إدارة أحوالها والتصرف فيـها بنفسـها، فيتسـائل: كيف لرجل أن يتعامل معها من غير أن يراهـا ويتحقـق مـن شـخصيتها؟ فليـس مـن الغريب أن تحضر المرأة مغلقة من رأسها إلى قدميها أو تقـف مـن وراء سـتار أو بـاب ويقال للرجل ها هى فلانة التى تريد أن تبيعك دارها أو تقيمك وكيلا فى وكيـلا فـى زواجها مثلا، فتقـول بعـت أو وكلـت – ويكتفـى بشـهادة شـاهدين مـن الأقـارب أو الأصدقاء على أنها هى التى باعت أو وكلت ، هل فى ذلك ضمانة كافية؟ فكثيرا مـا أظهرت الوقائع القضائية سهولة استعمال الغش والتزوير فى مثل هذه الأحوال، فكـم من واحدة تزوجت بدون علمها، أو ضاعت أملاكها بدون شعورها؟ وكل ذلك ناشـىء من تحجيبها[3]. وخاصة أن العلماء "اتفقوا على جواز كشـف المـرأة وجهـها ترخصـا

---

(1) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(2) ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى): تفسير القرآن العظيم – جـ٣ – مكتبة التراث الإسلامى – حلب – سوريا – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ص٢٨٣.

(3) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٨٣ وما بعدها.

لضرورة تعلم أو تطبب أو عند أداء شهادة أو تعامل من شأنه أن يستوجب الشهادة"[1].

ثم يتساءل "كيف يمكن لأمرأة محجوبة أن تتخذ صناعة أو تجارة للتعيش منها إن كانت فقيرة؟ كيف يمكن لخادمة محجوبة أن تقوم بخدمة منزل فيه رجال؟ كيف يمكن لتاجرة محجوبة أن تدير تجارتها بين الرجال؟ كيف يتسنى لزارعة محجوبة أن تفلح أرضها وتحصد زرعها؟ كيف يمكن لعاملة أن تباشر عملها إذا أجرت نفسها للعمل فى بناء بيت أو نحوه"[2]، مع أن كل هذه الأعمال تعيشها المرأة وقت الحاجة ،فكيف تمارسها وهى ترتدى النقاب والبرقع ، وخاصة أن "حكم الشريعة كله يسر لا عسر فيه لا على النساء ولا على الرجال، ولا يضرب بين الفريقين بحجاب لا يخفى ما فيه من الحرج عليهما فى المعاملات والمشتقة فى أداء كل منهما ما كلف به من الأعمال سواء كان تكليفاً شرعياً أو تكليفاً قضت به ضرورة المعاش"[3]، ومن ثم فقد أباحت الشريعة "كشف المرأة وجهها وكفيها... ونحن لا نريد أكثر من ذلك"[4].

وعن التحجب ، أى (منع المرأة من مخالطة الرجال) فيرى قاسم أمين أن الكلام فيه ينقسم إلى قسمين، ما يختص بنساء النبى صلى الله عليه وسلم، والآخر ما يتعلق بغيرهن من نساء المسلمين. أما القسم الأول فقد ورد فيه كثير من الآيات : قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم.. وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾[*] و ﴿ يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[**] فهو يرى أنه لا

---

(1) أبو ذر القلموني :ففروا إلى الله – المكتبة التوفيقية – القاهرة –(ب–ت) ص١٦٢.

(2) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٨٤.

(3) المرجع السابق، ص٨٦، ٨٧.

(4) المرجع السابق، ص٨٦.

(*) قرآن كريم : سورة الأحزاب – آية، ٥٣.

(**) قرآن كريم: سورة الأحزاب – آية ، ص٣٢، ٣٣.

يوجد اختلاف فى أن هذه الآيات هى خاصة بنساء النبى صلـى عليـه وسلم أمرهـن الله سبحانه وتعالى بالتحجب وبين لنا سبب ذلك، وهو أنهن لسن كأحد مـن النسـاء ولما كان الخطاب خاصاً بهن وكـانت أسباب التـنزيل خاصـة بـهن لا تنطبـق علـى غيرهن، فهذا الحجاب ليس بفرض ولا بواجب على أحد من نساء المسلمين"[1].

أما القسم الثاني: فيرى أن ما ورد فى كتب الفقة حديث الرسول صلـى الله عليه وسلم والذى نهى فيه عن الخلوة مع الأجنبى، وهو "لا يخلون رجل بـامرأة إلا مع ذوى محرم واستشهد بابن عابدين " الخلوة بالأجنبيـة حـرام إلا لملازمـة مديونـة هربت ودخلت خربة أو كانت عجـوزاً شـوهاء أو بحـائل، وقيـل الخلـوة بالأجنبيـة مكروهة كراهة تحريم" [2]، وقال إن الخلوة المحرمة تنتفى بالحائل وبوجود محرم أو امرأة ثقة قادرة - وهل تنتفى أيضاً بوجود رجل آخر؟ لم آره" [3].

وقاسم أمين يفرق بين نساء النبى صلى الله عليه وسـلم ونسـاء المسـلمين فـى مسألة التحجب فيقول "بما يقال إن ما فرضه الله علـى نسـاء نبيـه يسـتحب اتباعـه لنساء المسلمين كافة - فنجيب أن قوله تعالى ﴿لستن كأحد مـن النسـاء﴾ يشـير إلى عدم الرغبة فى المساواة فى هذا الحكم وينبهنا إلى أن فى عدم الحجاب حكماً ينبغـى لنا اعتبارها واحترامها، وليس من الصواب تعطيل تلك الحكم مرضـاة لاتبـاع الأسـوة [4]، فأحكام القرآن تشير إلى التحجب (قصر المـرأة فـى بيتـها) خـاص بنسـاء النبـى صلى الله عليه وسلم، أما نساء المسلمين فقد أشـار الإسـلام إلى تحريـم الخلـوة وأبـاح الاختلاط حسب ما تستدعيه الحاجة والذى لا ينشأ عنه ضرر، ويستدل قاسـم أمـين بواقعة تؤيد ذلك وهى عندما بعث سلمة بن قيـس برجـل مـن قومـه يخـبر عمـر بـن الخطاب بواقعة حبية فعندما وصل إليه، فقـال عمـر بـن الخطـاب" يـا أم كلثـوم ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا؟ قالت أنى أسمع عندك حس رجـل، قـال: نعم

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة - مرجع سابق، ص٨٩، ٩٠.

(2) المرجع السابق، ص٩٠ نقلاً عن بن عابدين، جـ٥، ص٣٢٣.

(3) المرجع السابق، ٩١ نقلاً عن بن عابدين، جـ٥، ص٣٢٤، راجع "رياض الصالحين: ط١، ص٥٢١.

(4) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ولا أراه من أهل البلد قال فذلك حين عرفت أنه لم يعرفنى قالت: لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتنى كما كسا ابن جعفر امرأته قال: أو ما يكفيك أن يقال أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وامرأة أمير المؤمنين"[1].

وهكذا عالج قاسم أمين مسألة الحجاب من ناحية كشف الوجه والكفين، ومن ناحية التحجب، وقد برهن بالأدلة القاطعة، فلا حجاب إذن فى الإسلام بمعنى الحبس والحجر والمهانة ولا عائق فيه لحرية المرأة حيث تجب الحرية وتقضى المصلحة وإنما هو الحجاب مانع للغواية والتبرج والفضول وحافظ للحرمات وآداب العفة والحياء"[2].

وإذا كان قاسم أمين قد عالج مسألة "الحجاب" من الناحية الدينية، فإنه تناوله من الناحية الاجتماعية، ورأى أننا "نطلب تخفيف الحجاب ورده إلى أحكام الشريعة الإسلامية لا لأننا نميل إلى تقليد الأمم الغربية فى جميع أطوارها وعوائدها لمجرد التقليد أو للتعلق بالجديد لأنه جديد، فإننا نتمسك بعوائدنا الإسلامية ونحترمها .. ولسنا ممن ينظر إليها نظرة إلى الملابس يخلع ثوباً ليلبس غيره، وإنما نطلب ذلك لأننا نعتقد أن لرد الحجاب إلى أصله الشرعى مدخلاً عظيماً فى حياتنا المعاشية"[3].

فقاسم أمين يرى أن مسألة "الحجاب" تؤثر فى الهيئة الاجتماعية،ومن ثم فى تقدم المجتمع وتطوره، وعلى سبيل المثال" إن تربية الأم نفسها لا يمكن أن تتم إذا استمر حجاب النساء على ما هو عليه الآن"[4]، فكيف تستطيع تربى أطفالها بعد ذلك وتؤدى وظيفتها ؟ ومن ثم فالحجاب يحول بين المرأة وارتقائها، كما يحول بين الأمة وتقدمها، ويعترض قاسم أمين على الذين قالوا إن المرأة فى أماكنها أن تستكمل تربيتها فى بيتها، ورد على ذلك مبرراً أن المرأة فى حاجة إلى اختبار العالم،

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٩١، ٩٢ نقلاً عن تاريخ الطبرى جـ٥، ص١٦، ٢٧.
(2) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن – مرجع سابق، ص٦٣.
(3) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٩٢، ٩٣.
(4) المرجع السابق، ص٩٥.

والبحث عن الحياة. ومن هنا كان الحجاب سجناً للمـرأة لأنـه يحبسـها فـى دائـرة ضيقة. فلا ترى ولا تسمع ولا تعرف إلا ما يقع فيها من سفاسف الحـوادث ويحـول بينها وبـين العـالم الخـارجى [1]، كمـا أن حجابـها وقصرهـا فـى بيتـها فيـه فسـاد لصحتها وحرمانها من الهواء والشمس. وسائر أنواع الرياضة الجسـمية والعقليـة كمـا يؤدى إلى انتشار العلل والأمـراض، وكـل ذلـك منشـؤه خـوف الرجـال مـن الإخـلال بالعفة، وعلى أن القول بأن الحجاب موجـب للعفـة وعدمـه مجلبـة للفسـاد قـول لا يمكن الاستدلال عليه [2].

وقد رأى قاسم أمين أن "المرأة التى تخالط الرجـال تكـون أبعـد عـن الأفكـار السيئة من المرأة المحجوبة، والسبب فى ذلك أن الأولى تعودت رؤية الرجـال وسماع كلامهم.. أما الثانية فمجرد وقوع نظرها على رجل يحدث فى نفسها خاطر اختلاف الصنف" [3].

ويبرهن قاسم أمين علـى أن تخفيـف الحجـاب لا يعنـى الإخـلال بالعفـة، فالسبب ليس هو تخفيف الحجاب بل هـو راجـع إلى أمـور كثـيرة يجمعـها الجـهل وسوء التربية "سوء التربية هو الذى يخرق كل حجاب، ويفتح على المرأة مـن الفسـاد كل بـاب [4]. فالمشـكلة هـى مشـكلة تربيـة وليسـت مشـكلة حجـاب، فالتربيـة هـى الحجاب المنيع والحصن الحصين بين المرأة والفساد.

وخلاصة القول إن قاسم أمين رأى أن الحجاب يجب رده إلى حكم الشـريعة الإسلامية وعدم الحجر على النساء، وخاصة "أن طبيعة العصر الذى نحن فيه منافره للاستبداد معادية للاستعباد ميالة إلى سوق القوى الإنسانية فـى طريـق واحـد وغايـة واحدة" [5]. "فمن الواجب علينا أن نمد يد المساعدة ونعمل بقول رسول الله صلـى الله

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٩٤ وما بعدها

(2) المرجع السابق، ص١٠٠.

(3) قاسم أمين: تحرير المرأة مرجع سابق، ص ص١٠٠. ١٠١.

(4) المرجع السابق، ص١٠٦.

(5) المرجع السابق، ص١١٥.

عليه وسلم "اتقوا الله فى الضعيفين، المرأة واليتيم".. فعلينا أن نجعل الصلة بيننا وبينهن صلة محبة ورحمة لا صلة إكراه وقوة هذا ما تفرضه علينا الإنسانية، وتطالبنا بـه الشـريعة"[1]، "وكـان النبـى صلـى الله عليـه وسـلم يحـب النسـاء كمـا ورد فـى الحديث: (حبب إلى من دنياكم ثلاث، النساء والطيب وجعلت قرة عينى فـى الصلاة)، وكان يحترم النساء احتراماً برهن للعالم على حسن خلقه، حتى إنـه كـان يضع ركبتـه علـى الأرض لتضـع زوجتـه عليـها رجلـها إذا أرادت أن تركـب وكـان يتنازل إلى ملاعبتهن وممازحتهن حتى روى أنه كان يسابق عائشـة رضـى الله عنـها فسبقته يوماً وسبقها فى بعض الأيام، فقال (هذه بتلك). وكان يرأف بالنساء ويوصـى عليهن دائماً، فما روى عنه قوله "خياركم خياركم لنسـائكم"، وقولـه "اسـتوصوا بالنساء خيراً" "[2].

وإذا كان قاسم أمـين دعـا إلى الحجـاب الشـرعى إلا أنـه كـان يخشـى مـن عواقب الأمور، وما ينشأ عنه من مفاسد جمة لسوء فهم هذه الدعوة، فإنـه قـد حـذر من هذه الدعوة ودعا إلى التأنى فى فهمـها، فيقـول "هـذا الانقـلاب ربمـا تنشـأ عنـه مفاسد جمة لا يتأتى معها الوصل إلى الغرض المطلوب"[3]، وهذا ما انتشر بالفعل فـى المجتمع، وكأنه كان يخشى ذلك وما سـوف أن يفـهم خطـأ مـن دعوتـه، وهـذا مـا عبرت عنه السيدة حرمه بقولها: "حينما دعا قاسم أمين إلى السفور أخطـأ كثـير مـن الناس فهمه.. إن بنات الجيل الحالى وشبابه قد أخطأوا فـهم هـذه الدعـوة وتجـاوزا مداها، فالمظهر الذى تظهر به فتيات هذا العصر ليس سفوراً بل هو بهرجة فظيعة لم يكن يخطر على بال قاسم أمين أن ينادى بها أو يدعـو إليـها .. وإنمـا كـان ينـادى بالسفور الشرعى الذى لا يزيد عـن إظـهار الوجـه واليديـن والقدمـين ولا يتجـاوز إلى إظهار العورات وإلى اختلاط المرأة بـالرجل بالشـكل الحـاصل الآن.. وإنـى أعتقـد أن قاسم أمين بك لو كان حياً لما رضـى عـن هـذه الحـال بـل لا نـبرى إلى محاربتـها..

---

(1) المرجع السابق، ص ص ١١٥، ١١٦.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١١٤، ١٤٥، راجع صحيح مسلم جـ١٠ ص٥٨، رياض الصالحين – ط١، ص١٢١.

(3) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١١٦.

ويحزننى أن أرى الكثيرين يسيئون إلى قاسم أمين إذ يحملونه المسئولية عن هذا التهتك وينسبونه إلى دعوته فيدللون بذلك على أنهم يسيئون فهم هذه الدعوة"[1].

ونخلص من كل ذلك إلى أن قاسم أمين لم يدع إلى (السفور الفاضح) وإنما دعا إلى الحجاب الشرعى الذى استدل عليه بالكتاب والسنة وأقوال فقهاء المذاهب ثم بالنظريات العقلية والتاريخية.

ثانياً: تعدد الزوجات:

والقضية الثانية التى ناقشها قاسم أمين هى "تعدد الزوجات" وقد عدها من أهم المسائل الاجتماعية التى تفتك بالمجتمع المصرى، وكما كانت نظرته لمسألة الحجاب يصحبها التطور الفكرى، فهو هنا يعالج مسألة "تعدد الزوجات" من خلال مرحلته الأولى مع كتابه "المصريون" والذى رد به على "الدوق دراكور" حيث اشترط قيام الضرورة لجواز التعدد والتزوج بأكثر من واحدة، إلا أنه فى تحرير المرأة كان أكثر ميلاً لتغليب منع التعدد على إباحته وتجويزه، وأيضاً كان أكثر تنبيهاً على مضاره ومخاطره، بل لقد تحدث منذ البداية عن أمور نفى أن تكون مخاطر اجتماعية سببها تعدد الزوجات ثم عاد بعد ذلك فرأى أن التعدد هو خطر يجب منعه[2].

ويتضح التطور الفكرى عند قاسم أمين فى هذه المسألة، ففى كتاب المصريين يتحدث عن موقف الشرع الإسلامى من التعدد، فيذهب إلى أن الشرع يتحدث عن التعدد قائلاً " من الناحية المبدئية تزوجوا امرأة واحدة..فإذا حدث حادث حطم لسبب من الأسباب حياتكم الزوجية فتستطيعون أخذ زوجة ثانية ويمكن لكم إن ساء حظكم اتخاذ زوجة ثالثة أو رابعة .. إذا كنتم مضطرين"[3].

وبعد ذلك يتطور فكره عندما يعرض القضية فى كتاب تحرير المرأة، وينفى بشدة تعدد الزوجات، ويرى أن هذه المسألة مسألة اجتماعية خطيرة انتشرت بصورة

---

(1) أحمد خاكى : قاسم أمين – مرجع سابق، ص١٠٧، ١٠٨.

(2) قاسم أمين : تحرير المرأة والتمدن الإسلامى – مرجع سابق، ص٨٤.

(3) قاسم أمين : تحرير المرأة والتمدن الإسلامى – مرجع سابق، ص ص١٨٥، ١٨٦.

واضحة فى المجتمع المصرى، ولها علاقة واضحة بتقدم المجتمع ومدى تخلفه، فالتعدد من العوائد القديمة التى دل الاختبار التاريخى على أنها تتبع حال المرأة فى الهيئة الاجتماعية، فتكون فى الأمة غالبة عندما تكون حال المرأة فيها منحطة،وتقل أو تزول بالمرة عندما تكون حالها مرتقية[1].

وبعد أن أيد قاسم أمين مسألة تعدد الزوجات ورأى أنها مباحة لصيانة الأسرة عاد مرة أخرى ليقرر أن هذا التعدد له قيود ، حيث إنه " لا يعذر رجل بتزوج أكثر من امرأة اللهم إلا فى حالة الضرورة المطلقة"[2].

وبعد أن رأى قاسم أمين أن "الأطفال الذين يولدون من أمهات مختلفة يحدث لهم بالضرورة أن يتبادلوا الكراهية وأن يتعاركوا صبحا ومساء ومع ذلك فإن هذا لا يحدث، والمسألة مسألة تعود"[3]، ثم يعود فيقرر بعد ذلك أن "الأولاد من أمهات مختلفة ينشأون بين عواطف الشقاق والخصام فلا يجدون ما يساعد غرائزهم على تمكين علائق المحبة بينهم، بل يجدون ما يعاكس تلك الغرائز وينمى فى نفوسهم البغضاء ولا يستطيع أحد أن يحول بين ما يشهدون من تخاصم أمهاتهم بعضهن مع بعض وتخاصمهن مع والدهم وبين أثر ذلك فى نفوسهم، بل يرى فى أفئدتهم سم الغش والخدعة والشر"[4].

وإذا كان الإسلام "لم يوجب تعدد الزوجات، وإنما إباحة فقط لضرورات جمة وحكم سامية، وأحاطه بقيود من صالح الأمة الإسلامية"[5]، فإن قاسم أمين قد ذهب إلى أن هذا التعدد يحمل "احتقارا شديدا للمرأة، لأنك لا تجد امرأة ترضى أن تشاركها فى زوجها امرأة أخرى، كما أنك لا تجد رجلا يقبل أن يشاركه غيره فى محبة امرأة.. فكل امرأة تحترم نفسها تتألم إذا رأت زوجها ارتبط بامرأة أخرى"[6].

---

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٤٨.
(2) المرجع السابق، ص٢٥٢.
(3) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص٢٨٧.
(4) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٥١، ١٥٢.
(5) محمد عبد الحميد أبو زيد : مكانة المرأة فى الإسلام – دار النهضة العربية – ١٩٧٩ و ص٢٠٣.
(6) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص ١٤٩، ١٥٠.

ومن هنا طالب قاسم أمين بتضييق دائرة تعدد الزوجات، ودعا إلى الحظر في التعدد إلا عند الضرورة المطلقة "كأن أصيبت امرأته الأولى بمرض لا يسمح لها بتأدية حقوق الزوجية" [1]، كما يرى أنه لا يجوز حتى في مثل ذلك "أن يتزوج الرجل بامرأة أخرى . حيث لا ذنب للمرأة فيها، والمروّة تقتضي أن يتحمل الرجل ما تصاب به امرأته من العلل كما يرى من الواجب أن تتحمل هي ما عساه كأن يصاب به"، وكذلك توجد حالة تسوغ للرجل أن يتزوج بثانية إما مع المحافظة على الأولى إذا رضيت أو تسريحها إن شاءت .. هي إذا كانت عاقراً لا تلد لأن كثيراً من الرجال لا يتحملون أن ينقطع النسل في عائلاتهم، أما في غير هذه الأحوال فلا أرى تعدد الزوجات إلا حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمة، وهو علامة تدل على فساد الأخلاق واختلال الحواس وشره في طلب اللذائذ" [2].

ويستشهد قاسم أمين بآيات من القرآن في شأن مسألة "تعدد الزوجات" ويرى أن المطلع على "النصوص القرآنية التي وردت في تعدد الزوجات يجد أنها تضم إباحة وحظر في آن واحد. قال تعالى ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع. فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾، ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ [*]، ومن هذه الآيات يتضح أن الشارع علق وجوب الاكتفاء بواحدة على مجرد الخوف من عدم العدل، ثم صرح بأن العدل غير مستطاع. فمن ذا الذي يمكنه ألا يخاف عدم العدل مع ما تقرر من أن العدل غير مستطاع" [3].

وإذا كان العدل غير مستطاع فإن قاسم أمين قد رأى أن التعدد محظور، وكأن مجموع الآيتين قد قضي بتحليل الجمع بين الزوجات ديانة، وبأن الله قد وكل

---

(1) المرجع السابق، ص١٥٢.

(2) المرجع السابق، ص١٥٢، ١٥٣.

(*) قرآن كريم : سورة النساء – الآيات، ٣، ١٢٩.

(3) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٥٣.

الناس فى ذلك إلى ما يجدونه من أنفسهم، فمن بلغت ثقته حداً لا يخاف معه أن يجوز إذا أراد أن يتزوج أكثر من واحدة أبيح له ذلك بينه وبين الله، ومن لم يصل إلى هذا الحد من الاقتدار والتحفظ من الجور حرم عليه أن يتزوج أكثر من واحدة، ثم نبه مع ذلك على أن هذه الغاية من قوة النفس لا يمكن إدراكها زيادة فى التحذير"[1].

ومن ثم فالإسلام لم ينشىء تعدد الزوجات ولم يوجبه، ولم يستحسنه، ولكنه أباحه فى حالات يشترط فيها العدل والكفاية"[2]، ومن هنا كان التعدد "تشريع طوارىء .. لا يباح إباحة خالصة من الحرمة والكراهة إلا إذا دعت إليه الحاجة"[3].

ويطالب قاسم أمين الحكومة والمسئولين أن يتصدوا لهذه المشكلة الخطيرة التى تؤدى إلى تصدع المجتمع وخاصة إذا كانت منتشرة بصورة واضحة مثلما رآها هو "إذا غلب على الناس الجور بين الزوجات كما هو مشاهد فى أزماننا، أو نشأ عن تعدد الزوجات فساد فى العائلات وتعد للحدود الشرعية الواجب التزامها، وقيام العداوة بين أعضاء العائلة الواحدة، وشيوع ذلك إلى حد يكاد يكون عاماً جاز للحاكم رعاية للمصلحة العامة أن يمنع تعدد الزوجات بشرط أو بغير شرط على حساب ما يراه موافقاً لمصلحة الأمة"[4]، وأنه ليجمل برجال هذا العصر أن يقلعوا عن هذه العادة من أنفسهم"[5].

وجملة القول إن قاسم أمين قد عالج مسألة تعدد الزوجات ورأى أنها من الأمراض الخطيرة التى تؤثر على حركة التقدم والتطور فى المجتمع، وأن الإصلاح يستلزم أن يمتد إلى الإصلاح الداخلى المتمثل فى البناء الاجتماعى للمجتمع، وخير

---

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٥٤.

(2) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن – مرجع سابق، ص٨١.

(3) عبد المتعال الصعيدى :لماذا أنا مسلم؟ – مكتبة الآداب – ١٩٧٦م و ص٤٩.

(4) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٥٤، ١٥٥.

(5) المرجع السابق، ص١٥٥.

علاج لهذه المسألة هو ما يراه قاسم أمين من "انتقاء زوجة واحدة ذلك أدنى أن يقوم بما فرض عليه الشرع فيوفى زوجته وأولاده حقوقهم من النفقة والتربية والمحبة. وأقرب إلى الوصول إلى سعادته"[1].

كما يرى قاسم أمين أن أفضل طريقة لإصلاح المجتمع وخاصة انتشار ظاهرة تعدد الزوجات التعليم، فالتعليم هو السلاح الوحيد لمنع انتشار العادات السيئة فى المجتمع، لأن "ترقى عقول الرجال وتهذيب نفوسهم له أثر مهم .. فى تلاشيها، ذلك لأن الرجل المهذب لا يرضى معاملة المرأة بالاستبداد، ولا تطاوعه مرؤته إن همت شهوته بامتهانها"[2].

ثالثاً: الطلاق:

والقضية الثالثة التى بحثها قاسم أمين والتى تعد مثلاً حياً وواضحاً للتطور الفكرى الذى مر به هى قضية الطلاق وهل هو حق مطلق للرجل؟ أم أن الأمر يستدعى تقييد هذا الحق ووضع الضوابط على هذا الطلاق؟

ذلك أن قاسم أمين فى كتابه (المصريون) يدافع عن بقاء الحرية الكاملة، وغير المقيدة للرجل ليوقع الطلاق ويفصم عرى العلاقة الزوجية عندما يقرر ذلك ويراه السبيل لما يتصوره صواباً وهو يستنكر الآراء الإصلاحية التى يرى أصحابها ضرورة جعل الطلاق بحكم من القاضى، وهو يصور موقفه هذا عندما يقول "غالباً ما يكون الطلاق علاجاً أسوأ من الداء غير أن له كجميع الأدوية موهبة الشفاء فى بعض الأحيان، إنه عملية بتر يذعن لها المصاب كارها دائماً، مطلقاً صرخات الألم، ولكنها مع ذلك تنقذه من الموت، وقد رأى المشرع الإسلامى من الضرورى ترك هذه المسألة الخطيرة في يد الزوجين يتصرفان فيها بحريتهما، فالمسألة تتعلق بحياتهما وسعادتهما وبمستقبلهما... إننى لا أفهم أن يقيم الإنسان دعوى ليحصل على الطلاق، فتلاقى الأرواح لا يمكن أن يكون مادة للتقاضى"[3].

---

(1) المرجع السابق، ص١٥٢.

(2) المرجع السابق، ص١٤٩.

(3) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص٢٨٩.

ولكن قاسم أمين يتراجع عن موقفه هذا. وينبني الرأى المعاكس لرأيـه، وإن يكن بالتدريج، فيبدأ بالشكوى من مضار الإسراف القائم والحاصل فى استخدام الرجال لحقهم المطلق فى الطلاق: فهو قد أصبح. أهم الأسباب الهامة لاحترام العائلة ومع ذلك" اعتاد أهل بلادنا استعماله بطريقة شائنة جدا، ولا يمكن أن يرضاها الشرع أو يسلم بها العقل"[1].

ثم بعد ذلك يحسم الموقف، فيدعو إلى تقييد الطلاق الذى يتمتع به الرجل فى إيقاع الطلاق، وينقض فى تحرير المرأة "ما قدمه فى "المصريون" وقد تمثل فى[2].

(١) أنه قيد الإرادة الواضحة والنية الحقيقية على فصم عرى الزوجية.

(٢) أنه قيد الإشهاد على وقوع الطلاق.

(٣) أنه قيد التحكيم الذى حدده القرآن بهدف محاولة الإصلاح.

(٤) أنه جعل إيقاع الطلاق من اختصاص القضاء.

وفى هذا الأمر يقول"يجب أن يفهم أن الطلاق إنما هو عمل يقصد به رفع قيد الزواج، هذا يفرض حتما وقوع نية حقيقية عند الزواج وإرادة واضحة"[3]، وأن لمزيد الإصلاح أن يبحث فى كتب الشرع كلها يقف على آراء الفقهاء .. خصوصا إذا كان قصده محو فساد عظيم صار ضرره عاما"[4]، ثم يضيف قائلا " لم لا يجوز مع ظهور الفساد فى الأخلاق والضعف فى العقول وعدم المبالاة بالمقاصد أن يؤخذ بقول بعض الأئمة من أن الإشهاد شرط فى صحة الطلاق كما هو شرط فى صحة الزواج .. كما تشير إليه الآية الواردة فى سورة الطلاق، حيث جاء فى آخرها: (وأشهدوا ذوى عدل منكم) [*] أليس هذا أمرا صريحا بالإشهاد"[5]؟

---

(1) قاسم أمين: أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٥٧.

(2) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – المرجع السابق – جـ١، ص٦٦.

(3) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٦٧.

(4) المرجع السابق، ص١٦٨، ١٦٩.

(*) قرآن كريم سورة الطلاق، آية، ١ وما بعدها.

(5) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٧٠.

وإذا كان قاسم أمين نظر إلى الطلاق على أنه من القضايا الاجتماعية فإنه قد عالجه من المنظور الإسلامى، إن "شرعنا الشريف قد وضع أصلاً يجب أن ترد إليه جميع الفروع فى أحكام الطلاق، وهو أن الطلاق محظور فى نفسه مباح للضرورة"[1].

وقد ذهب قاسم أمين إلى أن الإسلام وضع للطلاق أحكاماً وقيوداً جعلته من صالح المجتمع وضرورات نظامه، فالطلاق بغضه الله تعالى صوره فى أبشع صورة وحث المسلمين على اتقائه ما استطاعوا سبيلا إلى ذلك، فالإسلام لم يبحه على الإطلاق بل قيده بقيود تكفل تحقيق الصالح العام وصالح الأسرة نفسها"[2].

ويستشهد قاسم أمين بآيات القرآن الكريم حول مسألة الطلاق، حيث يقول الله تعالى(**فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**)[3]، وقال جل شأنه (**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**)[4]، كما يستشهد بالحديث الشريف "**أبغض الحلال عند الله الطلاق**"، وقال عليه الصلاة والسلام "**لا تطلقوا النساء إلا من ريبة.**."، وقال على كرم الله وجهه "**تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز منه العرش**"، وجاء فى حواشى ابن عابدين (أن الأصل فى الطلاق الحظر بمعنى أنه محظور إلا لعارض يبيحه)" [5].

ومما سبق يتضح أن قاسم أمين قد رأى أن الإسلام أجمع على حظر الطلاق ولم يبحه إلا لضرورة، وحتى فى تلك الضرورة فهو مبغوض مع أنه حلال، لأن الله تعالى قد "سمى العلاقة الشريعة التى تربط الزوج بزوجته ميثاقاً غليظاً .. وطالما كانت تلك العلاقة مقدسة فى نظر الإسلام، فإنه لا ينبغى التحلل منها، أو فك عراها أو التهوين من شأن أهميتها"[6].

---

(1) المرجع السابق، ص١٥٩.

(2) على عبد الواحد وافى : الأسرة والمجتمع – ط٨– دار نهضة مصر للطبع والنشر – (د. ت)، ص١٤٨.

(3) قرآن كريم : سورة النساء، آية ١٩.

(4) قرآن كريم : سورة النساء،آية ٣٥.

(5) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٦٠ – ١٧١.

(6) محمد عبد الحميد أبو زيد: مكانة المرأة فى الإسلام – مرجع سابق، ص٢٣٥.

وقد قدم قاسم أمين مشروعاً بقانون يقترحه على الحكومة لتقييد الطلاق جاء فيه[1]:

المادة الأولى: كل زوج يريد أن يطلق زوجته فعليه أن يحضر أمام القاضى الشرعى أو المأذون الذى يقيم فى دائرة اختصاصه ويخبره بالشقاق الذى بينه وبين زوجته.

المادة الثانية: يجب على القاضى أو المأذون أن يرشد الزوج إلى ما ورد فى الكتاب والسنة مما يدل على أن الطلاق ممقوت عند الله وينصحه ويبين له تبعة الأمر الذى سيقدم عليه ويأمره أن يتروى مدة أسبوع.

المادة الثالثة: إذا أصر الزوج بعد مضى أسبوع على نية الطلاق فعلى القاضى أو المأذون أن يبعث حكماً من أهل الزوج وحكماً من أهل الزوجة أو عدلين من الأجانب إن لم يكن لهم أقارب ليصلحا بينهما.

المادة الرابعة: إذا لم ينجح الحكمان فى الإصلاح بين الزوجين فعليهما أن يقدما تقريراً للقاضى أو المأذون، وعند ذلك يأذن القاضى أو المأذون للزوج فى الطلاق.

المادة الخامسة : لا يصح الطلاق إلا إذا وقع أمام القاضى أو المأذون وبحضور شاهدين ولا يقبل إثباته إلا بوثيقة رسمية.

ويرى قاسم أمين أنه لا سبيل إلى تضييق دائرة الطلاق إلا بتربية النساء وتهذيب عقول الرجال، فالتعليم هو الذى يصلح من شأن الرجال والمرأة ولا سيما النساء لمعرفة حقوقهن وجعل الرجال يحترمهن، فالمرأة "إذا ترقت وشعرت بجميع مالها من الحقوق فإنها لا تقبل أن تعامل بطرق القوة والإهانة التى تعامل بها وهى جاهلة، وعند ذلك يحس الرجال أنفسهم بأنه ليس من اللائق بهم أن يستعملوا حتى الطلاق الذى وكله الله بأمانتهم إلا عند الضرورة التى شرع الطلاق لأجلها، فتربية النساء مما يساعد على إصلاح أخلاقنا وتأديب ألسنتنا، فإن الرجل يحتقر المرأة

---

(1) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٧١ وما بعدها.

الجاهلة، ولكنه يشعر برغم إرادته باحترام المرأة إذا وجد منـها عقلاً ومعرفـة وعلـواً في الأخلاق فيعف لسانه عن ذكر ما لا يليق بها ويؤدى لها حقوقها"[1].

***عمل المرأة:**

لقد تدرج موقف قاسم أمين وترقى تبعاً لتطوره الفكرى إزاء عمل المرأة. وقـد مر بثلاثة آراء متمثلة فى كتبه الثلاثة جاءت على النحو التالى:-

الرأى الأول: ويتمثل مع كتابه "المصريون" سنة ١٨٩٤ م وكان يطلب تعليم المـرأة، ويطلب كذلك أن تظل فـى البيـت، وقـد انتقـد عملـها سواء أكـان فـى الوظائف العمومية أم فى الأعمال المدنية إلى يقوم بــها الرجـال، فيقـول" إننـى لا أرى الفـائدة التـى يمكـن أن يجنيـها النسـاء بممارسـة حــرف الرجال، بينما أرى كل ما سوف يفقدونـه، فـإن هـذه الحـرف، سـوف تجرفهن عن المـهام التـى يبـدو أنـهن خلقـن مـن أجلـها، كمـا أن هـذه الأعمال لن تجعلهن أكثر فائدة للمجتمع ولن تزيد من سحرهن بـل علـى العكس من ذلك، فـإن مشـهد الأم المتفانيـة يملؤنـى حنانـاً كمـا يحـرك سرورى منظر الزوجة التى تعنـى ببيتـها فـى حـين أنـى لا أشـعر بأيـة عاطفة حين أرى امرأة تهل على فى خطـى الرجـال ممسـكه كتابـاً فـى يدها، وتهز ذراعى فى عنف وهى تصيح بى (كيف حالك يا عزيـزى)، بل لعلى أشعر بشىء غير بعيد عن النفور"[2]، هذا هو موقف قاسم أمـين من عمل المرأة والذى رفضه بشده.

الرأى الثانى: ويتمثل كتابه" "تحرير المرأة" سنة ١٨٩٩م، لا يبقى قاسم أمـين علـى موقفـه الرافـض تـولى المـرات الوظـائف العموميـة، ولكنـه يتطـور خطـوة فيطلب لها أن تمارس مثل الرجـل جميـع الأعمـال المدنيـة عـلاوة علـى شئونها الخاصة، حيث يرى "أن الناظر فى الأحوال التى فضلـت فيـها

---

(1) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٧٥.

(2) قاسم أمين: الأعمال الكاملة – جـ١ – مرجع سابق، ص٢٨١، نقلاً عن المصريين.

شريعتنا الرجل على المرأة مثل الخلافة والإمامة والشهادة في بعض الأحوال لا يجد واحدة منها تتعلق بعيشتها الخصوصية وحريتها، وأن الشارع لم يراع في هذه المسائل القليلة إلا عدم الخروج بالمرأة عن وظيفتها في العائلة وحصر الوظائف العمومية في الرجال.. وما من عاقل يدرك الغرض الصحيح من تلك الحقوق العظيمة التي خولتها الشريعة الإسلامية إلى المرأة في جميع الأعمال المدنية - ومنها - أهليتها لأن تكون وصية على رجل - يستحسن ما يخالفها من عوائدنا التي تؤدى إلى حرمان المرأة بالفعل من استعمال هذه الحقوق"[1].

وقاسم أمين يرى أهلية المرأة المصرية إذا تعلمت لأجادت كل الأعمال المدنية التي تجيدها المرأة الغربية، كما يرى في ذلك عاملاً هاماً ينمي ثروة المجتمع ويدفعَ بتطوره إلى الأمام، فالمرأة عندنا طاقة معطلة واستثمار غير مستغل، بل لقد أصبحت عالة على الرجال، فإذا كان النساء في كل بلد يقدرون بنصف سكانه على الأقل فبقاؤهن في الجهل حرمان من الانتفاع بأعمال نصف عدد الأمة وفيه من الضرر الجسيم ما لا يخفى، ولا شيء يمنع المرأة المصرية من أن تشتغل مثل الغربية بالعلوم والآداب والفنون الجميلة والتجارة والصناعة إلا جهلها وإهمال تربيتها، ولو أخذ بيدها إلى مجتمع الأحياء ووجهت عزيمتها إلى مجاراتهم في الأعمال الحيوية.. لصارت نفساً حية تنتج بقدر ما تستهلك لاكما هي اليوم عالة لا تعيش إلا بعمل غيرها"[2].

الرأى الثالث: ويأتي رأيه الأخير في كتابه "المرأة الجديدة" سنة ١٩٠٠م، ولا يبقى قاسم أمين على موقفه من قضية اشتغال المرأة في الوظائف العامة ولكن يتقدم فكرياً عن موقفه في تحرير المرأة، فبعد أن كان يرى أن، العمل نشأ عن طبيعة كل جنس من الجنسين أصبح يراه ثمرة لتأهل

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص١٣٦، ١٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ص٤٣، ٤٤.

الرجل ومرانه، وهو الأمر الذى حرمت منه المرأة وأبعدت عنه قروناً طويلة ومن ثم يعلق صلاح دخولها هذه الميادين على اكتسابها هذه المؤهلات وذلك المران، ولذلك فهو يرى أن حرمانها من هذه الوظائف العامة هو أمر مؤقت سيزول بزول ماله من أسباب، حيث يقول فى هذا الشأن "إننى ما طلبت ولا أطلب المساواة بين المرأة والرجال فى شيء من المزايا والحقوق السياسية لا لأنى أعتقد أن الحجر على المرأة أن تتناول الأشغال العمومية حجراً عاماً مؤبداً، وهو مبدأ لازم للنظام الاجتماعى، بل لأنى أرى أننا لا نزال إلى الآن فى احتياج كبير لرجال يحسنون القيام بأعمال العمومية، وأن المرأة المصرية ليست مستعدة اليوم لشيء مطلقاً ويلزمها أن تقضى أعواماً فى تربية عقلها بالعلم والتجارب حتى تتهيأ إلى مسابقة الرجال فى ميدان الحياة العمومية"[1].

هكذا رأى قاسم أمين قضية عمل المرأة, وهكذا تطور فكره إزائها ما بين سنة ١٨٩٤ م إلى سنة ١٩٠٠م, ويقترح للمرأة وظيفتين:

(أ) الوظيفة الاجتماعية للمرأة:

إذا كان ميدان المرأة الحقيقي هو البيت بمن فيه من زوج وأطفال، فإن تركها هذا الميدان إنما هو تحطيم له، ولو أنها رجعت إلى طبيعتها لشعرت أن زهوها بالأمومة أغلى لديها وألصق بطبعها من الزهو بولاية الحكم ورئاسة الديوان، فليس فى العواطف الإنسانية شعور يملأ فراغ فى قلب المرأة يملوءه الشعور بالتوفيق فى الزواج والتوفيق فى رعاية الأولاد[2].

وإذا كان قاسم أمين قد طالب بتعليم المرأة فذلك من أجل أن تجيد وظيفتها العائلية حيث يرى أن البيت هو مكانها، وأن وظيفتها تربية الأولاد ولكنه يرى أن

---

(1) قاسم أمين المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص٧٨، ٧٩.

(2) عبد الغنى عبود: الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة – (سلسلة الإسلام وتحديات العصر) – ط١ – الكتاب الثامن – دار الفكر العربى – القاهرة – ١٩٧٩م، ص١٤٢، ١٤٣.

الضرورات تبيح المحظورات، حيث "إن الفطرة أعدت المرأة إلى الاشتغال بالأعمال المنزلية وتربية الأولاد، وأنها معرضة لعوارض طبيعية كالحمل والولادة والرضاع لا تسمح لها بمباشرة الأعمال التى يقوى عليها الرجال.. إن أحسن خدمة تؤديها المرأة إلى الهيئة الاجتماعية هى أن تتزوج وتلد وتربى أولادها، هذه قضية بديهية لا تحتاج فى تقريرها إلى بحث طويل. وإنما الخطأ فى أن نبنى على ذلك أن المرأة لا يلزمها أن تستعد بالتعليم والتربية للقيام بمعاشها وما يلزم لمعيشة أولادها إن كان لها أولاد صغار عند الحاجة"[1].

إن قاسم أمين لا يطلب عمل المرأة خارج بيتها إلا عند الحاجة، وخاصة أنه يوجد فى كل بلد عدد من النساء لم يتزوج وعدد آخر تزوج وانفصل بالطلاق أو بموت الزوج، ومن النساء من يكون لها زوج ولكنها مضطرة إلى كسب عيشها بسبب شدة فقره أو عجزه أو كسله عن العمل، ومن النساء عدد غير قليل متزوجات وليس لهن أولاد، كل هؤلاء النسوة لا يصح الحجر عليهن من تناول الأشغال الخارجة عن المنزل بحجة أن لهن رجال قائمين بمعاشهن أو لأن عليهن واجبات عائلية، أو لوجود عوارض طبيعية تحول بينهن وبين العمل"[2].

إن قاسم أمين لم يؤيد عمل المرأة فى الوظيفة الاجتماعية إلا فى أوقات الضرورة فعندما تضطرها الظروف لا سبيل إلا أن تعمل، وخاصة أن "حوادث الفقر والطلاق، موت الزوج والعزوبة كلها حوادث جارية، وتقع فى كل آن، ولما كان الاطلاع على الغيب أمراً غير ميسور للإنسان وجب أن تستعد كل أمرأة لهذه الحوادث قبل أن تقع فيها" لهذا نرى أن من أهم ما يجب على الآباء أن يعدوا بناتهم لاستقبال هذه الحوادث بما يدفع شرها ويقى من ضررها ويمهد لهم الوصول إلى حظ من السعادة فى هذه الحياة"[3].

---

(1) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص٩٣، ٩٤.

(2) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق ،ص٩٤ .

(3) قاسم أمين المرأة الجديدة – مرجع سابق،ص١٠٢.

ويؤكد قاسم أمين على أهمية عمل المرأة فى الوظيفة العائلة، ولكنه يرى أن الواقع غير ما نتمنى، حيث يقول "نحن لا نقول للمرأة: أهجرى الزواج ولا تبغى النسل أو اتركى زوجك وأولادك فى البيت واقضى أوقاتك فى الطرق وعيشى كما يعيش الرجال، فإنا نكرر القول بأننا نود أن كل أمرأة تكون زوجة وأن كل زوجة تكون أما، ولكن هذا لا ينسينا أن الواقع هو غير ما نتمنى، إذ الواقع أن عدداً عظيماً من النساء ليس لهن عائل ولا واجبات عائلية"[1]، ثم يضيف قائلاً، إنه يوجد فى كل أمة متمدنة عدد من النساء ألجأتهن الضرورة إلى السعى والكد والاشتغال بإعمال الرجال.. وهن النساء اللاتى زهد فيهن الرجال.فلم يرغب أحد فى زواجهن، والأرامل اللاتى توفى زوجهن، والمطلقات اللاتى تركهن أزواجهن، هؤلاء النسوة لم يقترفن ذنباً على الهيئة الاجتماعية فما من واحدة منهن إلا وكانت تتمنى أن تجد رفيقاً صالحاً يحبها وتحبه ويساعدها وتساعده، وما من واحدة منهن إلا وفى قلبها أثر الحزن لأنها لم تلد ولداً تشتغل بتربيته، ما من واحدة منهن إلا وتبكى فى وحدتها سوء حظها، تأسف على ضياع الأماني التى قضت حياتها فى انتظارها"[2].

ويرى قاسم أمين على خصوم عمل المرأة الذين اعترضوا على عملها خارج البيت حيث يقول المعترضون: إنهم لا يمنعون النساء الفقيرات من مباشرة أعمال الرجال والاختلاط بهم، كما أنهم لا يمنعوا المرأة من التعليم إذا كان لازماً لكسب عيشها، لأن الضرورات تبيح المحظورات، وقد اتفق جميعهم على هذا الرأى.. فكلهم يرون أن منع المرأة من كشف وجهها ومن الخروج من بيتها ومزاولة أعمال الرجال والاختلاط بهم ومن التعليم الذى يؤهلهم إلى هذه الأعمال هو خاص بغير الفقيرات من النساء اللاتى تلجأهن الضرورة إلى السعى لتحصيل أرزاقهن"[3].

وإذا كان خصوم عمل المرأة يعترضون على دون الفقيرات إلا أن قاسم أمين يخالف آراءهم فيقول "ويتبين من هذا أنهم متفقون معنا فى حالة الضرورة ولكنهم

(1) المرجع السابق، ص ٩٤، ص٩٥.

(2) المرجع السابق، ٩٩.

(3) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ١٠٠.

يخالفوننا فى غيرها فهم يرون أن الإباحة يلزم أن تكون خاصة لهذه الحالة فقط، وبهؤلاء النسوة، ونحن نرى أنها يلزم أن تكون عامة شاملة لجميع النساء والأحوال" ولو شاؤا أن يفهموا ما يقولون وأن يقفوا على ما يفضى إليه رأيهم هذا لوافقونا فى رأينا وحكموا حكمنا، لأنهم يقولون أن المرأة تفارق الحجاب وتتناول من الأعمال ما يتناوله الرجال إذا مست الحاجة إلى ذلك؛ ولا يخفى أن كل نفس حية معرضة لانتياب الحاجات، ونزول الضرورات والعمل الذى تدفع إليه الضرورة وتحمل عليه الحاجة لا يكفى فى القيام به على الوجه اللازم أن تتوجه المرأة إليه، وتدخل فيه بل يلزم قبل الدخول فيه أن تكون نفسها مستعدة تمام الاستعداد لمباشرته والإتيان به على وجه يوصل إلى المرغوب، وهذا الاستعداد لا يكون إلا بالتربية والتمرن والممارسة واختيار الناس، فلو حرمت المرأة من التأهب لملاقاة الضرورات حتى وقعت فيها لم تسطع للخلاص منها سبيلاً، وكان حرمانها من هذا التأهب عبارة عن تسليمها للهلاك"[1].

وإلى جانب الحجج والبراهين التى ساقها قاسم أمين لعمل المرأة فى الهيئة الاجتماعية فإنه يرى أن الإسلام أعطى للمرأة الحق فى العمل، لأن "شريعتنا قررت للمرأة كفاءة ذاتية فى تدبير ثروتها والتصرف فيها وحثت على تعليمها وتهذيبها ولم تحجر عليها الاحتراف بأى صنعة والاشتغال بأى عمل وبالغت فى المساواة بينها وبين الرجل إلى حد أن أباحت لها أن تكون وصية على الرجل وأن تتولى وظيفة الإفتاء والقضاء، أى وظيفة الحكم بين الناس العدل، وقد ولى عمر رضى الله عنه على أسواق المدينة نساء مع وجود الرجال من الصحابة وغيرهم"[2].

كما يستشهد قاسم أمين على عمل المرأة استناداً إلى زوجات النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حيث "إن السيدة عائشة كانت قائدة عسكر ومدبرة له فى، واقعة الجمل المعروفة وما أخال أن مكابراً يقول إنها لم تكن تكلم أحداً منهم إلا ذا

---

(1) المرجع السابق، ص ص ١٠٠، ١٠١.

(2) المرجع السابق، المقدمة، د

محرم"[1]، كما أنها تداخلت في مسالة الخلافة العظمى وكانت رئيسة للحزب المعارض لأحد الخلفاء"[2].كما أنها خطبت الناس عند دخولها البصرة فقالت "إن الغوغاء من أهل الامصار ونزاع القبائل غزوًا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا لعنة الله رسوله.. "[3]، كما يروى عن أم عطية أنها قالت" وغزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وكنت أخلفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى، وأقوم على المرضى، ثم يستطرد قائلاً والذى يقرأ هذه الأسطر يتخيل له أنه يرى امرأة غريبة من المرضات اللاتى وهبن حياتهن لخدمة الإنسان[4]. .

ومما سبق يتضح أن قاسم أمين قد برهن على حق المرأة في العمل خارج بيتها، وأن عملها هذا قد قرره الإسلام. حيث إن "المطلع على الشريعة الإسلامية يعلم أن تحرير المرأة هو من أنفس الأصول التي يحق لها أن تفتخر به على سواها، لأنها منحت المرأة .. الحقوق التي لم تنلها المرأة الغربية"[5].

ويرى قاسم أمين أن عمل المرأة في الهيئة الاجتماعية هو تكون أخلاق الأمة، تلك الأخلاق التى أثرها فى الاجتماع من حيث ارتقاء الأمم وانحطاطها يفوق النظامات والقوانين والديانات"[6].

وإذا كان قاسم أمين يؤمن بعمل المرأة في الوظيفة الاجتماعية إلا أنه قد حدد عملها في المجتمع ،فيرى أن المرأة تعمل في وظيفتين أساسيتين هما:

الأولى: مهنة تربية الأطفال وتعليمهم. وهذه الصنعة هى أحسن ما يمكن، تتخذها أمرأة تريد أن تكسب عيشها، لأنها صنعه شريفة، والمرأة أشد استعداداً لها من الرجل وأدرى منه بطرق استمالتها واكتساب محبتها، وبلادنا أشد البلاد

---

(1) المرجع السابق، المقدمة، ح

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة،مرجع سابق، ص١٣٥.

(3) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(4) المرجع السابق، ص١٣٦، راجع صحيح مسلم – ج٣ – ص ١٤٤٧.

(5) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص المقدمة خ.

(6) المرجع السابق، ص ١٢٢.

حاجة إلى نساء يعرفن هذه الصناعة. فإنه لا يكاد يوجد عندنا امرأة يوثق بها في تربية الأطفال، والعائلات المصرية في احتياج إلى عدد وافر من مربيات الأطفال حتى تستغني بهن عن المربيات الأجانب، كذلك لا يوجد في مصر مدارس للبنات - على عهد قاسم أمين - يتولى إدارتها والتعليم فيها مصريات، وهذا نقص كبير في بلادنا حيث إننا جميعاً مضطرون إلى تربية بناتنا في مدارس أجنبية"[1].

الثانية : هي مهنة الطب. وخاصة تخصص نساء وولادة، فكل رجل يعرف مقدار الصعوبة التي يكابدها عندما تكون إحدى النساء من أقاربه مريضة ويلح عليها أن تعرض نفسها على طبيب من الرجال، خصوصاً إذا كان المرض من الأمراض الخاصة بالنساء، فإذا وجد عدد من النساء يعرفن صناعة الطب فلا شك أن صناعتهم تروج رواجاً عظيماً بما يجدنه من الحاجة إليهم في البيوت المصرية، كما أن فن الطب من الفنون التي تلائم استعداد النساء الطبيعي، ويشاهد الآن في المستشفيات العمومية وفي العائلات من الخدمات الجليلة التي تقوم بها النساء وهي أعظم برهان على أن المرأة بما جلبت عليه من الرأفة والجلد والاعتناء الشديد صالحة لمثل ما يصلح له الرجال من معالجة الأمراض، إن لم تكن أشد صلاحية لذلك منه"[2].

وبذلك حدد قاسم أمين عمل المرأة في الوظيفة الاجتماعية، حيث يكون عملها محصورا في تربية الأطفال ومهنة الطب، وهاتان الوظيفتان هما أنسب لطبيعة المرأة، وكذلك يرى أنه "يمكن للمرأة أن تشتغل بجميع الأعمال التي قوامها الترتيب والنظام ولا تحتاج إلى قوه العضلات والأعصاب"[3].

---

(1) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٠٥.

(2) المرجع السابق، ص١٠٦.

(3) المرجع السابق، ص١٠٦، ١٠٧.

ويدعو قاسم أمين إلى منع المرأة من الأعمال الحقيرة التي تمارسها أغلب النساء "كالخدمة في بعض البيوت أو الجولان في الطريق لبيع السلع الزهيدة القيمة" فمنع النساء عن الاشتغال بما يشتغل به الرجال كأنه في الحقيقة تخصيص لهن بمصل هذه الأعمال الدنيئة التي لا ينال بها إلا القليل التافه وحرمان لهن من الأعمال الشريفة التي تعود على أربابها بالمكاسب الوافرة"[1].

وصفوة القول إن قاسم أمين قد حدد عمل المرأة في المجتمع، حيث تعمل ما يناسب طبيعتها، وخاصة أن المجتمع في حاجة إلى الأعمال الخيرية، "لأن الميل إلى الخير من غرائز المرأة الفطرية ويقودها إليه دقة الإحساس وحنو القلب، ولها من الصبر على خدمة الفقراء والمرضى ما لا يتحمله أعظم الرجال جلدا"[2].

وإذا كان قاسم أمين أيد عمل المرأة في الهيئة الاجتماعية عند الضرورة "فليس معنى ذلك إلزام كل امرأة بالاشتغال بأعمال الرجال، وإنما معناه أنه يجب أن تتهيأ كل امرأة للعمل عند مساس الحاجة إليه"[3].

(ب) الوظيفة العائلية للمرأة:

إذا كانت الأسرة تعلب دورا في تشكيل حياة أبنائها، فإن المرأة تلعب الجزء الأكبر من ذلك الدور، فهي تحمل رسالة تربوية مؤثرة عن قصد أو بدون قصد، فالأسرة تعد مؤسسة تربوية من الدرجة الأولى، لأن الطفل يتأثر في حياته بعوامل كثيرة، نرى المنزل أعظمها منزلة وأشدها أهمية، فهو الوسيلة التي تحدد إلى مدى كبير حياة الفرد وسلوكه، إذ يبقى أثر السنوات الأولى من حياة الفرد ملازما له، وأهم من ذلك العلاقات الروحية والصلات بين الطفل والوالدين من حيث التفكير والأخلاق والعواطف[4].

---

(1) المرجع السابق، ص١٠٧.

(2) قاسم أمين: تحرير المرأة – مرجع سابق،ص١٣٤.

(3) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٠٩.

(4) فايقة إسماعيل خاطر: وحدة مقترحة لدراسة أطفال الحضانة لبيئتهم – رسالة ماجستير (غير منشورة) – كلية التربية – جامعة طنطا – ١٩٧٨م، ص٨٠ وما بعدها.

وقد ذهب قاسم أمين إلى أن الطفل يتأثر أول ما يتـأثر بـالمنزل، فـالوالدان - الأم بنوع خاص - هما الموكلان بتربيته، لأن "أول من يطلب منه القيام بهذه الوظيفة هم طبعاً الذين يعاشـرون الطفـل مـن نشـأته معاشـرة مسـتمرة والذيـن يؤثـرون عليـه بأعمالهم وأقوالهم وسلوكهم، ثم إذا أضفنا إلى ذلـك مـا تحتاجـه التربيـة مـن العنـاء والصبر والعقل والحنو والمحبة الخالصة حكمنا بأنها لا تتم إلا بواسطة من انتخبتهم الفطـرة الإلهيـة - أو كمـا يسـميها بعضـهم الطبيعـة - لهـذه المأموريـة العاليـة وهـم الوالدان"[1]، فإصلاح الإنسـان لا يكـون إلا بالتربيـة والتربيـة لا تكـون إلا بالعائلـة، ولهذا اعتبرت العائلة أساس كل جامعة"[2].

وعندما دعا قاسم أمين إلى تعليم المرأة فإنه كان يهدف مـن وراء تعليمـها أن تحسن علمها في بيتها وتجيد وظيفتها في تربية أولادهـا، فـالمرأة كمـا يراهـا قاسـم أمين مكانها البيت، ومستقبل العائلة وسعادتها مرهون بوجـود المـرأة داخـل بيتـها، وأن إهمالـها لبيتـها هو إهمال للمجتمع، "ويكفي كل إنسـان متفكـر أن يتـأمل فـي حالة عائلته ليتـأكد أن اسـتمرار الحـال علـى مـا هـو عليـه الآن صـار ممـا لا يمكـن احتماله "[3]، لسوء حالة المرأة وإهمالها لشئون بيتها.

ويؤكد قاسم أمين على وظيفة المرأة العائلية قائلاً " هذه الوظيفـة التـي تقـوم بها الأمهات .. هي أنفع ما يعمله إنسان حي على وجه الأرض، إذ لا يوجـد شـيء أهم ولا أنفع من تهذيب نفوس الأطفال وإعدادهم لأن يكونوا رجالاً صالحين"[4].

وإذا كان قاسم أمين قد طالب بالوظيفة الاجتماعية للمرأة فإنه أيد بقاءها في بيتـها، ولا ينبغـي عليـها أن تتركـه إلا إذا اسـتدعت الحاجـة، وقـد أشـار فـي

(1) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص٣٥.
(2) المرجع سابق، ص٣٦.
(3) كقاسم أمين : تحرير المرأة – مرجع سابق، ص٤٩.
(4) قاسم أمين: المرأة الجديدة– مرجع سابق، ص١٢٢.

كتابه "المصريون" إلى ذلك فيقول" إن مشهد الأم المتفانية يملؤنى حناناً، كما يحرك سرورى مشهد الزوجة التى تعنى ببيتها"[1].

ويستشهد قاسم أمين على عمل المرأة العائلى بقول الفيلسوف الألمانى "فنلون" Fenelon الذى يرى "أن الواجبات التى تطالب بها النساء هى أساس الحياة الإنسانية فالمرأة تدير جميع شئون العائلة، وبهذا العمل يكون لها أعظم نصيب فى إصلاح الأخلاق أو فسادها. ليست الأمة صورة تقوم بنفسها كما يتخيل، وإنما هى مجموع العائلات، وما من أحد يمكنه أن يهذب العائلة سوى المرأة"[2]، وهذا ما طالب به" اوجست كونت A. Conte فى كتابه (النظام السياسى) بقوله "يجب أن تكون الحياة النسائية منزلية على قدر الإمكان ويجب تخليصها من كل عمل خارجى ليمكنها أن تحقق وظيفتها على ما يرام"[3].

وإذا كانت هذه هى نظرة علماء الغرب إلى عمل المرأة العائلى، فلماذا لا تكون نظرتنا أسبق، وخاصة أن ديننا الحنيف وضع لنا تشريعاً أوضح فيه أسلوب حياتنا؟

وإذا كان العلماء والمربون قد أجمعوا على دور الأم وأهميته فى تربية الطفل فإن قاسم أمين قد أكد هذا الدور، فيرى" أن الأم فى بلادنا صارت مدرسة ثابتة عملها الوحيد مكافحة كل ما يتلقاه الطفل من سواها.. إن مدرس الأم لا شك فائزة على كل حال لأن الطبيعة تشتغل معها وتساعدها بما أودع الله فى نفس الطفل من الميل إلى الوالدة وأنه يعاشرها أضعاف ما يعاشر غيرها"[4].

إن قاسم أمين يرى أن الطبيعة هى التى أعدت المرأة للوظيفة العائلية، لأنها" صاحبة الحصة الأولى من تربية الطفل فى المدة الأولى من عمره، فوجود الأب نفسه بجانب الطفل ليس مضمونا، إذ قد يحرم منه بموت أو بانفصال الوالد عنه،

---

(1) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – مرجع سابق، ص٢٨١، نقلا عن المصريين.

(2) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٢٣.

(3) مصطفى الغلايينى: الإسلام روح المدنية أو الدين الإسلامى واللورد كرومر – بيروت ١٩٠٨م، ص٢٠٦.

(4) قاسم أمين : الأعمال الكاملة – مرجع سابق، ص٢٢٧.

فتصبح الأم رئيسة العائلة (أو الحاضنة الشرعية لولدها)، وعندئذ يقع على عاتقها الحمل الثقيل الذى كان ينؤ به ظهر زوجها، فتكون هى المكلفة ... بالقيام بشئون واحتياجات المنزل وطلب الرزق وإدارة الأموال وتربية الأولاد"[1].

وإذا كانت الأم هى أول ممثل للمجتمع يقابله الطفل، فإن قاسم أمين قد رأى أن تعى مبكرا تنشئة الطفل، حيث "لا ينتظر لمباشرة التربية أن يتعقل الطفل الأشياء ويفهم المعانى ويعى ما يقال له، بل يجب الشروع فيها من أول ولادته لتعويده على انتظام الغذاء والنوم والنظافة وعدم البكاء، بل قد تطرف فريق من العلماء فجعل مبدأ زمن التربية من بدء ظهور الحمل فى بطن أمه، وهذا الرأى مع ما فيه من الغرابة ليس يلقى على عواهنه أو خاليا من الصواب، لأننا نشاهد الآن الأم تؤثر على ولدها تأثيرات مادية لا يمكن إنكارها، فترى فى بعض الأحيان عندما يولد الطفل آثار ظاهرة فى جسمه يكون سببها الوحيد تأثر الأم أثناء مدة الحمل بحادث مخصوص هيج إحساسها إلى الرغبة فى الشىء أو النفور منه"[2].

ولما كانت الأسرة هى الوعاء الذى تتشكل داخله شخصية الطفل تشكيلا فرديا واجتماعيا فإن قاسم أمين قد رأى أن المرأة هى التى تملك وحدها تشكيل هذه الشخصية، وذلك لكونها" أول شىء يقع تحت حواس الإنسان فى أول نشأته، وهى الشىء الثابت المستمر الذى يراه دائما"[3]، كما أن "مدار التربية كلها على الأم، فالولد ذكرا كان أو أنثى من وقت ولادته إلى سن المراهقة لا يعرف قدوة له سوى والدته، ولا يعاشر غيرها، ولا يرد على حواسه إلا الصور التى تعرضه لها، فنفسه صحيفة بيضاء وأمه تنقشها كما تشاء، ويتم نقش الصحيفة وتكون كتابا مسطورا عندما يبلغ سن الرابعة عشر"[4]، فلو كان "الأدب يعلم بالحفظ لكان إصلاح العالم من أسهل الأمور، وإنما كان ذلك لأن (الأم) أرادت أن يكون على هذه الصفات،

---

(1) المرجع السابق، ص٢٢٦، ٢٢٧.
(2) قاسم أمين : أسباب ونتائج – مرجع سابق، ص ص٤٠، ٤١.
(3) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٣٦.
(4) المرجع سابق، ص ص١٢٠.

وكابدت ما لا يوصف من المتاعب لطبعها في نفسه وتثبيتها في طبعه فهي التي كانت تحرص على أن لا يقع تحت حواسه صورة قبيحة، وهي التي كانت تقدم إليه صور الأشياء الجميلة على أشكالها المختلفة. وهي التي كانت تعوده على العادات النافعة شيئا فشيئا حتى رسخت فيه كما ترسخ جذور النباتات في الأرض"[1].

ولما كان "قوام العائلة ونظامها في يد المرأة"[2]، فإن قاسم أمين يرى أن تأثير المرأة لا يقتصر على تربية الأطفال فقط، وإنما "المرأة تؤثر على جميع من يعيش حولها من الرجال، فكم من امرأة سهلت على زوجها وسائل النجاح في أعماله، وأعدت له أسباب الراحة والاطمئنان ليتفرغ لأشغاله، وكم من امرأة شاركت زوجها أو أخاها أو والدها في متاعبه، وكم من امرأة طيبت قلب الرجل وقوت عزيمته في حالة اليأس والقنوط، وكم رجل طلب المجد ومعالي الأمور في إرضاء محبوبته فلبغ الغاية مما طلب"[3].

إن التزام المرأة داخل بيتها، وبقاءها فيه له تأثير عظيم على نجاح الزوج، ومن هنا يتحقق المثل القائل (وراء كل عظيم امرأة)، فأى مصلحة للرجل أعظم من أن يعيش"وبجانبه رفيقة تلازمه في الليل والنهار، في الإقامة والسفر،في الصحة والمرض، في السراء والضراء، رفيقة ذات عقل وأدب عارفة بحاجات الحياة كلها تهتم بكل شيء يمس بمصلحة زوجها ومستقبل أولادها، تدبر ثروته وتحافظ على صحته، وتدافع عن شرفه وتروج أعماله، وتذكره بواجباته وتنبه إلى حقوقه، وتعرف أنها باجتهادها تجد في منفعتها كما تجد في منفعة زوجها وأولادها"[4]، ومن ثم يتحقق عمل المرأة في وظيفتها العائلية فالبيت أنسب مكان للعمل، ونجاح الأسرة مرهون بهذه الوظيفة.

---

(1) قاسم أمين : المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص ص١٢١، ص١٢٢.
(2) المرجع السابق، ص١١٠.
(3) المرجع السابق، ص١٢٩.
(4) المرجع السابق، ص١٣١.

ومما سبق يتضح أن قاسم أمين قد وجد أن التربية لا تكون إلا بالعائلة. فالوالدان - والأم بنوع خاص - هما الوكلان بتربية الطفل، وأن العائلة لا يمكن أن تسعد إلا بوجود المرأة المتفرغة لبيتها: فمكانها البيت ووظيفتها تربية الأطفال، وأن نجاح الرجل متوقف على وجود الزوجة بجانبه، كما أن التربية السليمة يجب أن تبدأ بالطفل من المهد، وهذا رأى حديث لأن الطفل أصبح عند المربين المحدثين هو مركز الاهتمام على أنه ينبغى أن نعنى بأخلاق الطفل من سنته الأولى، فيجب أن يهيء له جو ملائم يعود فيه العادات التى يبتغيها المجتمع فينشأ على الفضائل، حتى قيل إنه "يستحيل تحصيل رجال ناجحين إن لم يكن لهم أمهات قادرات على أن يهيئنهم للنجاح، فتلك هى الوظيفة السامية التى عهد التمدن بها إلى المرأة فى عصرنا هذا وهى تقوم بأعبائها الثقيلة فى كل البلاد المتمدينة، حيث نراها تلد الأطفال ثم تصوغهم رجالا"[1]، ومن ثم فالعلاقة بين الطاقة الشبابية وتقدم المجتمع مرتبط بوجود الأمهات المتعلمات، فالتقدم مقترن بوضع المرأة المثقفة ومكانها من وظيفتها العائلية"[2].

(1) قاسم أمين: المرأة الجديدة – مرجع سابق، ص١٢٢.

(2) James W. Partridge : Care and welfare caring for the Body teach your self Boos Hodder and Stough ton Copyright London 1973: P. 3.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج...

ثانياً: التوصيات..

بعد أن سار البحث على هذا الطريق مع قاسم أمين، العصر الذى عاش فيه وحياته وفكره التربوى. يرى الباحث أن تكون خاتمة ذلك الطريق وقفة أخيرة يلخص فها ما تحدث عنه، وما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج وتوصيات.

أولاً: نتائج الدراسة:

١- ولما كان الفكر لا يولد من فراغ وإنما يكون انعكاساً للظروف التى يعيش فيها المكفر، فقد رأى الباحث أن الفكر وليد الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع، كما أن المفكر ليس معزولاً عن مجتمعه، فهو جزء منه ولبنة من لبناته التي تساهم فى مجرى التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

٢- كانت لظروف عصر قاسم أمين - الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها - انعكاسات واضحة على فكره العام وفكره التربوى على وجه الخصوص، وقد اتضح ذلك فى معالجاته التربوية فى تربية الأمة وإسهاماته التربوية فى تربية المرأة وإصلاح المجتمع عن طريق إصلاح أبنائه، فقد استجاب باعتباره مصلحاً اجتماعياً وقاضياً لمشكلات عصره بالمشاركة قولاً وعملاً فى وضع الحلول وتقديم العلاج[1].

٣- وقد خلصت الدراسة إلى أن لنشأة قاسم أمين وحياته وكذا مراحل تعليمه أثراً كبيراً فى تشكيل شخصيته وتكوين ثقافته[2].

٤- أوضحت الدراسة أن شخصية قاسم أمين كانت دائما شخصية واعية متطورة جمعت بين الثقافة الغربية والثقافة الشرقية، فكان دائماً يلائم بين الثقافتين،

---

(١) انظر الرسالة : الفصل الأول.

(٢) انظر الرسالة : الفصل الثانى.

حيث لعبت هذه الثقافة حظاً ليس بالقليل فى تشكيل شخصيته وآرائه العامة والتربوية بخاصة[1].

٥- كما بنيت الدراسة أن شخصية قاسم أمين قد ربطت بين أصالة الفكر التربوى الإسلامى وتراث الأمة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة من جهة وبين ما يجب أن يكون عليه نظام التربية والتعليم فى مصر الحديث، أى أنه مزج بين القرآن الكريم وبين الثقافة الأوربية فى تعاون وتوافق، فكان مبدأ التقدم والتطور من مبادىء الإصلاح وليس هناك تعارض بين الدين وبين التقدم، فكان متديناً إلى حد كبير يحافظ على العقائد الدينية فى كتابته ولا يقبل من الثقافة الأوربية إلا ما يتفق وتعاليم الدين، فكان يدعم رأيه بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وأقوال الأئمة والفقهاء فى كل مسألة يناقشها[2].

٦- وقد خلصت الدراسة إلى أن شخصية قاسم أمين كانت متعددة الجوانب، واسعة الثقافة، وقد بقى ذلك شأنه لا يكتفى بعمل واحد فى الحياة، مع أنه وهب حياته للإصلاح الاجتماعى والقضية الاجتماعية إلا أنه كان يجمع بين الأعمال والدراسات الشتى حتى أنه كان فى القضاء قاضياً، ومؤلفاً بالفرنسية والعربية، ومحرراً للمرأة، ودائب البحث فى الشريعة الإسلامية، ومنشئاً للجامعة، ومؤسساً للجمعية الخيرية الإسلامية، و غير ذلك من جلائل الأعمال[3].

٧- وقد أثبتت الدراسة أن فكر قاسم أمين ليس فكراً غربياً هداماً كما يرى البعض، ولكنه كان فكراً بعيداً عن التطرف، يهدف إلى إصلاح المجتمع وتقدمه، فعلى الرغم من البيئة السياسية والدينية والاجتماعية التى كانت تقف فى وجه كل مصلح، فإنه التزم جانب الإصلاح التدريجي.

(١) انظر الرسالة: الفصل الثانى.
(٢) انظر الرسالة: الفصل الخامس.
(٣) انظر الرسالة :الفصل الثانى.

٨- وقد استوقفتنا الدارسة إلى أن منهج قاسم أمين فى التــأليف كـان يمتـاز بالأمانـة العلمية التى تظهر فى مؤلفاته، فكـان حريصـاً علـى أن ينـص علـى كـل مصـدر يرجع إليه، وهذه صفة يحمد عليها.

* * *

١- ونظرة قاسم أمين إلى الإنسان لا تختلف عـن نظـرة فلاسـفة عصـره، فقـد احتـل الإنسان فى فكره مكانة عظيمة ومنزلة عالية لا تقل عن منزلته فى الإسلام، فـهو الكائن المتفرد بعقلـه وعلمـه عـن سـائر المخلوقـات،كمـا أنـه الكـائن الـذى تمـيز بالارتقاء والتطور العقلـى إلى أن وصـل إلى مراتـب الإنسـانية والتـى جعلتـه سـيد الكون وأشرف المخلوقات(١).

٢- نظر قاسم أمين إلى الإنسان نظرة تكاملية متحـدة، إذ رأى أنـه مكـون مـن عقـل وجسم ونفس وقلب، وهى نظرة إسلامية تدعو إلى تنمية شـخصية الإنسـان ككـل متصل، فهو يؤمن بوحدة الطبيعة، فلا نجد فى تصوره عقلاً أو روحاً قائماً بذاتـه ولكن تتكامل وظيفتها من جسم وعقل ونفس وقلـب، كمـا أن الطبيعـة الإنسـانية عنده غير ثابتة، ولكنها ذات تشوف دائم وتطلـع إلى الارتقـاء والنمـو فـى مـدارج الكمال(٢).

٣- يقول قاسم أمين بالجبر، كما يقول بالاختيار، ومن ثم فالإنسان فى نظـره مخـير ومسير فى آن واحد، وهذه نظرة إسلامية صحيحـة تدعـو إلى التـوازن والاعتـدال وإلى الإيمان بالقضاء والقدر، كما تدعو إلى العمل والتوكل على الله(٣).

٤- كما أنه ذهب مع الذين نادوا بأن الطبيعة الإنسانية شريرة بطبيعتها، وأن الشـر جزء من تكوين الإنسان، وأن التربية وظيفتها اقتلاع جذور الشر، واسـتدل بذلـك على تربية الأطفال، وأن العقل صفحة بيضاء، وتسهم التربية والبيئـة فـى غـرس

---

(١) انظر الرسالة : الفصل الثالث.

(٢) انظر الرسالة : الفصل الثالث.

(٣) انظر الرسالة : الفصل الثالث.

بذور الخير، وبذلك يلقى مسئولية كبيرة على التربية في تشكيل الشخصية الإنسانية، ولذلك ينبغي الاهتمام بالبيئة والأسرة والمدرسة في التربية[1].

٥- يضع قاسم أمين الإنسان بين الوراثة والبيئة، فهو يؤمن بهما في تشكيل الشخصية الإنسانية، ويرى أن الشخصية، تتكون من عاملين: عامل طبيعي، وعامل صناعي، وليس في استطاعتنا أن نؤثر في الأول، ولنا على الثاني سلطة واسعة، حيث إنه يمكننا بالتربية أن ننمي غريزة الطفل إن كانت صالحة ونكملها ونزيدها حسناً ويمكننا أن نضعف من أثرها إن كانت بضد ذلك، فهو يؤمن بالوراثة إلى جانب التربية[2].

٦- كما بينت الدراسة أن قاسم أمين قدم في فكره تصوراً للمعرفة الإنسانية، تناول فيه جوانب هامة منها إمكان المعرفة وحدودها، فذهب إلى أن العقل في مكنته التوصل إلى الحقائق، كما تناول مناهج المعرفة، حيث اتسمت نظرته لمناهج المعرفة بالعمق والشمول مع اهتمام قاسم أمين بالحواس والعقل كوسيلتين أساسيتين يعتمد عليهما الإنسان في تحصيل المعارف، كما لم يهمل أمر الحدس كوسيلة للمعرفة أيضاً بل نظر إلى تلك الوسائل مجتمعه تكمل كل منهما الأخرى، كما تناول أيضاً طبيعة المعرفة، حيث أيد الرأى القائل بانعدام الآراء الفطرية، ويرى أن للعقل أساساً من المعلومات يستحيل أن يحصل بدونها شيئاً من المعرفة، وبذلك فهو يتفق مع لوك في أن التجارب التي تنفذ إلى العقل لها الأثر في تكوين المعرفة، فالإنسان جاهل بذاته واكسبه الله تعالى العلم وزوده بأدوات وأجهزة لتساعده على التعلم وتحصيل المعرفة فالمعرفة مكتسبة وليست فطرية[3].

* * *

---

(1) انظر الرسالة : الفصل الثالث.

(2) انظر الرسالة : الفصل الثالث.

(3) انظر الرسالة : الفصل الثالث.

١- أوضحت الدراسة أن التربية احتلت مكاناً عظيماً من فكر قاسم أمين.قد عدها أداة المجتمع فى المحافظة على مقوماته الأساسية وفى تكوين وتشكيل مواطنيه من أجل الكشف عن طاقاته وموارده لاستمثارها وتنميتها.

٢- وقد نظر إلى التربية على أنها عملية نمو للشخصية الإنسانية كاملة، بوصفها كلاً لا يتجزأ، بوصفها جسماً وعقلاً ونفساً وعاطفة، فالتربية عملية تنمية القوى المودعة فى الإنسان من جسمية وعقلية وخلقية ونفسية[١].

٣- كما خلصت الدراسة إلى أن قاسم أمين قد نظر إلى التربية نظرة تختلف عن التعليم، فهو يفرق بين التعليم وبين التربية، فالتعليم جزء من التربية ونوع من أنواعها[٢].

٤- كما انتهت الدراسة إلى وضوح مفهوم التربية، فهو يرى أن أكبر عامل فى إصلاحنا هو استمرار تعلمنا وتربية عقولنا ونفوسنا استمراراً لا انقطاع معه، وهو بذلك يتفق مع علماء التربية المعاصرين فى استمرارية التربية منذ أن يستهل الطفل رضاع لبن أمه، ولا غاية للتربية إلا بالموت، كما أن تربية الإنسان ليس لها سن معينة تنقطع عندها[٣].

٥- ويؤمن قاسم أمين بالتعليم العلمى ومدى أهميته للتعلم، ويرى أن أقل مراتب العلم ما تعلمه الإنسان من الكتب والأساتذة وأعظمها ما تعلمه بتجاربه الشخصية فى الأشياء والناس، فمزاولة الأعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الأمور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم هى منابع للعلم والآداب، فيها ترقى النفوس حتى تبلغ أعلى الدرجات[٤].

٦- توصلت الدراسة إلى أن للتربية أسسا تقوم عليها ومن هذه الأسس:

---

(١) انظر الرسالة : الفصل الرابع.
(٢) انظر الرسالة : الفصل الرابع.
(٣) انظر الرسالة : الفصل الرابع.
(٤) انظر الرسالة : الفصل الرابع.

(أ) **الأساس الديني:**

ويرى قاسم أمين أن التربية هى أهم مـا يحـرص عليه الإسلام فـى تكوين شخصية الفرد المسلم، فالدين أهم جانب من جوانب التربية وأشدها خطراً وأعظمها أثراً وذلك لأن أول هدف للتربية الإسلامية هو تكوين الإنسان المؤمن، ومن هنا يرى قاسم أمين أنه يجب على الطفل أن يعود على محبة الدين ويغذى روحه روحه بتاريخ الإسلام وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب مده بالكتب وممارسة الدين ممارسة فعلية[١].

(ب) **الأساس الوطني:**

وناقش قاسم أمين الأساس الوطنى ودعا إلى تربية النشىء على أصول التربية الوطنية وعلى مبادىء الإيثار والجود بالصالح الشخصي فى سبيل الصالح العام، كما يرى أن الوطنية كيان يتغلغل فى النفوس ومن ثم يجب أن تتمثل فى السلوك[٢].

(جـ) **الأساس النفسي:**

ويرى قاسم أمين أن مراقبة الوازع النفسى هو أهم أسس التربية، وقال إن الأوربيين يسمونه المحكمة الباطنية التى يحاكم الإنسان نفسه أمامها، فتنمية الضمير هو تنمية الوازع الداخلي أو يعبر عنه بالضمير الأخلاقى والذى يتغذى من إيمان المرء ومعتقداته وبالتربية أيضاً يتم تغذيته وتنميته[٣].

٧- وقد استوقفتنا الدارسة إلى أهمية الجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية فى بناء المنهج، فالعلوم الدينية لا يمكن الإفادة منها إذا لم يسبقها الإلمام بالمعارف والمبادئ العلمية[٤].

٨- ومن النتائج الهامة التى توصلت إليها الدراسة أن للتربية وظائف متعددة، منها ما هو خاص بالإنسان، ومنها ما هو خاص بالمجتمع، فهى تهدف إلى تحقيق

---

(١) انظر الرسالة: الفصل الرابع.

(٢) انظر الرسالة: الفصل الثالث.

(٣) انظر الرسالة: الفصل الرابع.

(٤) انظر الرسالة: الفصل الرابع.

النمو والتكامل للإنسان وتعمل على إصلاح المجتمع والنهوض به، ومن أبرز هذه الوظائف:

(أ) التربية وسيلة لإصلاح الإنسان:

ويرى قاسم أمين أن التربية أساس كل إصلاح وقد وجد أن التربية كفيلة بأن تغير المصريين وتصلح من شأنهم، فإصلاح الإنسان لا يكون إلا بالتربية[1].

(ب) التربية وسيلة لبقاء المجتمع والمحافظة عليه:

فهو يؤمن بأن التربية وسيلة لبقاء المجتمع واستمرار حياة أفراده، فالتربية هى السبيل الوحيد لبلوغ المجتمع التحرر الفكرى والاجتماعى والسياسى، ولذلك دعا الأمة إلى التسلح بالتربية[2].

(جـ) التربية وسيلة للتقدم والنمو:

يعد قاسم أمين التربية وسيلة يرتقى بها الإنسان والمجتمع، وقد رأى أن التربية تعنى "التحول" والذى دعا إليه عندما اعتنق فكرة التقدم والتطور، وبهذا التحول يستطيع الإنسان أن يدرك ارتقاءه، فلا سبيل للنجاة من الاضمحلال والفناء إلا طريق التربية[3].

(د) التربية حاجة إنسانية واجتماعية:

فيرى أن التربية تعد حاجة من حاجات الحياة الإنسانية، كما أنها تعد حاجة اجتماعية، فكما أن التربية مطلب شخصى فإنها تعد مطلب اجتماعى[4].

٩- وخلصت الدراسة أيضاً إلى توضيح مجالات التربية وهى تشمل:

(أ) التربية الجسمية:

وقد اهتم قاسم أمين بالتربية الجسمية ورأى أن صحة الجسم تؤثر سلباً وإيجاباً فى النواحي الأخرى من شخصية الإنسان، فالرياضة والأمور الصحية، والتغذية، كلها أمور يجب العناية بها للمحافظة على الجسم، وقد أدرك قاسم أمين

---

(١) انظر الرسالة: الفصل الرابع.

(٢) انظر الرسالة: الفصل الرابع.

(٣) انظر الرسالة: الفصل الرابع.

(٤) انظر الرسالة: الفصل الرابع.

دور الأم فى هذه التربية، فعليها تقع المسئولية ولذلك يجب عليها أن تستعد لهذه المسئولية بالتربية[1].

(ب) التربية العقلية:

ارتبطت التربية العقلية عند قاسم أمين بتشكيل الشخصية المصرية القادرة على تغيير الواقع وإصلاح المجتمع، ولذلك يرى أن التربية تنصب على العقل باعتباره قوة مدركة فى الإنسان، خلقه الله سبحانه وتعالى فيه ليكون مسئولاً عن أعماله، وقد دعا قاسم أمين إلى ربط سلوك الإنسان تجاه كل حياته من فكر وعمل بالعقل والعلم، فلا يمسح الإسلام لأفراده أن يكونوا عشوائيين أو مقلدين أو متواكلين، لأن مهمة العقل هى التفكير لا التقليد[2].

(ج) التربية الأخلاقية:

كان قاسم أمين يجل الأخلاق ويعدها عماد الحياة ولذلك دعا إلى التمسك بالقيم والفضيلة. ويرى أن الإسلام مصدر القيم الخلقية كما يرى أن الأخلاق مكتسبة ويستدل على ذلك بتأثير التربية فى الأطفال، وتعاليم الشرائع السماوية فى الأفراد والجماعات، فالإنسان قابل للتربية والتعليم ويرفض قاسم أمين اعتبار الأخلاق طبيعية، لأن ذلك يلغى دور التربية، كما أن الأخلاق عنده نسبيه[3].

(د) التربية الجمالية:

احتلت التربية الجمالية عند قاسم أمين مكانة عزيمة لما تميز به من حس جمالى نحو الطبيعة، فنفسه كانت حساسة للجماليات، فكان يدعوا إلى الاستمتاع بالحياة عن طريق الاهتمام بالجانب الجمالى، و قد بين أن انحطاط الأمة وتأخرها يرجع إلى إهمالها فى الفنون الجميلة من رسم ونحت وفن وموسيقى وتصوير، فكلها ترمى إلى تربية النفس على حب الجمال والكمال وأن إهمالها هو نقص فى تهذيب الحواس والشعور، فالتربية الجمالية ترمى دائماً إلى صفاء النفس[4].

---

(1) انظر الرسالة : الفصل الرابع.

(2) انظر الرسالة : الفصل الرابع.

(3) انظر الرسالة : الفصل الرابع.

(4) انظر الرسالة : الفصل الرابع.

(٥) **التربية الوجدانية**:

اهتم قاسم أمين بالتربية الوجدانية ، والتى تهتم بالنفس من أجل تكوين الشخصية القوية الصالحة ، فهو يدعو إلى تربية العواطف والتى تتأصل بالأخلاق والعلم والعمل، فالتربية الوجدانية تعمل على بناء شخصية الإنسان وتعمل على تهذيب السلوك وتغرس قيم المحبة والتسامح وبذلك تصبح النفس قادرة على التمييز بين الفضيلة والرذيلة ، وقد قسم قاسم أمين التربية إلى نوعين :

تربية العقل:

وهى التى توجه مدارك الإنسان إلى اكتشاف حقائق العالم

تربية الروح:

وهى التى توجه إرادته إلى الخير وتميل بإحساسه إلى الجميل. والتربية العقلية مكانها المدارس والمكاتب أما التربية الروحية فمكانها البيت ، فالأسرة هى المسئولة عن تنمية وتثبيت التربية الروحية عند الطفل[١].

* * *

١- اتضح من الدراسة أن قاسم أمين - كمصلح اجتماعى - اهتم ببعض المشكلات الاجتماعية ومدى أهمية إصلاحها ، ففكرة الإصلاح عنده لا تتم عن طريق الثورة أو السياسة ، وإنما الإصلاح يبدأ أولا بالبناء الداخلى للمجتمع[٢].

٢- وقد أوضحت الدراسة أن فكرة الإصلاح الاجتماعى عند قاسم أمين كانت لها علاقة وبمؤثرين هما : -

أ - تأثيره بالثقافة الغربية والوسط الذى عاش فيه.

ب- هجوم كتاب الغرب على مصر ، ووصفهم لمصر والمصريين بالتخلف والجمود[٣].

---

(١) انظر الرسالة : الفصل الرابع.

(٢) انظر الرسالة : الفصل الخامس

(٣) انظر الرسالة : الفصل الخامس.

٣- خلصت الدراسة إلى أن قاسم أمين قد اهتم بقضية التغير الاجتماعى، وأن فكرة الإصلاح الاجتماعى لا تتم إلا بفكرة التغير والتطور، فاعتنقهما كمبدأ من مبادىء التقدم[1].

٤- ومن الجديد الذى انتهت إليه الدراسة أن قاسم أمين قد حاول أن يوفق بين دعوته الاجتماعية وبين إيمانه الدينى، فأدرك أن وراء الدين الإسلامى دافعا نحو التقدم، وأن الله سبحانه وتعالى قد أمر عباده أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يصبحوا صالحين، وقد استشهد بآية ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[2]. وهو ما يعد شعارا لفلسفة التقدم، فأراد أن يكون لها إرادة عامة بين أفراد الأمة[3].

٥- وقد استوقفتنا الدراسة إلى أن قاسم أمين كان يؤمن بالتغير التدريجى، رافضا التغير الذى يأتى عن طريق الطفرة[4].

٦- ومن النتائج التى توصلت إليها الدراسة معالجة قاسم أمين لبعض القضايا الاجتماعية والتى تمس حياة المجتمع المصرى، مقدما الحلول لها، ومن هذه القضايا:

أ- العادات:

فقد كان يضيق ذرعا بمن يتقيد بالعادات والتقاليد، فالذين يذهبون إلى فكرة التقدم والتطور والذى يعملون على إصلاح الجماعة التى هم فيها يحاولون دائما أن يتحللوا من العادات القديمة التى تحول دون التقدم فالتمسك بالعادات القديمة هو سبب انحطاط المجتمع وتخلفه[5].

---

(١) انظر الرسالة : الفصل الخامس

(٢) قرآن كريم : سورة الرعد – آية ١١.

(٣) انظر الرسالة : الفصل الخامس.

(٤) انظر الرسالة : الفصل الخامس.

(٥) انظر الرسالة : الفصل الخامس.

ب- إحساس الاحترام:

وقد رأى أنه محل التربية، فإذا كان ناميا في أمة كانت تربيتها جيدة، وإذا فقد كان فقدانه إنذارا بانحلال أخلاقها، فالاحترام هو احترام جملة أمور الأمة مثل الدين والوطن والسلطة والعائلة والعلم والفضيلة فيجب على المصريين احترام تلك الأمور[1].

جـ - العامل الاقتصادي:

وناقش قاسم أمين العامل الاقتصادي وأبرز أثره في عملية الإصلاح الاجتماعية، ورأى أن النواحي الاقتصادية يتوقف عليها عملية التقدم لأن أي مجتمع يتأثر بحالته الاقتصادية، فربط بين الاقتصاد والسياسة وعلاقة الاقتصاد بالتربية، كما أوضح علاقة الاقتصاد بالنواحي الاجتماعية من زواج، وطلاق، حتى سلوك المرأة يتأثر سلبا وإيجابا بالنواحي الاقتصادية[2].

د- ظاهرة الكسل:

ويهاجم قاسم أمين ظاهرة الكسل والتبطل والزهد والتواكل والتي تسود المجتمع، فيرى أن انتشار هذه الظاهرة له علاقة بالاستبداد السياسي، فنادى بالعمل والكسب وتحسين مستوى المعيشة، ولن يتأتى ذلك إلا بالتربية[3].

هـ - الوظيفة:

وقد ناقش العمل الحكومي (الوظيفة) وعاب على الناس تمسكهم بالوظائف ودعاهم إلى العمل الحر في مواجهة القيم التي تمجد التبطل والكسل والراحة ويبشر قاسم أمين بالعمل المنتج وذلك من خلال نقده للعمل الحكومي فيسخر من كل خدمة أميرية، ويدعو الناس إلى العمل الحر المتمثل في التجارة والتي تمتع بها الاحتلال دون المصريين[4].

---

(1) انظر الرسالة: الفصل الخامس.

(2) انظر الرسالة: الفصل الخامس.

(3) انظر الرسالة: الفصل الخامس.

(4) انظر الرسالة: الفصل الخامس.

و- الاستبداد:

ويرى قاسم أمين أن هذه الظاهرة كانت سمة من سمات الحكم في مصر والذى تمثل في الأسرة الحاكمة والاحتلال الإنجليزى. فدعا إلى الحرية حتى تصبح مكفولة للشعب المصرى[1].

ز- الوقف:

ويعرف قاسم أمين الوقف بأنه تجرد الشخص من أملاكه وتخصيصها في حياته أو بعد موته لعمل خيرى، ويرى أن الوقف من أهم القضايا الاجتماعية التي يتوقف عليها الإصلاح، لأنها تدعو إلى نشر أعمال الخير بين الناس ومساعدة المحتاجين وإنشاء المدارس والمستشفيات[2].

١- من النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن حظ المرأة من التعليم كان محدودا للغاية مع بداية القرن التاسع عشر، حيث كان هذا التعليم محصورا في بنات الأسر الراقية (الأسرة الحاكمة)[3].

٢- كما أوضحت الدراسة أن قاسم أمين لم يكن أول داعية لتحرير المرأة، بل سبقه في هذا الميدان الكثير من رواد الإصلاح، ولكن العمل الفكرى المتكامل لتحرير المرأة يرجع إلى قاسم أمين بصدور كتابه "تحرير المرأة سنة ١٨٩٩، فكان بمثابة ثورة على الأوضاع السائدة[4].

٣- خلصت الدراسة إلى أن المرأة التي رآها قاسم أمين كانت في حالة محزنة، فهي لا تختلف عن حالة الرقيق في شيء، فهي اجتماعيا لا وجود لها لعزلتها عن المجتمع وقبوعها خلف جدران الحريم وكل هدفها تسلية الرجل[5].

---

(١) انظر الرسالة : الفصل الخامس.

(٢) انظر الرسالة : الفصل الخامس.

(٣) انظر الرسالة : الفصل السادس.

(٤) انظر الرسالة : الفصل السادس.

(٥) انظر الرسالة : الفصل السادس.

٤- كما توصلت الدراسة إلى أن وضع المرأة مرتبط بالحالة السياسية، فهناك تلازم بين الحالة السياسية والحالة العائلية ،فانحطاط المرأة كان نتيجة لاستبداد السياسى، فالرجل فى رق الحاكم، والمرأة فى رق الرجل، ولما كان الحاكم يستبد بالرجل فاصبح المحكوم يستبد بالمرأة، فأخذ يعاملها بالاحتقار والامتهان وداس بأرجله على شخصيتها، فكان من اللازم الإصلاح[1].

٥- من النتائج الهامة التى توصلت إليها الدراسة أن المرأة فى حاجة إلى التعليم، وهذا يتعارض مع دعوة الإسلام، فالإسلام نادى بتعليمها ورد إليها حقوقها[2].

٦- كما توصلت الدراسة إلى أن تعليم المرأة له علاقة قوية بتقديم المجتمع وصلاحه ويتبين ذلك فى:

أ- أن المرأة ميزان العائلة، فإن كانت جاهلة عاشت العائلة فى انحطاط شديد وإن كانت متعلمة عاشت العائلة فى سعادة.

ب- إدارة شئون المنزل تتوقف على تعليم المرأة ومدى ثقافتها.

جـ- أن السعادة الزوجية وحسن معاشرة الأزواج تتوقف على تعليم المرأة.

د- تربية الأطفال لا تثمر إلا بتربية الأمهات.

هـ- كما أن تعليم المرأة يحافظ عليها ويصون شرفها ويبصر طريقها.

و- كما أن تعليم المرأة مطلب شخصى قبل أن يكون مطلب اجتماعى[3].

٧- أبرزت الدراسة كيفية تعليم المرأة وطريقة تربيتها، وما يناسب طبيعتها وطبيعة عملها سواء أكان فى العائلة أم فى المجتمع، فلها أن تتعلم ما يساعدها على تأدية رسالتها، فليس المهم هو حشو ذهنها بالعلوم وإنما المهم هو تشويق عقلها بالعلوم التى تفيدها، فلها أن تتعلم صناعة الطعام وترتيب البيت، كما تتعلم صناعة تربية الأطفال إلى جانب تعليمها صناعة الطب لما يتناسب مع طبيعتها[4].

---

(١) انظر الرسالة: الفصل السادس.

(٢) انظر الرسالة: الفصل السادس.

(٣) انظر الرسالة: الفصل السادس.

(٤) انظر الرسالة: الفصل السادس.

٨- ومن أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة "مسألة الحجاب" والتى عدها قاسم أمين أهم القضايا الاجتماعية، والتى تعد بداية الإصلاح - وقد دار حولها الجدل والخلاف - وقد عالجها قاسم أمين معالجة موضوعية مقدما أدلته من القرآن والسنة والفقه، حيث توصل إلى[1]:

أ- فى البداية أيد قاسم أمين الحجاب وامتدح النظام السائد آنذاك ودافع عن الحجاب الموجود ونقد الاختلاط والتبرج فى أوربا ورأى أن المرأة المصرية ليست فى حاجة إلى الإصلاح.

ب- ثم عدل عن موقفه ورأى أن الحجاب عادة قديمة وليست مستحدثة، فيجب النظر فيه ورده إلى حكم الشريعة الإسلامية.

جـ- توصل إلى أن الحجاب الشرعي لا ينطبق على النقاب والبرقع، وإنما من مشروعات الإسلام ضرب الخمر على الجيوب كما هو صريح الآية، فالإسلام أباح كشف الوجه والكفين لسهولة تعامل المرأة وممارسة أعمالها والقيام بواجباتها.

د- كما أن مسالة التحجب - قصر المرأة فى بيتها - إنما خاص بنساء النبى صلى الله عليه وسلم أما نساء المسلمين فقد نهى الله سبحانه وتعالى الخلوة وأباح الاختلاط الذى لا يكون فيه ضرر.

٩- ومن النتائج التى توصلت إليها الدراسة معالجة قضية "تعدد الزوجات" فقد أيد قاسم أمين هذه القضية إلا أنه رأى أن التعدد لا يجوز إلا فى حالة الضرورة المطلقة كما أن تعدد الزوجات له علاقة قوية بتقدم المجتمع ومدى تخلفه، فالتعدد ينتشر مع انتشار الجهل ويقل مع انتشار التعليم[2].

١٠- وقد بينت الدراسات أن قاسم أمين ناقش قضية "الطلاق" وقد رأى أن الإسلام دعا إلى حظر الطلاق ولم يبحه إلا لضرورة، حتى فى تلك الضرورة مبغوض، كما توصلت الدارسة إلى عدة نقاط فى أمر الطلاق اقترحها قاسم أمين وهى:-

---

(١) انظر الرسالة : الفصل السادس.

(٢) انظر الرسالة : الفصل السادس.

أ- إنه قيد الإشهاد على وقوع الطلاق.

ب- إنه قيد التحكيم الذى حدده القرآن بهدف محاولة الإصلاح.

جـ- إنه قيد جعل إيقاع الإرادة والنية الحقيقية للطلاق.

د- إنه جعل الطلاق من اختصاص القضاء.

كما أن الطلاق له علاقة قوية بالتربية والتعليم وخاصة من النساء[1].

١١- ومن النتائج الهامة التى توصلت إليها الدراسة قضية "عمل المرأة" فقد ناقش قاسم أمين عمل المرأة متدرجاً فى ذلك تبعاً لتطوره الفكرى، ففى المرحلة الأولى قرر أن عمل المرأة هو بيتها ولا يصبح لها أن تعمل خارجه ثم يتطور قليلاً ويطلب أن تمارس أعمال الرجال، وفى المرحلة الأخيرة يقرر أن تتعلم أولا لتتقن عملها فى الهيئة الاجتماعية، ويرى أن لها وظفيه اجتماعية وأخرى عائلية[2].

أ-في الوظيفة الاجتماعية:

يرى قاسم أمين أن الفطرة أعدت المرأة للقيام بالأعمال المنزلية وتربية الأطفال إلا أن المجتمع فى حاجة إلى عملها فى الوظائف، التى تناسب طبيعته، وخاصة أن الإسلام أباح عملها عند الضرورة من طلاق، وفقر، وعدم الزواج، وقد حدد قاسم أمين عمل المرأة فى صناعة تربية الأطفال وصناعة الطب[3].

ب-وفي الوظيفة العائلية:

يرى قاسم أمين أن المرأة مكانها البيت ووظيفتها تربية الأطفال أن مستقبل البيت وسعادة الأسرة مرهون بوجود المرأة لأن:

(أ) تربية الأطفال لا تفلح إلا إذا كانت الأم هى المربية.

(ب) أن السعادة الزوجية تتأثر بوجود الزوجة المتفرغة لواجباتها المنزلية.

(ج) العائلة لا تعرف الاحترام أو الفضيلة أو النظام إلا بوجود الأم - المرأة - فى بيتها[4].

---

(1) انظر الرسالة : الفصل السادس.

(2) انظر الرسالة : الفصل السادس.

(3) انظر الرسالة : الفصل السادس.

(4) انظر الرسالة : الفصل السادس.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء النتائج التى توصلت إليها الدراسة، يستطيع الباحث إبراز أهم التوصيات والتى تدور حول موضوع الدارسة.

١- توصي الدراسة بأهمية أخذ في الاعتبار- عند دراسة أى مفكر من جانبه التربوى ضرورة وضع هذا المفكر فى المحيط الاجتماعي والسياسى والثقافى الذى نشأ فيه وتأثر به وبيان انعكاسات ذلك على فكره التربوى.

٢- كما توصي الدراسي عند اختيار أحد الشخصيات لبحث التربوى أن نضع فى الاعتبار أهمية هذا المفكر بالنسبة لعصره وما يمثله لقضايا مجتمعنا المعاصر من تأثير.

٣- من دراسة قاسم أمين ومدى ما تمتع به من عقلية تميزت بالانفتاح على ثقافات عصره مع عدم الإخلال من شأن التراث الإسلامى بل تطويره وتطويعه لمعالجة قضايا المجتمع - توصي الدراسة بأهمية المحافظة على التراث الإسلامى مع الإفادة من الثقافات الأجنبية المعاصرة ومن ثم يتحقق الجمع بين (التراث والمعاصرة).

٤- توصي الدراسة بتقرير كتب ومؤلفات قاسم أمين وتدريسها لطلاب المدارس والجامعات ففيها الإفادة وخاصة أننا فى حاجة إلى معرفة فكر هذا الرجل لما له من أهمية فى دعوته الإصلاحية وإعادة البناء الداخلى لما له من أهمية فى دعوته الإصلاحية وإعادة البناء الداخلى للمجتمع.

* * *

١- توصى الدراسة بضرورة التوعية بنظرة الإسلام إلى الإنسان وذلك فى ضوء الدراسات الحديثة عنه، وعن طبيعته العقلية والجسمية والخلقية.

٢- توصي الدراسة بأهمية التعلم وتحصيل المعرفة، فليس التعلم من أجل التعلم، إنما بهدف الرغبة فى اكتساب العلم والتشوف لاستطلاع ما عليه الناس فى أحوالهم وأعمالهم وحب استكشاف الحقائق.

١- توصى الدراسة بأن يكون هناك نوعاً من التعليم، لا يتقيد بمراحل معينة، وهو ما يعرف بالجامعة المفتوحة- وأن يكون هذا التعليم مستمراً حتى تتاح الفرص أمام الشباب ذوى الطموحات. وخاصة ممن حرموا من التعليم نتيجة لظروفهم.

٢- توصى الدراسة بأن يتواجد نوعاً من التعليم العملى فى كل مراحل التعليم، وأن يكون متلائما مع طبيعة المرحلة التعليمية. وألا يكون حكراً على التعليم الفنى فقط.

٣- توصى الدراسة بأن تدعم مناهج المراحل التعليمية بالتعليم الدينى إلى جانب العلوم الأخرى، وألا يقتصر تقديمه على طلاب الأزهر فقط.

٤- توصى الدراسة بإعادة النظر فى المناهج الدراسية الحالية، بحيث تشمل على جوانب التربية المتمثلة فى الجوانب الجسمية والعقلية والأخلاقية والجمالية والوجدانية.

٥- توصى الدراسة بأن يوضع فى الاعتبار أسس التربية السليمة المتمثلة فى الأسس الدينية والوطنية والنفسية أمام المهتمين بالتربية والتعليم وذلك من خلال البرامج التربوية المقصودة وغير المقصودة.

* * *

١- توصى الدراسة بأهمية الأخذ فى الاعتبار - عملية الإصلاح - ضرورة الاعتماد على الإصلاح الاجتماعى والذى يتمثل فى إعادة البناء الداخلى للمجتمع.

٢- كما توصى الدراسة عند عملية الإصلاح الاجتماعى أن نضع فى الاعتبار دور التربية لمواجهة التغير الاجتماعى، وخاصة أن التغير أصبح سمة من سمات هذا العصر.

٣- توصى الدراسة بأن تكون فطرة التغير الاجتماعى مستمدة من خلال الدين الإسلامى وخاصة أن الإسلام دعا إلى التغير.

* * *

١- توصي الدراسة بضرورة إعداد المرأة لقبول دورها فى المجتمع، فما هو جدير بالذكر أن التقدم الثقافى والتغير الاجتماعى الذى حدث فى المجتمعات الإسلامية قد ضيق الهوة بين دور الرجل ودور المرأة فى المجتمع إلا أن هناك ميزات لا يجب أن تتلاشى فى دور الرجل ودور المرأة قد بينها قاسم أمين ونظمها طبقاً لاستعدادات وقدرات كل منهما وخصائصه الطبيعية، فالمرأة لها دور أساسي هو أن تكون زوجة وربة بيت بجانب دورها فى المشاركة. فى عمليات تنمية المجتمع ولذلك يجب:

أ- أن يضاف إلى مناهج تعليم البنات دراسات نظرية وعملية عن تربية الطفل وكيفية العناية به ودور الأم بالنسبة للطفل وكيفية الاهتمام به.

ب- ضرورة أن يتضمن البرنامج التعليمى على دراسات عن الاقتصاد المنزلى وعن التربية الصحية وذلك لأهميته فى مساعدة المرأة على عمل ميزانية المنزل وفى تنظيم هذه الميزانية حسب احتياجات الأسرة من مسكن وكساء وتعليم وعلاج.

٢- وعن الحديث بصدد حجاب الفتاة الجامعية والذى ما زال الحديث عنه قائماً إلى اليوم هل تتواجد بالحجاب أم بالنقاب،فتوصى الدراسة بالتزام كل فتاة بالزى الإسلامى كما يراه قاسم أمين وهو ضرب الخمر على الجيوب(أى كشف الوجه والكفين) مع ستر جميع البدن، منعاً لانتشار المفاسد والتستر وراء الدين داخل الجامعات المصرية.

٣- إن خروج المرأة فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة إلى العمل، قد جعلها تترك أولادها فى دور الحضانة أثناء فترة عملها، فتوصى الدراسة ضرورة الاهتمام بدور الحضانة وتوفير الأعداد الكافية منها لمواجهة التزايد فى إعداد الأطفال وكذلك ضرورة إعداد الحاضنات اللاتى يستطعن القيام بدورهن فى تربية الطفل.

٤- توصى الدراسة بأن يقتصر عمل المرأة بمهنة التدريس وخاصة فى مراحل التعليم الأساسى لما يتناسب مع طبيعتها وقدرتها وكذا فى مهنة الطب وخاصة تخصص نساء وولادة، فالدولة فى حاجة إلى هاتين الحرفتين.

ولا يظن الباحث بهذه الدراسة أنه قد أحاط بكل فكر قاسم أمين، فلا يــزال قاسم أمين بفكره الخصب بحاجـة إلى مزيـد مـن الدراسـة. وهنـاك بعـض الجوانـب للباحثين دراستها في فكر قاسم أمين مثل:

- التربية السياسية فى فكر قاسم أمين.
- التربية الاجتماعية فى فكر قاسم أمين.
- تربية الطفل في فكر قاسم أمين.
- كما أن قضية المرأة التى مازالت فى حاجة إلى مزيد من الدراسة والوضوح. وخاصـة ونحن مازلنا فى حاجة إلى خلق الفتاة المسلمة الواعية المثقفة التـى تـدرك الحيـاة إدراكاً سليماً.
- وكل ما أرجوه هو أن أكون قد وفقت فى هذه الدراسة فيمـا قدمتـه مـن آراء وأفكـار وأرجو أن تكون دراسات المستقبل أكثر عمقاً ونضجاً.

والله الموفق إلى خير السـبيل

الباحث

المراجع

*القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية للدراسة:

١- قاسم أمين : أسباب ونتائج وأخلاق ومواعظ - القاهرة - مكتبة الترقى - ١٨٩٨م.

٢- قاسم أمين: كلمات - القاهرة - مطبعة الجريدة - ١٩٠٨م

٣- قاسم أمين: المرأة الجديدة - القاهرة - مطبعة الشعب - ١٩١١م.

٤- قاسم أمين: تحرير المرأة - القاهرة - المكتبة الشرقية - ١٩١٨م.

٥- قاسم أمين: تحرير المرأة - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠م.

٦- قاسم أمين: الأعمال الكاملة - جـ١ ، جـ٢- دراسة وتحقيق محمد عمارة - بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ١٩٧٦م.

٧- قاسم أمين : تحرير المرأة والتمدن الإسلامى - محمد عمارة - بيروت - دار الوحدة للطباعة والنشر - ١٩٨٥م.

ثانياً : المراجع العربية:

أ-الكتب:

٨- إبراهيم سابى أحمد: التاريخ القومى - ط١- القاهرة -مكتبة النهضة المصرية - ١٩٥٦م.

٩- إبراهيم عبده، درية شفيق: تطوير النهضة النسائية فى مصر من عهد محمد على إلى عهد الفاروق - القاهرة - مكتبة الآداب - ١٩٤٥م.

١٠- إبراهيم عصمت مطاوع : التخطيط للتعليم العالى - القاهرة - مكتبة النهضة الحديثة- ١٩٧٣م.

١١- إبراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية - ط٢- القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠م.

١٢- إبراهيم عصمت مطاوع: أصول التربية ط٣- القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٣م.

١٣- إبراهيم عصمت مطاوع: التنمية البشرية بالتعليم (سلسلة إقرأ) - القاهرة - دار المعارف - نوفمبر ١٩٨٣م.

١٤- إبراهيم عصمت مطاوع، عبد الغنى عبود: فى التربية المعاصرة - ط١ - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٧٧م.

١٥- إبراهيم ناجي: مدينة الأحلام -القاهرة - دار الكتب المصرية - (د.ت)

١٦- ابن حزم الاندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تحقيق وتعليق وتقديم الطاهر أحمد مكي - ط١ القاهرة - دار المعارف - ١٩٨١م.

١٧-ابن رجب : جامع العلوم والحكم - تحقيق محمد الأحمدى أبو النور - جـ١ - القاهرة - مطبعة نهضة مصر - ١٩٨٦م.

١٨- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي): الإسلامي ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٩- ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق - حققه وشرح غريبه ابن الخطيب - المطبعة المصرية - القاهرة - ١٣٩٨هـ

٢٠- ابن منظور: لسان العرب - تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون - جـ١٨- القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٩م.

٢١- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين- المجلد الثالث - لبنان بيروت - دار المعرفة - (د.ت).

٢٢- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى: صحيح مسلم - مجلد ٣- بيروت - دار إحياء التراث العرب - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥.

٢٣- أبو ذر القلمونى: ففروا إلى الله- القاهرة - المكتبة التوفيقية - (د. ت).

٢٤- أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشى(٦٣١ - ٦٧٦هـ): رياض الصالحين بيروت - دار الجيل- (د.ت).

٢٥- أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن قيم الجوزية(٦٩١ - ٧٥١هـ): إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - تحقيق محمد حامد الفقى - المجلد الأول - دار المعرفة - بيروت - لبنان - (د.ت).

٢٦- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى: صحيح البخارى - جـ ١ دار الجيل:

٢٧- أبو عيسى محمد بن عيس بن سوره (٢٠٩ - ٢٩٧هـ): الجامع الصحيح (سنن الترمذى) - تحقيق وتخريج وتعليق محمد فؤاد عبد القوى -جـ٣- مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر - ط٢ - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٢٨- أبو الفتوح رضوان: القومية العربية - القاهرة - مكتبة عين شمس - ١٩٦٣م.

٢٩- أبو الفتوح رضوان وآخرون: فى المدرسة والمجتمع - ط٦ - القاهرة - الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.

٣٠- أحمد خاكى: قاسم أمين (أعلام) - القاهرة - دار إحياء الكتب العربية - ١٩٤٤م.

٣١- أحمد زكى تفاحه: (المرأة والإسلام) بيروت - دار الكتاب اللبنانى ودار الكتاب المصرى - ١٩٧٩م.

٣٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى: مصر والمسألة المصرية - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٥م.

٣٣- أحمد عبد الرحيم مصطفى: علاقات مصر بتركيا (١٨٦٣ - ١٨٧٩)م - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٧م.

٣٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى: حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث - القاهرة - جامعة الدول العربية (معهد البحوث التربوية)- ١٩٧١م.

٣٥- أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر-حـ١ - (عصر عباس وسعيد)- القاهرة - مطبعة النصر - ١٩٤٥م.

٣٦- أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: التاريخ القومى - ط١ - القاهرة دار سعد مصر -(د. ت).

٣٧- أحمد فؤاد الأهوانى: معانى الفلسفة - ط١- القاهرة - دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٧.

٣٨- أحمد فؤاد الأهوانى: التربية فى الإسلام - ط٢ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٧.

٣٩- أحمد فؤاد الأهوانى: أفلاطون (نوابع الفكر العربى) القاهرة - دار المعارف ١٩٧١.

٤٠- أحمد لطفي السيد: المنتخبات - جـ - القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية - ١٩٣٧م.
٤١- أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي - ط٢- القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٣م.
٤٢- آلفين توفلر: صدمة المستقبل (المتغيرات في عالم الغد): ترجمة محمد علي ناصف، تقديم أحمد كمال أبو المجد - القاهرة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - ١٩٧٤.
٤٣- أمينة أحمد حسن: نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام -ط١ - القاهرة - دار المعارف- ١٩٨٥م.
٤٤- جان فال: طريق الفلسفة - ترجمة أحمد حمدى محمود - القاهرة - مطابع سجل العرب - ١٩٤٨م.
٤٥- جرجس سلامة: أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر (١٨٨٢- ١٩٢٢) -ط١- القاهرة - الأنجلو المصرية ١٩٦٦م.
٤٦- جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر -جـ١، ط٢ - بيروت دار مكتبة الحياة - (د.ت).
٤٧- جمال الدين الشيال: تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٥١م.
٤٨- جمال الدين الشيال: رفاعة الطهطاوى (نوابغ الفكر العربى) ط٣ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠م.
٤٩- جون مارلو: تاريخ النهب الاستعمارى لمصر (١٧٩٨ - ١٨٨٢م) - ترجمة عبد العظيم رمضان - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٦م.
٥٠- حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)ط٤- القاهرة عالم الكتب - ١٩٧٧م.
٥١- حسان محمد حسان واخرون: دراسات في فلسفة التربية - ط١- القاهرة - (د.ت) - ١٩٨٦م.

٥٢- حسن إبراهيم عبد العال: فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة (٦٣٩- ٧٣٣هـ) الرياض- مكتب التربية الإسلامية لدول الخليج - ١٩٨٥م.
٥٣- حسن إبراهيم عبد العال : مقدمة فى فلسفة التربية الإسلامية (التربية والطبيعة الإنسانية) - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٨٥م.
٥٤- حسن حنفى : دراسات الإسلامية - دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت - ١٩٨٢م.
٥٥- حسين فوزى النجار: أحمد لطفى السيد أستاذ الجيل (أعلام العرب) - العدد ٣٩- القاهرة - مطبعة مصر - ١٩٦٥م.
٥٦- حنا غالب: التربية المتجددة وأركانها - ط٢- دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٧٠م.
٥٧- خير الدين الزركلى: الأعلام ،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين - جـ٧ - ط٣ - (د. ت) ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.
٥٨- رفاعة رافع الطهطاوى : الأعمال الكاملة - جـ١- تحقيق محمد عمارة - بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ١٩٨٣م.
٥٩- روبرت دوترنز : منهج المدرسة الابتدائية، ترجمة نجيب يوسف بدوى- القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٦٥م
٦٠- زكى نجيب محمود: نظرية المعرفة - القاهرة - وزارة الإرشاد القومى - ١٩٥٦م.
٦١- زكى نجيب محمود: أفكار ومواقف - القاهرة - دار الشروق - ١٩٨٣م.
٦٢- زكى نجيب محمود: وأحمد أمين : الفلسفة اليونانية - ط٦ - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٨٣م.
٦٣- زيدان عبد الباقى: المرأة بين الدين والمجتمع - القاهرة - النهضة المصرية - ١٩٧٧م.

٦٤- سامي الدهان: عبد الرحمن الكواكبي (نوابغ الفكر العربي)-طه- القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٤م.

٦٥- سعيد إسماعيل علي: أصول التربية الإسلامية - القاهرة - دار الثقافة للطباعة - والنشر - ١٩٧٦م.

٦٦- سهام محمود العراقي: في التربية الأخلاقية - الإسكندرية - مكتبة المعارف الحديثة بالإسكندرية - ١٩٨٤م.

٦٧- سيد إبراهيم الجيار: تاريخ التعليم الحديث في مصر وأبعاده الثقافية- القاهرة - دار الثقافة - ١٩٧١م.

٦٨- سيف الإسلام علي مطر: التغير الاجتماعي- ط١- دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة - ١٩٨٦م.

٦٩- صابر طعيمه: المعرفة في منهج القرآن (دراسة في الدعوة والدعاة) دار الجيل - بيروت (د.ت).

٧٠- صالح عبد العزيز: التربية وطرق التدريس - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٥م.

٧١- صالح عبد العزيز: التربية وطرق التدريس - جـ٢- ط١٠- القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٨م.

٧٢- صالح عبد العزيز، عبد العزيز عبد المجيد: التربية وطرق التدريس - جـ١ - ط٨ - القاهرة - دار المعارف - (د.ت).

٧٣- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): تراثنا بين ماضي وحاضر - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٠م.

٧٤- عباس محمود العقاد: ساعات بين الكتب - جـ٢ - ط١ - القاهرة مكتبة النهضة الحديثة - ١٩٤٥م.

٧٥- عباس محمود العقاد: الإنسان في القرآن - القاهرة - دار الهلال - ١٩٦١م.

٧٦- عباس محمود العقاد: المرأة في القرآن - القاهرة - دار النهضة مصر - ١٩٧٦م.

٧٧- عباس محمود العقاد: سعد زغلول (تراجم وسير) - مجلد ١٨- بيروت - دار الكتاب اللبناني - ١٩٨٠م.

٧٨- عبد الحليم الجندي: الإمام محمد عبده (أعلام الإسلام) - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٩م.

٧٩- عبد الرحمن بدوي: الأخلاق النظرية - ط٢ الكويت - وكالة المطبوعات بالكويت - ١٩٧٥م.

٨٠- عبد الرحمن الرافعي: مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال (١٨٨٢ - ١٨٩٢م) ط٢ - القاهرة مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٨م.

٨١- عبد الرحمن الرافعي: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي - ط٣ القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر - ١٩٦٦م.

٨٢- عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي - ط٤- القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٢م.

٨٣- عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل- جـ١ - ط٣ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٢م.

٨٤- عبد الرحمن الرافعي: عصر إسماعيل - جـ٢ - ط٣- القاهرة - دار المعارف ١٩٨٢م.

٨٥- عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد - حلب - المطبعة العصرية بحلب - ١٩٥٧م.

٨٦- عبد العاطي محمد أحمد: الفكر السياسي للإمام محمد عبده - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٨م.

٨٧- عبد الغفار محمد حسين: صفحات من تاريخ العرب المعاصر - مكتبة سماح بطنطا- ١٩٧٨م.

٨٨- عبد الغني عبود: الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر - الكتاب الرابع من سلسلة الإسلام وتحديات العصر - ط١- القاهرة - دار الفكر العربي١٩٧٨.

٨٩- عبد الغني عبود: قضية الحرية وقضايا أخرى - الكتاب السابع من سلسلة الإسلام وتحديات العصر - القاهرة - دار الفكر العربي - ١٩٧٩م.

٩٠- عبد الغنى عبود: الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة - الكتاب الثامن من سلسلة الإسلام وتحديات العصر - ط١- القاهرة - دار الفكر العربى- ١٩٧٩م.

٩١- عبد الغنى النورى، عبد الغنى عبود: نحو فلسفة عربية للتربية - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٨٦م.

٩٢- عبد الكريم الخطيب: الخلافة والإمامة- بيروت - دار المعرفة للطباعة والنشر - ١٩٧٥م.

٩٣- عبد المجيد عبد الرحيم: مبادىء التربية وطرق التدريس - ط٢- القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧١م.

٩٤- عبد المنعم شميس: عظماء من مصر - القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٥م.

٩٥- عزت قرنى: الفلسفة الاجتماعية عند قاسم أمين - القاهرة - مكتبة سعيد رأفت بعين شمس - ١٩٨٠م.

٩٦- على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - جـ١- ط٧- القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٧م.

٩٧- على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - جـ١- ط٨- القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٧م.

٩٨- على عبد الواحد وافى: عوامل التربية (بحوث فى علم الاجتماع التربوى والأخلاق) - القاهرة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - (د. ت).

٩٩- على عبد الواحد وافى: الأسرة والمجتمع - ط٨- القاهرة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - (د. ت).

١٠٠- عمر عبد العزيز: دراسات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر - بيروت - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - ١٩٧٥م.

١٠١- عمر محمد التومى الشيبانى: فلسفة التربية الإسلامية - جـ١- ليبيا - طرابلس - الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - ١٩٧٥م.

١٠٢- فاخر عاقل: معالم التربية (دراسات فى التربية العامة والتربية العربية) ط٥ - دار العلم للملايين - ١٩٨٣م.

١٠٣- فاروق دسوقى: القضاء والقدر فى الإسلام - جـ٣ - دار الدعوة - الإسكندرية - ١٩٨٤م.

١٠٤- فؤاد البهى السيد: الأسس النفسية للنمو (من الطفولة إلى الشيخوخة)- ط٤- القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٧٥م.

١٠٥- فيليب . هـ فينكس: التربية والصالح العام- ترجمة السيد محمد العزاوى، يوسف خليل - القاهرة - مركز كتب الشرق الأوسط - ١٩٦٥م.

١٠٦- لطيفة محمد سالم: المرأة المصرية والتغير الاجتماعى- القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٤م.

١٠٧- لوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديثة - ترجمة عفيفه البستانى - (موسكو - دار التقدم) ١٩٧١م.

١٠٨- لورنس كريمين: التعليم والحرية - ترجمة محمد فتحى الشنيطى - مكتبة القاهرة الحديثة - ١٩٥٧م.

١٠٩- مارون عبود: رواد النهضة الحديثة - ط١- بيروت - ١٩٥٢م.

١١٠- ماهر حسن فهمى: قاسم أمين (أعلام العرب)- القاهرة - المؤسسة العربية - ١٩٦٣م.

١١١- محمد أنيس السيد رجب حراز: التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث - القاهرة - دار النهضة العربية بمصر - ١٩٧١م.

١١٢- محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة - القاهرة - الآنجلو المصرية - (د.ت).

١١٣- محمد حسين هيكل : فى أوقات الفراغ - القاهرة - المطبعة العصرية بمصر - ١٩٢٥م.

١١٤- محمد حسين هيكل: مذكرات فى السياسة المصرية - جـ١ القاهرة - دار المعارف - ١٩٥١م.

١١٥- محمد حسين هيكل : - تراجم مصرية وغربية-القاهرة - دار المعارف -١٩٨٠م.

١١٦- محمد حسين هيكل: شخصيات مصرية وغربية - العدد الثانى - القاهرة - روز اليوسف.(د. ت).

١١٧- محمد سعيد فرج: الطفولة والثقافة والمجتمع - منشأة المعارف - الإسكندرية ١٩٨٠م.
١١٨- محمد طلعت حرب: فصل في الخطاب في المرأة والحجاب - القاهرة - مطبعة الترقي - ١٩٠١م.
١١٩ - محمد عبد الحميد أبو زيد: مكانة المرأة في الإسلام - القاهرة - دار النهضة العربية - ١٩٥٨م.
١٢٠- محمد عبده: رسالة التوحيد - تحقيق الشيخ حسين الغزال - بيروت - دار إحياء العلوم - ١٩٧٩م.
١٢١- محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية - القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر - ١٩٦٤م.
١٢٢- محمد عطية الأبراشي: عظمة الإسلام - القاهرة - الأنجلو المصرية - ١٩٦٧م.
١٢٣- محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلسفتها - ط٢- القاهرة - مطبعة عيس البابى الحلبى - ١٩٦٩م.
١٢٤- محمد على أبو ريان: الفلسفة ومباحثها - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٦م.
١٢٥- محمد على أبو ريان: الفلسفة ومباحثها - ط٤ - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٩م.
١٢٦- محمد فهمي لهيطة: تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة - ط٢- القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٤٥م.
١٢٧- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية جـ٢- ط١- بيروت - دار الشروق - ١٩٨٠م.
١٢٨- محمد كمال يحيى: الجذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية في العصر الحديث - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٣م.
١٢٩- محمد لبيب النجيحى: مقدمة فى فلسفة التربية - ط١- القاهرة - الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.

١٣٠- محمد لبيب النجيحي : فلسفة التربية- ط٢- (د.ن) ١٩٦٧م.
١٣١- محمد متولى الشعراوى: القضاء والقدر، معجزات الرسول - إعداد وتقديم أحمد فراج - ط٣- القاهرة - دار الشروق - ١٩٧٥.
١٣٢- محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر - جـ١ - القاهرة - مكتبة الآداب - (المطبعة النموذجية) - ١٩٦٨م.
١٣٣- محمد منير مرسى: التربية الإسلامية - أصولها وتطورها فى البلاد العربية- القاهرة - عالم الكتب - ١٩٨٣م.
١٣٤- محمد الهادى عفيفى: فى أصول التربية (الأصول الثقافية للتربية) - القاهرة - الأنجلو المصرية - ١٩٧٦م.
١٣٥- محمد الهادى عفيفى: فى أصول التربية (الأصول الفلسفية للتربية) القاهرة - الأنجلو المصرية- ١٩٧٨م.
١٣٦- محمود أبو رية : جمال الدين الأفغانى (نوابغ الفكرالعربى) - ط٣- القاهرة - دار المعارف - ١٩٨٠م.
١٣٧- محمود الخفيف: أحمد عرابى (الزعيم المفترى عليه) -ط١- مطبعة الرسالة - ١٩٤٧م.
١٣٨- محمود السيد سلطان: قضايا فى الفكر التربوى الإسلامى - القاهرة - دار الحسام للنشر والطباعة والتوزيع - ١٩٨١م.
١٣٩- محيى الدين صابر: التغير الحضارى وتنمية المجتمع - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٢.
١٤٠- مصطفى الغلايني: الإسلام روح المدنية ، أو الدين الإسلامى واللورد كرومر - بيروت - ١٩٠٨م.
١٤١- مصطفى محمد رمضان ، عبد الشافى محمد عبد اللطيف: الحركة الوطنية وموقفها من الاستعمار والصهيونية - القاهرة - شركة الطباعة الفنية المتحدة - ١٩٧٧م.
١٤٢- منير المرسى سرحان : فى اجتماعيات التربية - ط٢- القاهرة - الأنجلو المصرية - ١٩٧٨م.

١٤٣- هربرت ريد : التربية والتعليم فى خدمة السلام وتعريب محمد الشبينى - القاهرة - مؤسسة المطبوعات الحديثة - (د.ت).

١٤٤- هيلين آن ريفلين: الاقتصاد والإدارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر - ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصطفى الحسينى - القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٨م.

١٤٥- و. أ. لستر سميث: التعليم - ترجمة رمزى مفتاح - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٦٣م.

١٤٦- وداد سكاكينى : قاسم أمين (نوابغ الفكر العربى) القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٥م.

١٤٧- يعقوب فام: أطفالنا كيف نسوسهم - القاهرة - مطبعة وديع أبو فاضل بمصر - (د. ت).

١٤٨- يوسف أسعد داغر: مصادر الدراسة الأدبية - جـ٢ - بيروت - ١٩٦٢م.

١٤٩- يوسف إليان سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة - جـ٨- القاهرة - مطبعة سركيس بمصر - ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

١٥٠- يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة - ط- بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٧٨م.

١٥١- يوسف القرضاوى: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا -ط١- القاهرة - مطبعة وهبه- ١٩٧٩م.

١٥٢- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية - ط٣- دار القلم - بيروت - (د.ت)

١٥٣- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة -ط٥- القاهرة - دار المعارف - ١٩٦٩م.

١٥٤- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة - ط٦- القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٩م.

١٥٥- يوسف ميخائيل أسعد: المرأة والحرية - القاهرة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - ١٩٧٧م.

ب- الرسائل العلمية :

١٥٦- إبراهيم محمد إبراهيم عطية: الفكر التربوى لأفلاطون - رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة طنطا - ١٩٨٥م.

١٥٧- أحمد عبد الحميد أبو عرايس: الآراء التربوية فى كتابات مسكوية - رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة طنطا ١٩٧٧م.

١٥٨- حسن إبراهيم عبد العال: أصول تربية الطفل فى الإسلام - رسالة دكتوراه - كلية التربية - جامعة طنطا - ١٩٨٠م.

١٥٩- شاكر على سالم الدولة : الفكر التربوى عند الإمام محمد عبده - رسالة ماجستير -كلية التربية - جامعة طنطا - ١٩٨٢م.

١٦٠- شبل بدران السيد: تأثير فلسفة التنوير على التربية فى مصر فى القرن ١٩ - رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة طنطا - ١٩٧٩م.

١٦١- شوقى عبد السلام جاد ضيف: فكر إسماعيل محمود القبانى التربوى وأثره على تطور التربية والتعليم فى جمهورية مصر العربية - رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة أسيوط - ١٩٧٧م.

١٦٢- شوقى عبد السلام جاد ضيف: الأزهر كمؤسسة تربوية (تطوره وأثره التربوى) رسالة دكتوراه - كلية التربية - جامعة المنوفية - ١٩٨٠م.

١٦٣- على خليل مصطفى أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم - رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة طنطا -١٩٧٨م.

١٦٤- فايقة إسماعيل خاطر: . وحدة مقترحة لدراسة أطفال الحضانة لبيئتهم - رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة طنطا - ١٩٧٨م

١٦٥- ليلى زكى حسن إسماعيل: الأصول الفلسفية لتربية المرأة فى الإسلام - رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة طنطا - ١٩٨٢م.

١٦٦- محروس سيد مرسى : التربية والطبيعة الإنسانية فى الفكر الإسلامى وبعض الفلسفات الغربية - رسالة ماجستير - كلية التربية - جامعة أسيوط - ١٩٧٩م.

جـ- الدوريات والمجلات والصحف:

(١) الدوريات والمجلات:

١٦٧- أبو الأعلى المودودى: هل الإنسان مسير أم مخير ؟ مجلة الأزهر - جـ٦- وزارة الأوقاف - السنة الخمسون - سبتمبر ١٩٧٨م.

١٦٨- سعيد إسماعيل على : الفكر التربوى العربى الحديث (عالم المعرفة) - الكويت - مطابع الرسالة - مايو ١٩٨٧م.

١٦٩- عاطف إبراهيم عبد الله: التقاليد والدين - المجلة العربية - العدد ١٣٦- السنة ١٢- السعودية - ديسمبر ١٩٨٨م.

١٧٠- محمد جمال الدين محفوظ: التربية العسكرية فى الإسلام - الأزهر - جـ٢- السنة الستون - أكتوبر ١٩٨٧م.

١٧١- معن زيادة : معالم على طريق تحديث الفكر العربى (عالم المعرفة) الكويت - مطابع الرسالة - يوليو ١٩٨٧م.

(٢) الصحف:

١٧٢- الأهرام: الجمعة ٤ مايو ١٩٢٨م.

١٧٣- السياسة الأسبوعية : عدد ١١٣- ٥ مايو سنة ١٩٢٨م.

١٧٤- المقتطف: المجلد ٥٦ سنة ١٩٢٠م.

١٧٥- المنار : ١٥ يوليو سنة ١٨٩٩م.

١٧٦- المؤيد : ١٥ يوليو سنة ١٨٩٩م.

١٧٧- الهلال : عدد أكتوبر سنة ١٩٢٤م.

ثالثاً المراجع الأجنبية:

178- John Dewey: Democracy and education, N. Y. macmillanco 1957.

179- John. S. Brubackar: Modern Philosophies of eduation – Fourth edition – tata mcgraaw – Hill Publishing.Co. Pvt. Ltd. Bom bay. Ney Delhi 1969.

180- L. A. Reid: Philosopy and eduction. Heinemonn London. 1962.

181- Nelson. B. Henry: Modern Philosophies and education.(The Firty – Fourth year book . of the notiional society for the Study of education. Parti) central Book Depot. All ohobed, 1970.

182- James. W. Partridge: Care and welfare Caring for The Bady teach yourself Books and stough ton copyright London. 1973.

الفهرس

الفصل الثالث

الأصول الفلسفية لآراء قاسم أمين التربوية

تم بحمد الله

مع تحيات

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية


Bibliotheca Alexandrina
0673672